

فروحة المشتاق
في
تاريخ يهود
العراق

تأليف
يوسف رزق الله
غنيمة

نزهة المشتاق في

تاريخ مهاباد الفراء

تأليف

يوسف يرق ابو غنيم



حقوق اعادة الطبع والترجمة محفوظة للمؤلف



الطبعة الاولى

طبعت لحساب نسمان الاعظمى صاحب المكتبة العربية ببغداد

مطبعة الفرات . بغداد ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م

٢٥٠ ٢٨

مركز جامعة بغداد للتحفة والشراف

لـ

رقم التسجيل ١٩٣٤

الطبعة الاولى



كلمة الناشر

ازف الى قراء العربية كتاب « نزعة المتن في تاريخ برود العراق »
لمؤلفه البجائي يوسف افندي رزق الله غنيمة . ومن نظر الى هذا الكتاب
يتحقق لديه ما بذله المؤلف من المساعي للبحث عن تاريخ هذه الجماعة
وتحقيق احوالهم على تعاقب الايام . وقد اشبع مروياته تمحيصاً شأن
كل ما يكتبه . فلا حاجة الى تعريف هذا الكتاب واطرائه فهو يتكلم
عن نفسه والغاية العلمية البحتة التي يرمي اليها . فنورد ان يقع عملنا هذا
موقع الاستحسان عند القراء الكرام والله ولي التوفيق .

نعمان الاعظمي

صاحب المكتبة العربية ببغداد



اثار المؤلف المطبوعة

تجارة العراق

قديمًا وحديثًا

وهو كتاب يبحث عن تاريخ تجارة العراق منذ اقدم الازمنة
الى اليوم يقع في ١٧٤ ص طبع في مطبعة العراق في بغداد سنة ١٩٢١
وقد اثنت عليه اكبر المجلات والمصنف كالمقتطف والمشرق والهلل
والعرفان والكلية ومجلة المجمع العلمي العربي ، ومجلة السيدات والرجال
وجريدة الاحوال وجريدة التجارة الاسكندرية والاسات العرب
المقدسية والعراق والموصل والاقوات العراقية كما اثني عليه غير واحد
من العلماء والمستشرقين .

برديسان والبرديسان : رسالة فلسفية تاريخية في بدعة ظهرت في
القرن الثاني الميلادي بين النهرين وقد نالت استحسان العلماء المستشرقين
تقع في ١٦ ص طبعت في بيروت سنة ١٩٢٠ .

نزعة المتن في تاريخ برود العراق : وهو الكتاب الذي بين يديك
ايها القارئ الكريم وهو الوحيد في بابنا يقع في ٢٢٠ ص .

| | |
|--|-----|
| المقدمة | ٥ |
| التوراة والعراق | ١ |
| اليهود في عهد البابليين والآشوريين | ٤١ |
| يهود العراق في عهد الماذهين والفرس | ٦٠ |
| اللغة العبرية وآدابها في بابل | ٨٣ |
| يهود العراق في عهد العرب | ٩٨ |
| اليهود في عهد الغول والتتار | ١٤٢ |
| يهود العراق في حكم الأتراك | ١٥٣ |
| يهود اليوم في عهد الاحتلال والحكومة العربية العراقية | ١٨٣ |
| الزارات الدينية اليهودية في العراق | ١٨٩ |
| ١ : قبر عزرا الكاتب او العزيز | ١٨٩ |
| ٢ : مدفن النبي حزقيال او الكفل | ١٩٦ |
| ٣ : مزار يوشع كوهين كادول | ٢٠٣ |
| ٤ : كنيس الشيخ اسحق القاووني | ٢٠٧ |
| ٥ : مزار ناحوم الاقوشي | ٢١٣ |
| زيادات وإيضاحات | ٢١٦ |
| تصحيح خطأ | ٢٢٢ |

| | |
|------------|---|
| مقابل صفحة | |
| ٣١ | اور الكلدانيين وطن ابراهيم الخليل |
| ٥٣ | جماعة من تجار اليهود بلباسهم الخاص بهم |
| ٨٣ | الحاخام داود بابو بتيابه الرسمية من الحكومة التركية |
| ١٥٣ | عائلة يهودية |
| ١٧٩ | حضرة مناحيم افندي صالح دانيال |
| ١٨٧ | صاحب المعالي السراسون افندي |
| ١٨٩ | مرقد العزيز على نهر دجلة |
| ٢٠٣ | مرقد يوشع كوهين كادول |



للعراق بين اقطار المسكونة ، نزلة جليلة وبين امصار المعمورة
ذكر طيب ، فاذا بحثنا عن مهد الحضارة ونشوتها في بابل وآشور
وجدنا ضالتنا المنشودة وفي وادي الرافدين انف على عزها ومجدها وفي
السكوفة والبصرة وبغداد البلدان العربية الثلاث تتجلى بموكبها البهي
ونظرها الخلاب .

اضحى العراق منذ الازمنة المتوغلة في القدم مهبطاً لشعوب عديدة
وعناصر مختلفة وبينها العنصر السامي الذي ساد في البلاد واسس الدول
وعمر المدن وسن الشرائع . ومن هذا العنصر نشأ الشعب العربي ، من
سلالة ابراهيم الخليل ، ابن بلاد الكلدان وريث الفراتين . ظعن
الخليل من اور الى حوران ونزل مصر وكان ما كان من امر اعتاقه
حتى ايام الجلاء . فجاء بهم نبوكداصر الى بابل وبقيوا فيها حتى اليوم .
ان تاريخ بني اسرائيل في العراق موضوع بحثنا في هذا الكتاب
واذ كان هذا الشعب قد عاش في هذا المصر قروناً مع اجيال مختلفة
من الناس ورأى دولاً نشأت وعظمت وتضاءلت ففي درس تاريخه

نجد شيئاً كثيراً من عمران الاقدمين وسياسة السالفين من الامم
التي ارتادت العراق وانتجعت طيب منابته .

لقد بذلنا ما في وسعنا من البحث والتنقيب وتصفح الكتب
والاسفار العديدة لنتمكن من معالجة تاريخ يهود العراق على اسلوب
علمي . واصدار كتابنا حافلاً باخبار هذه الجماعة القديمة في العراق
على توالي الازمان ومختلف القرون ، جامعاً بين ضلوعه مرويات
الاقدمين والمتأخرين عنها . فبالحمد لله معظم غايتنا . ومع ذلك
بقي شيء غير نزر لمن اراد التبسط في هذا الموضوع والتوسع فيه .

وعلى كل فكتابنا هذا « نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق »
هو الاول في بابيه والفرد في جنسه ويبقى مرجعاً للذين يعالجون
هذا الموضوع بعدنا .

توخينا في كتابة هذا التاريخ الحقيقة الناصعة وسردنا الاخبار
بعد تدقيق النظر فيها وتمحيصها واسنادها الى مراجعها اذ لا غاية لنا
من تأليفه الا خدمة العلم والتاريخ .

ولا يسعنا ان نضرب صفحاً عن شكر اصدقائنا الافاضل الذين

فتحوا لنا خزان كتبهم للتنقيب . ونذكر بنوع خاص مؤازرة حضرة
الاستاذ المفضل الاب انستاس الكرملي المحترم لنا اذ تطف ووقف
على مسودات طبعه وتصحيحها فتقدم الى حضرة جزيل شكر اننا
على هذا الاحسان .

وأخر أمنية لنا ان ينتقد رجال العلم هذا الكتاب ويظهروا
موضع الخلل منه تمحيصاً للحقيقة التي هي قلة كل نفس تصبو الى العلم
الحقيقي فان العصمة لله والكمال له وحده .

المؤلف

بغداد في ٢ كانون الثاني ١٩٢٤

ي . ر . غنيم



التوراة والعراق

ان عدداً من الحوادث الخطيرة الوارد ذكرها في كتاب اليهود المقدس جرت في
بلاد بابل وآشور وبين النهرين فرأيت ان البحث عن البقاع والمدن التي كانت ميداناً
للك الحوادث لا يخلو من فائدة تاريخية وكثائية وإهدا أوردت في هذه العجالة
ملخص آراء العلماء واقوال الأثريين الكتابيين في هذا الباب ولا انكر أنه لا يمكن
البت في بعض القضايا لتوغل اخبارها في القدم وتضارب علماء الكتاب في تعليلها
وتفسيرها ولكنني عولت على المرجح من الآراء او ما ظهر لي اصح من غيره واقرب
الى الحقيقة .

١ جنة عدن وأنهاها

لقد اختلف العلماء في تعيين موقع الجنة المنوه بها في الفصل الثاني من كتاب
التكوين كما انهم اختلفوا في الأنهر الاربعة . ولكن المرجح من الآراء ان جنة عدن
كانت في العراق ولم تقبل نظرية فريق من العلماء ومنهم دلمان (Dilman) ورس
(Reus) الذين فرضوا ان اسم عدن اسم رمزي اخترعه العبريون ويريدون به السور .
ان الذين فرضوا موقع عدن في العراق لم يتفقوا في تعيينه فالسري رولنسون
ذهب الى ان العامة حرقت كلمة كندوانس او كرونياس (وهو فطر منحصب كل الحصب
يظن بوجوده قرب بابل او يظن بأنه ملتصق بها) حتى افضى بها التحريف على
توالي القرون الى كلمة عدن . وذهب العلامة تيلي (Tiele) وونكلر (Winckler)
الى أنه كان في جنوبي بابل محاذياً لخليج فارس . اما الباحثة دلتش في كتابه Wo

(? lag das Paradies) فبرثني ان جنة عدن كانت في سهل بابل في القسم الشمالي منه وكان يسقيه الفرات . ويوجد نهر فيشون والبالا كوباس (١) (وهو البلو كانت عينه الوارد ذكره في الرقم) . واما جيحون فهو نهر النيل عنده . وبرثني ان هذين النهرين كانا عقيقين قبل ان يتخذهما البابليون لاعمال الري في عهدهم .

ان الرأي الذي يرجحه العلماء ويحلونه محل القبول هو مذهب المعلم سايس الذي يجعل جنة عدن في موقع مدينة اريدو وهي أبوشهرين الحالية (٢) . ويعتقد ان النهر الكبير الذي ورد ذكره في كتاب العبريين هو خليج فارس وكان يصب فيه اربعة انهر وهي الفرات (٣) ودجلة و كرخا (Choaspes) والبالا كوباس هكذا ورد عن سايس في معلة الكتاب المقدس الا ان السر ولیم وياكوكس في كتابه الانكليزي المعنون « من جنة عدن الى عبر الاردن » (٤) يذكر رأي المعلم سايس وفقاً لقول المعلة في كل التفاصيل ما خلا البالا كوباس فيذكر عوضه

(١) يذهب رولنسن في كتاب الدول العظمى الى ان البالا كوباس هو نهر ابا معنى ومبنى .
(٢) أبوشهرين اطلال مدينة اريدو القديمة موقعها على بعد ١٢ ميلا في جنوب شرقي اطلال القير وكانت مرصودة الاله انكي (ايا) وقد وصفها الرقم الأثرية أنها واقعة على ساحل البحر وهذا مما يدل على ان خليج فارس كان يتقدم في البر . وقد نقب فيها تيلر في منتصف القرن الماضي . وفي ربيع سنة ١٩١٨ نقب فيها الكابتن كامبل بومسن وفي السنة التالية نبش كنوزها المسترهول (٣) Encyclopaedia Biblica By Cheyne and Black (٤) From the Garden of Eden to the Crossing of the Jordan.

نهر كارون . والسر وياكوكس يذكر في الكتاب عينه ان الجنة المذكورة كانت للشمرين وفي هذه البقعة كانت شقة من الارض تعرف بعدن حسبها جاء مدونا في الرقم الأثرية فنسبت اليها جنة عدن .

اما الاكديون فكانت جنتهم في الارض التي بين عانة وهيت (١) حيث بقي هذا الجيل من الناس رجالهم عندهم وبنوهم وبنوهم السامي ويظن انهم كانوا من ارومة العرب والاسرائيليين وعليه كان فيشون يطلق على منخفضي الجبانية واني دبس وجيحون على نهر الهندية الحالي وعلى رأي وياكوكس هو نهر شبر بعينه الوارد ذكره في سفر حزقيال ونهر اهو الوارد ذكره في سفر عزرا والبالا كوباس الذي ركه اسكندر الكبير وسمي نهر الكوفة في عهد العرب (٢) .

والنهر الثالث حداقل او دجلة وهو الساعد المعروف اليوم بنهر الصقلاوية وكان يصب في منخفض عقر قوف وتفيض المياه هناك وتصب في دجلة عند ابواب بغداد وما لا ريب فيه ان الصقلاوية كانت في غابر الزمان رأس دجلة وان سكان بابل نقلوا هذا الاسم الى بلاد آثور واطلقوه على نهرها . والنهر الرابع الفرات ولا حاجة الى الاسهاب في الكلام عنه .

مها كان رأي السر وياكوكس فلا يرى مندوحة عن الكلام عن الرافين وبنوعيهما وعقيقيهما وباريخيهما لما لهما من العلاقة بخصب هذه الديار . فانهما ينبعثان

(١) هي مدينة ايس التي ذكرها هيرودوتس وفيها المغرة والكبريت وينابيع الفار

(٢) في كلام المؤلف نظر . فجعله كل هذه الانهر واحدة ليس بثبت .

من عين واحدة في ارمينية من اسفل جبل قرب معادن سوان عرفه الاقدمون باسم قاطس وسماه الأتراك « كلشن طاغ » ويسميه العرب اليوم جبل عمرود .

ومن العيون الكبيرة التي تصب في دجلة « اوج كول » . وعلى مسير يومين ونصف من آمد (ديار بكر) يصب فيه نهر عين دجلة . وعندما يمر بديار بكر يصب فيه « بلمان صو » والارزن اودجلة الشرقية ثم الزاب . الزاب الاكبر والزاب الاصغر في ولاية الموصل . وقد عرف هذان النهران عند الآشوريين بزابو ايلو وزابوشو بالو وعلى بعد تسعة كيلومتر وانت منحدر من بغداد يصب فيه نهر ديالى .

اما الفرات فبعد ان ينبجس من مصدره المذكور سابقاً يصب فيه قسم من مياه بحيره صغيرة « كوكلك » وتنحدر اليه مياه الامطار والتلعات من ضفتيه وينضم اليه نهر مراد وقبل ان يغادر الاصقاع الجبلية تصب فيه بعض الانهر التي تجتمع في قبة الخططة العظيمة التي يخطها في غربي سلسلة جبل طورس كالطوكة صو (Melas) في أعالي جبل طورس ويصب فيه الساجور ونهر البليخ والخابور الذي يرد من طورعبدن .

لم يكن الرافدان في كل اعصر التاريخ على ما شاهدنا اليوم بل كانا يسيران في بدء عهدنا الجيولوجي نحو خمس درجات في سهل متموج ثانوي التكوين . كان خصباً على عدوات الهرين وقريباً من عيون المياه وقفراً في ما سوى ذلك . وكان طرفه الجنوبي بمثابة شاطئ البحر . وكان النهران يصبان في خليج متوحد وهما بعيدان الواحد عن صاحبه نحو عشرين فرسخاً وكان مصهما في خليج نار مارآنو (وهو خليج فارس

اليوم) يحده من الشرق آخر اسناد جبال ايران ومن الغرب هضاب الرمال التي تحد نجد بلاد العرب .

والقسم الاسفل من وادي الفراتين ارض حديثة التشوه بالنسبة الى غيرها مما يجاورها في الشمال وقد تكونت من تراكم غريل النهرين وسائر الانهر كعظيم وديالى وكرخا (Choaspes) وغيرها . وبما لامرية فيه ات في عهد هبوط الاقوام التي استعمرت هذه الديار كان خليج فارس يتقدم في البر نحو اربعين او خمسة واربعين فرسخاً عما هو عليه الان . (١)

٢ : الطوفان وجبل اراراط

ومن الحوادث العظيمة التي رواها سفير التكوين واسهب فيها حادثة الطوفان . وقد جاءت هذه الرواية مدونة في الرقم البابلية (٢) وكانت بطلها

(١) راجع Maspero : Histoire des Peuples anciens de L'Orient.

(٢) ان علواء كلكامش التي عثر عليها العلماء مدونة في الرقم البابلية تسرد حكاية الطوفان وتنسب خلاص البشر الى اوتنايشم وكان وطنه في شريباك وهي شروباك اكتشف الآريون موقعها حينما كانوا يتقربون في اطلال قارة ١٩٠٢ - ١٩٠٣ . ولم ترد قصة الطوفان في علواء كلكامش وحدها بل ان يزر (Peiser) يصرحاً من نصوص اساطير بابل مع مصور البلاد في عهد الطوفان وفيه يشير الى جبل الفلك في شمالي بابل . وقد عثر مؤخراً الاب شيل على رواية اخرى من روايات الطوفان في مجموعة صفائح في متحف القسطنطينية .

سبشم (١) وليس نوحاً كما جاء عند الاكديين اجداد الساميين . قد تضاربت آراء العلماء في الطوفان وفي تعيين مقر الفلك بعد ان اُخربت المياه المعمورة واهلكت كل ذي نسمة . فهم من قال ان الطوفان كان عاماً شمل كل الارض وعززوا مذهبهم بالبراهين الثابتة والشواهد الساطعة (٢) ومنهم من ناقضهم وقال بان الطوفان كان محلياً في العراق فقط وهو من المشاهد الطبيعية التي تتكرر في هذا الاقليم فانه اشبه شيء بغرق يحدث من ابتناق اسداد دجلة والفرات وكثرة الامطار على حد ما رواه التاريخ وشاهدناه عياناً في هذه البلاد . وينتوّن رأيهم هذا على مبادئ طبيعية يقبلها العقل منها : ١ : من ابن تولدت المياه لتغطي الارض كلها حتى الجبال الشاخحة ٢ : ان ثقل المياه كان كافياً ليحدث اختلالاً في نظام جاذبية الافلاك العامة وان يفصل الارض عن هذا النظام ٣ : ان زالت تلك المياه وكيف تبخرت ٤ : ان نص سفر التكوين لا يدل دلالة صريحة على ان الطوفان كان عاماً شاملاً المعمورة كلها : خمس عشرة ذراعاً في الارتفاع تماظمت المياه فتغطت الجبال (تكوين ٧ : ٢٠) فهذا الارتفاع لم يكن كافياً ليعطي اي جبل كان من الجبال الشاخحة او غيرها مما يطلق عليها

(١) قد اختلف في ضبط اسم هذا البطل البابلي فقد قيل فيه سبشم واونتابشم وبرنبشتي وتسينتابشم (٢) ان المؤلف G : Frederick Wright في كتابه Scientific Confirmation of Old Testament History. خص بذكر الطوفان بحثاً مسهباً استغرق ٢٠٩ صفحات. فاورد البراهين الكثيرة والحجج الساطعة لاثبات طوفان نوح وشموله المعمورة كله .

اسم جبل في عرف جغرافي هذا الزمان . هذا اذا كان الذراع المصطلح عليها في سفر التكوين تقارب احدي الاذرع المتخذة اليوم وحدة للقياس . ليست الغاية من هذه المقدمة لنثبت رأياً او ننقض آخر في الطوفان فان ذلك لا يدخل في بحثنا وانما تطرقنا اليه لعلاقته بعلوآء كلكامش البابلية ولسرده الاراء المختلفة في مرقع جبال اراراط .

واستقر الفلك في الشهر السابع في اليوم السابع عشر من الشهر على جبال اراراط (تلك ٨ : ٤) لم ترد لفظة اراراط في هذه الفقرة وحدها من العهد القديم بل وردت في آيات كثيرة (١) وفصول متفرقة ولكنها تشير هناك الى صقع من الاصقاع لا بل الى دولة من الدول . وقد جاءت في الرقم الآثورية اورارني وتعاقبت واللفظة نايري بمعنى واحد . واللفظة الاخيرة سامية الاصل اطلقت على بلاد اورارني عينا . وكانت هذه المملكة في متسع من الارض . وكانت الدولة الارمنية التي تألفت بعد ذلك داخل حدودها . ويظهر من الرقم المكتشفة في (وان) وغيرها من الاماكن ان حدود نايري كانت تمتد الى جنوبي ذلك الصقع حتى منشأ دجلة والفرات . اما اورارني الاصلية فكانت في الشمال في سهل نهر الرس (٢) (Araxes) ولم تتوحد اللفظتان وتأتيا مترادفتين الا بين القرن التاسع والعاشر قبل المسيح لما استولى سكان اورارني (٣) على الجنوب

(١) راجع ٢ الملوك ١٩ : ١٧ واشعيا ٣٧ : ٣٨ وطوبيا ١ : ٢١ : وارميا ٥١ : ٢٧ (٢) نهر بارميدية بين موقان والبيلقان يصب في نهر الكر Cyrus . (٣) يجوز كتابتها اورارني واورارطي واواراطو .

والتخذوا نازري مركزاً لحكمهم وصولهم .

اما جبال اراراط التي هي مدار مختلفا فيها في علوآء كل كاشم جبل نسير او جبل فردو في بلاد نسير او نازير . وقد تضاربت الاراء وتشعبت الظنون في موقعه . فهم من قال بأنه في بلاد ماذي في شرقي الزاب الاسفل وفي جنوبي بحر قزوين وقد ارتأى نيقولا الدمشقي (Nicaulus Damascenus) انه جبل بارز وربما اشار الى جبل البرز او حارة برزاني . الا ان المشهور من الاراء ان جبال اراراط واقعة في دولة اراراط الموصوفة قبيل هذا . التي فيها جبل شاهق له قمتان . الواحدة منها ترتفع ١٧٠٠٠ قدم عن البحر والاخرى ٤٠٠٠ قدم دون الاولى في العلو . ومن المأثور الشائع ان جبال اراراط كانت في بلاد فردو او فردوشيا على ضفة دجلة اليسرى وكان مقر فلک نوح في جبل جودي في جنوب غربي (وان) وقد قالت العرب بهذا القول . وحدث رأي ظهر في عالم التفسير رأي وليم ويلكوكس . فانه نفى المأثورات المشهورة ولم يسلم بواحد منها . وقد ذهب الى ان جبال اراراط لم تكن الا جبال رمل او تلول تراب في ارض شنغار وقد اعتاد اهالي هذه البلاد تسميتها جبالا منذ العصر المتوغلة في القدم . وختم نظريته بقول بات لم يكن يجوز له القطع فيه اذ قال : ان اراراط لا يمكن ان يكون الجبل المعروف في بلاد ارمينية كما ان مدينة انيوبورك ليست مدينة بورك . (١)

(١) يروس الكاهن الكلداني ذكر حكاية الطوفان ودعا بطله كزيسروس وعند المجوس ان الطوفان وصل الى حلوان العراق فقط .

٣ . مملكة نمرود

تصفح الفصل العاشر من التكوين ترى العدد العاشر منه ما يأتي : « وكان ابتداء مملكته (نمرود) بابل وارك و أكد وكلثة في ارض شنغار » . يظهر من هذا النص ان اول مملكة عرفها التاريخ في ارض شنغار كانت كوشية النجار لان نمرود كان ابن كوش . ويظن ارباب البحث ان نمرود هو كل كاشم المذكور في العلوآء البابلية لانفاق اوصاف الرجلين في التوراة وفي اساطير البابليين . قد التف حول هذا الجبار السكتاني احاديث خوارق واختلقت مخيلة الاقوام اقصيص طرقات . ولكن ماهي منزلته من التاريخ ؟ فان هذا الموضوع ملتقى الجدل والتخرص . والرأي الراجح عند علماء الكتاب انه رجل وهمي وليس مثل سائر اولاد كوش الذين يمثلون الشعوب . وعلى كل فان العبريين ارادوا به رجلاً عتياً . وكان يسهل على المفسرين فك هذه المعضلة السكتانية لو كان نمرود متصفاً بالجبروت والعتو فقط بل ان التوراة تجمع فيه بين هذه الصفات وبين الادارة وتأسيس المدن . ويتسع المأثور في هذا الباب ويذهب الى ان سلطته ابتدأت في بابل فامتدت الى ارك و أكد وكلثة في ارض شنغار ثم ذهب الى آثور واسس نينوى ورحوبوت غير وكالج وراسن .

قد حاول رهب من العلماء (١) توحيد نمرود ومردوخ اله بابل . وقالوا ان الاول تصحيف عبري للاسم الثاني . اما الفرس فقالوا ان نمرود تأله وتحول الى برج الجبار وعليه قال بعض المحدثين انه بطل من ابطال النظام الشمسي وليس من (١) وهم سايس (Sayce) وكريفل (Grivell) وويلهوسن (Wellhausen)

ملوك الاساطير . وقد جاء في روايات العرب انه اتى الخليل في النار (١) وجاء في ما تورات اليهود انه بنى برج بابل .
لندع هذا الجبار سلام وندع الحكم في تاريخه وصحة وجوده او وهمه الى من هم اقدر منا في هذه الابحاث ونعتمد الى جغرافية المدن المنسوبة اليه .

بابل : لا يعلم تاريخ بناء هذه المدينة . ومعنى اسمها باب الاله او باب الالهة (٢) كانت راحة صفى الفرات وكان يسمى الجانب الواحد منها دينتيرا (محل شجرة الحياة) والجانب الاخر كادنكيرا (باب الله) والاسم الاخير شمري او اكدي وهو ترجمة لفظة بابل السامية . (٣) ومن اسمائها (اي) او (ايكي) وهناك اسماء اخرى اطلقت في الرقم على بابل مثل شوبانم وليتامو وشوانا . ويرتشي العلماء ان هذه الاسماء كلها كانت لارباب او احياء او مزارع ضمت الى بابل فاطلقت عليها اسمائها .

وقد عبرت هذه المدينة ادواراً خطيرة منذ تأسيسها حتى خرابها وتناوب عليها السعد والبؤس فكانت في اول نشأتها مدينة خاملة من مدن شمعار ولم يرد ذكرها الا عرضاً في مطاوي تاريخ الملوك وعزواهم . وقد كان فيها معبدان شهيران متوغل تاريخهما في القدم وهما اسا كيلا اي « معبد الراس الشامخ » والاخر ازبدا اي « معبد الحياة » . وقد كانا موضوع اهتمام الملوك ومطعم الغزاة والفاتحين .

(١) راجع الطبري (٢) باب ايلو او باب ايلينو (٣) ولم يفسر علماء اليهود اسم بابل بالبليلة الا بعد عهدها الاول اذ فعل « بلال » في اللغة العبرية بمعنى بلبل او خاظم . وقد جاء في كتاب التلمود تفسيرها بهذا المعنى عن الزان يوحنا .

ولم تصبح بابل عاصمة البلاد واطلق اسمها على المملكة كلها الا في عهد السلالة الامورية في نحو سنة الالف الثاني قبل المسيح . وقيل ان مؤسس هذه الدولة سمو ابوم هو الذي اقام عرشه فيها وقيل حوربي الشهير . ولم يحدث هذا الامر عفواً ولم يرتق بابل الى مصاف الخواصر بدون سبب غير ان التاريخ ساكت عن هذه المسئلة او الاخرى بنا ان نقول ان معلوماتنا قاصرة في هذا الباب ولعل الاكتشافات المستقبلية توقفنا على ما نجهله اليوم .

وبين الملوك الذين شادوا فيها ابنية واسواراً وهياكل تذكر سمو لايلو وخفيده ابلسين وحوربي (١) وابنه شمشوالونا . وفي حوالي سنة ٨٩٢ قبل المسيح اجتاحتها نوكونتي نينيب ملك آثور وقتل سكانها وغنم كنوزاً كثيرة حملهامعه الى آثور وبنيها مقتنيات هيكل اسا كيلا العظيم . وفاق سنحاريب جده في تدميرها وتخريبها فنقض هياكلها وهدم اسوارها وقصورها والتي انقاضها في الهر فطمت مياهه واغرقت المدينة باجمها . الا ان اسرحدون استأنف عمارتها وشاد هياكلها على طرز فخيم حتى فاقت عظمها الاولى وتفنى كل من شمشو او كين وآسور بانينبال في تدميرها وتزيينها . وزاد نبوبولاصر بعدهما في تجميلها . وكان نبوكدراصر هو ذلك الرجل الذي ولدته العصور ليأخذ بها الى قمة العز والجد ويخرجها من ايدي الرزاة نظيفة من طرف الصناعة يضرب بها المثل ويترجم بوصفها في كل قطر . وقد استعان

(١) قال العلماء الكتابيون بان حوربي هو امرا فل ملك شمعار الذي ذكره الكتاب

بأسرى اليهود والآشوريين والمصريين والسوريين وغيرهم للقيام بهذه الأعمال وعاش
أهلها في رفٍ بالغ وبذخ عظيم وأشار إلى كل ذلك أنبياء بني إسرائيل في أسفارهم
فهذا اشعيا يلقب بابل بهاء الممالك وزينة فخر الكلدانيين (١٢: ١٩) وفي الفصل
السابع والاربعين يقول عن ابنة بابل ناعمة ومترفة وسيدة الممالك . وجاء في سفر
دانيال نقلاً عن لسان الملك نبوخذ نصر (١) (٤ : ٣٠) ليست هذه بابل العظيمة
التي بنىها لبنت الملك بقوة اقتداري وحلال مجدي . وقد جاء مكتوباً على انوبتين
اسطوانتي الشكل دخلتا في ملك المتحف البريطاني سنة ١٨٧٨ كل الأعمال التي قام بها
الملك نبوخذ نصر العظيم في عاصمة دولته (٢) . وهي جذيرة بان تجعل بابل عروس
الفرات .

وقد اتخذ كورشن بابل حاضرة بلاده الواسعة الأرجاء وجاء إليه الملوك والأمراء
من كل الاقطار وقدموا إليه الهدايا والجزية . ولم يتعدى المخطط دار الكلدانيين وزوال
مجدها الا حينما حاصرها الملك دارا هشتب (٥٢١ - ٤٨٥ ق م) وخرب
اسوارها . ويظهر ان بعض المعابد بقيت عامرة ويقوم سدنها بخدمها الدينية حتى
سنة ٢٩ ق م .

قد اختلف المؤرخون القدماء في مساحة هذه المدينة كل اختلاف فقد جاء في كتاب
هيرودوتس (١ : ١٧٨ و ١٧٩) انها كانت مربعة وكان كل طرف منها ١٢٠ استادة

(١) هيرودوتس راحر عينه (٢) E. W. Budge : Babylonian Life and

وعليه فقد كان محيطها ٤٨٠ استادة (٥٥ ميلاً وربع الميل) وكان يحيط بها خندق
يجري فيه ماء ووراء سور عظيم ارتفاعه ٢٠٠ ذراع وعرضه ٥٠ ذراعاً . واما
ديودورس فقد نقل عن كتياس أحد معاصري هيرودوتس ان محيطها كان ٣٦٠
استادة . وقد جاء في كتاب استرابون انه كان ٣٨٥ وقال غيرهم غير ذلك .

ومن الغريب ان موقع اطلال هذه المدينة ودوارسها بقي عهداً من الزمان
مجهولاً فالتفت الامر على السياح وذهبوا في بقاياها كل من ذهب . بيد ان بنيامين
التطيلي وبيتر ودلا فاه وصفادا وصفاً دقيقاً . وقد بدأ بالتنقيب في تلك الاطلال
الفنصل العام الانكليزي ريج Mr. Rich سنة ١٨١١ وبعد اربعين سنة ١٨٥١
حفر فيها لارذ وبحث عن دقاتها . وبين تلك السنة وسنة ١٨٥٤ تعمق اورث في درس
بقايا المدينة العظيمة وذهبهم رولنسن ١٨٥٤ وهو مرشد رسام من ١٨٢٨ الى سنة
١٨٨١ الا ان التنقيب المنظم والبحث المستقصي لم يبدأ الا في سنة ١٨٩٩ وقد
قامت بهذا الامر العلمي البعثة الالمانية برئاسة الدكتور كالدواي . وقد نشر هذه العلامة
الالمانية سنة ١٩١٣ كتاباً ضمنه فذلك اعماله وقد رجم هذا السفر الجليل الى
الانكليزية سنة ١٩١٤ . فنقطتف من الترجمة فذلك موجزة غاية الانجاز
فنقول :

وجد الدكتور كالدواي عرض اسوار بابل يتراوح بين ١٢ و ٢٢ متراً . ولم
يتجاوز في غيرها من المدن القديمة ٢ امتار . وان ارتفاع تلوى التراب يتراوح في
بابل بين ١٢ و ٢٤ متراً واما سائر المدن المندثرة في العالم لا تعلوها حضبة يفوق

ارتفاعها سبعة أمتار . وقد كانت قائمة أعماله في ٢٦ آذار سنة ١٨٩٩ في الوجهة الشرقية من القصر الى شمالي باب اشتر . وفي ختام تلك السنة اكتشف على جادة طواف الاله مردوخ وبلغ به الحفر الى زاوية الجنوب الشرقية من الحصن الرئيسي وفتح حفرة عريضة على طول الجهة الشمالية من ذلك الحصن . وفي سنة ١٩٠٠ حفر هيكل الالهة نينماخ واكتشف موقع اساكيل في وسط تل عمران وداوم التنقيب حتى ظهرت له غرفة العرش في الوجهة الجنوبية الشرقية من الحصن الجنوبي واطالي جادة الطواف وفي سنة ١٩٠١ حفر على طول خط التل الممتدة بين القصر والصحن وتنفذ البناء القائم في غربي القصر ونقب في هيكل تيب . وفي سنة ١٩٠٢ حفر باب اشتر وهيكلًا مجهولاً وقام بأعمال نظفية في بورسيدا وفارا . وفي سنة ١٩٠٣ اكتشف في الزاوية الشمالية الشرقية من الحصن على بناء معقود يظن انه من بقايا الجنان العاقبة وفي سنة ١٩٠٤ اتم بتل حيرة والمسرح اليوناني وبدأ بكشف سور المدينة الداخلي وتقدم بالتنقيب الى الوجهة الغربية من الحصن الجنوبي والقسم الشرقي من قصر نبو بولصر وفي سنة ١٩٠٥ فتح قسماً من السور الداخلي واستطاع سور سرجون ومبدأ سور آراشتو . واهم ما وقف عليه سنة ١٩٠٦ سور الخندق المنسوب الى امكور بل والبناء الفارسي وما اكتشف عليه سنة ١٩٠٧ جداران حيال هيكل الاله نينماخ . وبدأ بالحفر في المركز . وكانت الاشغال الرئيسية سنة ١٩٠٨ في المركز وافضى به التنقيب الى الوقوف على اقدم طبقة عرفت حتى اليوم ترتقي الى عهد ملوك بابل الاولين . وبدأ بفتح الصحن في

برج بابل ودام هذا العمل الثاني حتى سنة ١٩١١ وعثر على سوري آراشتو ونبو ناهيد في الجادة الواقعة في غربي الصحن . وكانت أعماله سنة ١٩٠٩ في القصر اذ عثر النقبون على طبقة واسعة النطاق متصلة العمران ترتقي الى زمن نبو كدور اصر . واكتشفوا سنة ١٩١٠ على جسر الحجر الذي كان يوصل جانبي الفرات وهيكل اشتر اكيد في المركز واكتشفوا في سني ١٩١١ و ١٩١٢ غير ذلك (١)

ان مدينة ارك المنسوب بناؤها الى نمرود هي اطلال الدركاء . (وركة) الموجودة حتى اليوم في العراق وكان البابليون يسمونها اوروك . وبقايا اطلالها تغطي بقعة من الارض تتجاوز مساحتها ٢٥٠٠ في ٣٠٠٠ يرد واقعة في بعد ٤٠ او ٤٥ ميلاً في شمال غربي الناصرية وقد اكتشف فيها لوفتس في منتصف القرن الماضي هيكل الالهة نيني او اشتر الالهة الحب ويرتقي تاريخ هذا الهيكل الى ما قبل سنة ٢٤٠٠ ق م . (٢) وكانت في ايام عزها من المدن المقدسة عند البابليين وفيها هياكل قدعة ومدرسة للكهنة

وكانت ثالثة المدن اكيد . ظن بعض العلماء ان موقعها كان في شمالي بابل حيث

The Excavations at Babylon by R. Koldewey trans. (١)
A. S. Johns page, VI - VII.

History and Antiquities of Mesopotamia R. C. (٢)
Thomson 67.

استقر الاكويون مدحجرهم من موطنهم وحاذت شهرة بعيدة في عهد الملك سرجون الاول حوالي سنة ٣٨٠٠ ق م وقد ساقهم الى هذا الظن تشابه الاسمين (١) ويظن كذلك ان موقعها كان قرب سبارا او « ابوحبة » الحالية في ضواحي قرية انخمودية (٢) اما مدينة كلنة فقد فرض رولنسن انها تبور معتمداً على نص من التلمود . وجعلها واحدة مع كلنو الوارد ذكرها في اشعيا (٤٠: ٥) (٣) الا ان علماء الآثار رقصوا هذا التعليل . وقد ذهب غيره الى انها طيسفون وآخر الاقوال انها زاريلاب المدون اسمها في الرقم الآشورية ولا يعرف موقعها حتى اليوم (٤)

ان المدن التي جاء وصفها آنفاً كانت واقعة في ارض شنعار (تكوين ١٠ : ١٠) فعلى اي بقعة يطلق الكتاب المقدس اسم شنعار يا ترى ؟ قد جاءت هذه اللفظة سبع مرات في العهد القديم في سفر التكوين ١٠ : ١٠ و ٢ : ١١ و ٩ : ١٤ وفي سفر يشوع ٢١ : ٧ وفي سفر اشعيا ١١ : ١١ وفي دانيال ١ : ٢ وفي زكريا ٥ : ١١ ووردت في رسائل تل المارنة مرة واحدة . وقد ورد مراراً ذكر ملك سنكرة في الكتابات الآشورية المصرية . فيرتشي اد . ماير في كتابه المعبون Aegyptica ان شنعار وسنكرة صوران لدرجة « كرنياش » الاسم الذي كان يطلقه الكوشيون

Encyclopaedia Biblica. Cheyne and Black P. 31-32 (١)

King: Summer and Accad P 37 (٢)

Rawlinson: The Great Five Monarchies 1:20 (٣)

Encyclopaedia Biblica Cheyne and black P. 632 (٤)

على بابل . وان كان وجه لقبول هذا الرأي الا ان علماء الكتاب لا يسمون به تسليماً بآناً (١) وكان المفسرون يقولون بان لفظ « شنعار » مؤلف من حرفين عبريين « شتا » ومعناه اثنان و (آر) او (هر) وان الحرف آر من اصل اشكوزي Seythie او كوشي بابلي .

جاء في كتاب بلينيوس Pliny Ar Malchar (٢) في كتابه ابيدانس Abydenus ار ماكلس وكلاهما يعني نهر الملك (٢) فيكون مفاد شنعار « ارض النهرين » وقصارى القول ان المفسرين قد اختلفوا في تأويل شنعار ولم يتوصلوا الى تعيين موقعه تعيناً مدققاً وان غلب القول على انه ارض بابل .

بعد ان جاء الكتاب المقدس بذكر المدن الاربع التي في ارض شنعار انتقل الى بلاد اشور واورد اسماء اربع مدن أخرى واسم بناءها الى اشور فقال « من تلك الارض خرج اشور وبني نينوى ورحوبوت غير وكال . وراسن بين نينوى وكال . هي المدينة الكبيرة تكوين ١٠ : ١١ و ١٢

نينوى : اذا وقفت في مدينة الموصل على عدوة دجلة اليمنى ونظرت الى عدوة اليسرى تراءت لك اطلال « نينوى » وقورنجق « في آثار تلك المدينة الآشورية العظيمة تبقيا المدينة التي ارسل اليها الرب يونان (يونس) ليعظ في اهلها ويدعوهم الى التوبة . وكانت مسيرة ثلاثة ايام (يونس ٣ : ٣) وفيها اكثر من اثني عشرة دوة من الناس الذين لا يعرفون عنهم من شمالهم (يونس ٤ : ١١) .

Encyclopaedi Biblica P 44 77 (١)

Rawlinson The Five Great Monarchies 1. 2 note 2 (٢)

لم يتفق المفسرون وعلماء الآثار على معنى نينوى ومصدر اشتقاق هذه الكلمة. فقال بعضهم أنها مؤلفة من حرفين معناهما « بيت الحوت » وارتأى آخرون أن هذا الحرف ليس سامياً بل أنه مشتق من ني - نا - آ وقد فسره دلتش « مئوى الراحة » وقال فربق أن الحرف نينوى مشتق من نين يا . ومعناه « سيدني » .

أن تاريخ نينوى مختلط بتاريخ آثور اختلاط الراح ببناء . لا بل أن معظم معلوماتنا عن ملكة آثور آثانا من الوثائق التي عثر عليها في قصر أسور باني في نينوى . وقد أراد نينوى غير واحد من المؤرخين المتأخرين ومنهم كنتسياس وديودورس الصقلي صقع آثور الواقع بين الأنهر الأربعة مع أن الديانات التاريخية تؤيد أن كالح لم يفتح نينوى منذ عهد سرجون Sargon حتى سقوط هذه المدينة بل أن كل مدينة كان يحكمها وال (واسمه في الآثورية شككو) وأن اسم نينوى يأتي في جدول المدن بعد كالح .

أن آية الكتاب المقدس تدل على أن مدينة آشور « وهي اليوم أطلال شرقاط » (١)

(١) أوفاعة شرقاط أو شرقات أو شركات وسهادا الترك طوبراق قلعه . وعرفها النصارى الكلدان والسريان بشهر كرد أو شهر قرد أو شهر قرت وكانت إحدى أسقيانهم وتبعد ٤٠ ميلاً عن مصب الزاب الكبير و ٥٠ ميلاً عن أطلال نمرود و ٥٧ ميلاً عن الموصل وهي واقعة على عدوة دجلة الغربية . وأول من أظهر خطورة هذه الأطلال في القرن الماضي السير ريج . وزارها لايرد في سنة ١٨٤٥ ووجد فيها

كائنات موجودة لما بنيت مدينة نينوى . ولكننا لاتمكن من معرفة تاريخ بنائها بل هناك ظاهرات تاريخية نعلمنا من الوقوف على هذه الحقيقة المنشودة . حتى أن بعض العلماء يقدمون تاريخ بنائها على مدينة آشور نفسها . وقد استولى عليها غير واحد من ملوك بابل في أزمنة متوالية في القدم ووسعها وحسنها وسمى نفسه « مؤسس نينوى » . وشيد غيرهم الهياكل فيها بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٥٠٠ قبل المسيح ومنهم جوديا وديونكي . وفي حوالي سنة ٢٠٠٠ قبل المسيح ذكر حوربي أنه عمل في تنظيم « ني - نو - آكي » هكذا ورد اسمها في مقدمة شرائع حوربي . وفي القرن الخامس عشر قبل المسيح أعربت الآلهة آشور نينوى عن رغبتها في الرحيل إلى مصر التي أحبها فبعث نوسرائي ملك ميتاني تمثالا من عائلتها إلى المنحطب الثالث وجدد شامناصر الأول هيكلها في نينوى حوالي الألف الثالث عشر قبل

بعض الآثار القديمة . وتقب رسام بمشارفة رولنسن وعثر على ثلاث أسطوانات من عهد تغلتيلاصر الأول نحو ١١٠٠ سنة ق م . وفيها ذكر تجديد بناء هيكل أبو ورمنا قلم به شمشي رمان نحو سنة ١٨٢٠ ق م . وعرف من هذه الكتابة أن أطلال شرقات هي بقايا مدينة آثور أقدم عاصمة لملك الآثوريين . وقد جاء ذكرها في مقدمة شرائع حوربي مع نينوى وقال عنها في ذلك العهد أنها قديمتان كل القدم . وقد دلت التنقيبات التي قام بها الألمان بين سنة ١٩٠٣ و ١٩١٤ أن سكان آثور القدماء لم يكونوا ساميين بل شريين أو على رأي بعضهم حيين فاب تحقق ذلك يكون في آثور مدينة تاريخها منذ ٣٥٠٠ سنة ق م أو ما فوق ذلك .

المسيح . وفي القرن الحادي عشر اتخذ آشور بن كالا ابن تغلبلاصر الاول نينوى عاصمة ملكه .

وفي القرن السابع ق م شاد فيها سنجاريب ابنة فحمة وواسعة وحصنها بأسوار منيعة . وكانت محيط المدينة عندما نبوا عرش الملك ٩٣٠٠ ذراعاً فأضاف إليها ١٢٥١٥ ذراعاً فبلغ محيطها ٢١٨١٥ ذراعاً . وجعل لها في سورها خمسة عشر باباً . سبعة ابواب في الجنوب والشرق وثلاثة في الشمال وخمسة في الغرب . وحسن مجاري المياه فيها فبنى حوضاً قرب العيون الواقعة الى الجنوب الشرقي منها واسال المياه الى المدينة بقنوات . وكري نهراً وشعبه لري جناته وحدائقه . وانشأ في قسم من المدينة حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان وغرس فيها انواع الشجر والثمر التي اتي بها من الاحتجاج المختلفة وبينها كن القطن . وجعل فيها انواع الحيوان ومنها الخنازير البرية . وكانت الاشجار مأوى لافانواع الطير والمياه مسرجاً مختلف اجناس طير الماء . واتي من الممالك المختلفة بانواع الغنائم فزين بها تلك المدينة التي اصبحت عاصمة جميلة تجمع بين جدرانها نقائس الصنائع وبدائع الآثار وشامخ الحضارة وحافظ على تلك الحضارة وزدهو المدينة كل من ابنه اسرحدون وحفيده آسور بدييل .

لا يعرف شيء كثير عن نينوى بعد وفاة آسور بدييل بل يظهر ان ابنه آسور اتيل الابن وسنشاراشكون (وهو الذي يسميه اليونان سارا كوس Sarakos) كانا ضاربي القوى مقلولي العزيمة فطمعت فيها الدول المجاورة لآشور واخذت تزداد

دولتها بقلص رويداً رويداً الى ان زال . وكان سقوط نينوى بين سنة ٦٠٨ و ٦٠٦ ق م . بيد انه ليس لدينا معلومات واقية عن خراب نينوى وسقوط بانياتها واندثار قصورها . ولابد ان النار والعرق كانا عاملين عظيمين في زوال مجددها . فان آثار النار ظاهرة في بقايا غرف قصر آسور بدييل . ويؤيد هذا القول ما جاء في تاريخ اوساينوس نقلاً عن آبدينوس ان سنشاراشكون آخر ملوك آشور حبس نفسه مع حرمه في قصره وشعله فانوا حرقاً . وجاءت الامطار فقوضت ما كان قد ابقته النار وزادت في اطين بلة مياه دجلة والخورس . وقد قال باخود النبي منذر اشدك (٦١٢ : ٦١٠) ابواب الامهار انفتحت والقصر قد ذاب . . . ونينوى كبركة ماء منذ كانت ولكمهم الان هاربون . وقد جاء في الفصل الثالث من السفر عينه في الآيتين ١٨ و ١٩ انست رعائك يمالك آشور اضطاجعت عظماؤك تشتت شبك على الجبال ولا من يجمع (١٩) ليس جبر لا تكبارك . جرحك عديم الشفاء كل الذين يسمعون خبرك يصفقون بايديهم عليك لانه على من لم يمس شرك على الدوام ؟

اذا انطوى بساط مجد نينوى قد كرها لم ينطو من الازدهار ولم تنس الاجيال التي توالى على الارض موقع هذه المدينة العظيمة مركز التجارة ومورد الغنى . فهذا أميانوس (Ammianus) الذي مات قبيل سنة ٤٠٠ ق م يقول عن نينوى انها مدينة عظيمة من قطر حدياب (١٨ : ٧) وقد ذهب بعض العلماء الى ان قوله هذا يدل على الموصل . ومهما كانت الحالة فذكره نينوى دليل باهر على ان اهم هذه المدينة يتردد في خاطره . وان السكتية السريان التتاري من شرفيين

(كردان ونياطرة) وغريبين (سريان ونيصقية) عرفوا موقع هذه المدينة .
 وكان للنياطرة اسقية ينوي . ولم يغفل كتبة العرب عن ذكرها كالمسعودي
 وابن حوقل والمقدسي وابن بطوطة والبلاذري وذكرها السباح
 الاورميون الذين زاروا هذا القطر منذ نزله بنيامين التطيلي (١١٧٣ م) . الا ان
 اول من درس اطلال هذه المدينة من العلماء المحدثين درساً منظماً المستر ريج
 (E. J. Rich) فنصل بريطانيا في بغداد وذلك في اثناء رحلاته الاربع الى
 الموصل بين سنة ١٨٠٨ و ١٨٢٠ ونهت ابحاث ريج الحكومة الفرنسية الى
 الحفر والتنقيب في تلك الاطلال فعهدت بالامر الى فنتسها المسيو بوتا Botta في سنة
 ١٨٤١ - ٢ . وعقبه في التنقيب السير هنري لايرد Sir H. Layard مرتين
 (١٨٤٥ - ٤٧ و ١٨٤٩ - ٥١) ثم توالى النباش في اطلال نينوى وقام به سنة
 ١٨٥٤ المستر هورمزد رسام (ودو موصل الى الوطن كما اني الطائفة) ثم جورج سميث
 G. Smith ١٨٧٣ - ٧٦ ورسم مرة ثانية الى سنة ١٨٨٢ . وكان معظم التنقيب
 في تل فوينجق للمعابد القائمة في حفر تل نبي يونس اذ يعتقد الاهليون ان
 هناك مدفن النبي يونس والارض مقدسة لا تمس . ومع ذلك فقد وجد من نقائش
 العاديات في اطلال نبي يونس ما لا يستهان به .

الى هنا اقف في البحث عن نينوى . ومن اراد التوسع في تاريخ هذه المدينة
 العظيمة فعليه بمراجعة المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة هذه الاسطر (١)

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black Nineveh
 Encyclopédie Biblique. Vigoureux Article Ninive

(رحوبوت غير) هذه المدينة الثانية من مدن آشور الوارد ذكرها في كتاب
 التكوين على ما مر بك . لم يتوصل العلماء حتى اليوم الى تعيين موقعها وباتت هذه
 المشكلة في غياهب الهممات . وغاية ما في الامر انهم وجدوا ذكر مدينة ربيت نينا
 في رقيمي سر جون وامير حدود وارض كانت فيها مدينة ملجانوبا القديمة وعلى اسمها اقام
 الملك سرجون مدينة دور شريكنا وهي اطلال خورسا باد الحالية (١) . ومن
 ظنيت المؤرخين المبينة على الاحمال ان رحوبوت غير تمثل ربيت آلي Rebit Ali
 وهذه توازي لفظ ربيت نينا وهو اسم كان تطلقه العامة على مدينة دور شريكنا .

فلفظ ربيتو يعني في الاصل الرحبة او الرض والارض التي هي خارج اسوار المدينة
 او الحقول والمزارع . وقد ورد هذا اللفظ مراراً في الرقم الآشورية ومنها ان
 سرجون قهر في اول حكمه حنانيا سحاش ملك عيلام في ربيت دور ابلي . ودخل

By Nile and Tigris by W. Budge vol 11 : 1-29.

Niniveh and its Remains by sir H. Layard.

Perrot and Chipiez. Art in Chaldea and Assyria.

Maspero. histoire des peuples anciens de l' Orient.

(١) دور شريكنا (او جدار شريكنا) مدينة بناما الملك شريكنا (سرجون)
 الذي ثبوا عرش آشور بين ٧٢٢ و ٧٠٥ ق م . وقتل اليها بلاطه . وكان ميل ملوك
 آشور ان ينقلوا عاصمة بلادهم الى الشمال متبنيين دجلة . وموقعها في قرية خورسا باد
 الحالية في شمال شرقي نينوى . وقد اكتشف اطلالها المسمى بوتا الفرنسي في
 منتصف القرن الماضي .

اسر حيون دخول ظافر ريت نينوى بعد ان استولى على حيدر . وكثيراً ماورد
هذا اللفظ مضافاً الى اسم الملك فيقال ريت رماني ايلواي رحبة اوريش رماني ايلو .
فاذا كان هذا الحال في رحوبوت فلم يقف العلماء على مدينة مذمومة الى رجل اسمه غير (١).
— كالج — هذه المدينة الثالثة التي ذكرها الكتاب المقدس في اشور وقد وصفها
اشور ناصر بل في ايام عزها ونسبها الى شلمنصر الاول وقال انها كانت عاصمته .
وقد اثبت لايرد ورسام وجورج سميث في حفرياتهم انها في اطلال عمود واقعة
على بعد عشرين ميلاً الى جنوبي تل قوونجق . وهي في لسان من الارض بين دجلة
في الغرب واطالي الزاب في الشرق ومحصنها في شمالها التلول وجدار شمالي وفيها
على اقل تقدير ٥٨ برجاً . وكانت المدينة متيعة ويسيل اليها الماء بقنوات من الزاب
الاغلى وفيها الحدائق والجنان . وكانت تقوم على سطحها المشيد من اللبن المغطى بالصخر
تلك القصور التي شيدها اوجدد بناءها كل من شلمنصر الاول نحو ١٣٠٠ ق م .
واشور ناصر بل وشلمنصر الثاني وتغلباصر الثالث وسرجون واسرحدون واشور
ايل ايلاني . وكانت مقر البلاط الملكي على عهد هؤلاء الملوك الا ان اسمها لم يرد
في الجداول الرسمية اولا . وكان عدد سكانها دون سكان نينوى بل دون سكان
اشور . وقد تلافي هذا النقص اشور ناصر بل واسكن فيها الاسرى بعد ان جدد
بناها .

ويظن انه كان في كالج كما في سائر مدن آشور وبابل سجلات رسمية ومجموعات

(١) Encyclopaedia Biblica by Cheyne and Black

ادبية للملوك . وقد عثر على صفائح في اطلال عمود استخرج منها ان سنحاريب نقل
خزانة كالج الى نينوى . (١)

— راسن — هذه آخر المدن الاربع الاشورية التي وازي بها الكتاب المقدس
المدن الاربع البابلية . وحدد موقعها بين نينوى وكالج وقال عنها انها المدينة الكبيرة .
وقد ذهب بعض العلماء الى ان بقاياها اطلال السلامية . وقال بوشارت وبارك اخيراً انها
لارسا التي ذكرها زينفون . ولم يعرف موقعها وان جعلها فردريك ديج واطلال عمود
واحدة ولم يعثر الباحثون في الرقم التي نشرت الى اليوم على مدينة بهذا الاسم
ولها خطورة تضاهي الخطورة التي يستلها الكتاب اليها . وغاية ما جاء في وصف
بافيان سنحاريب اسم رارا اشعيني (ريش عيني) اي رأس العين وهي مدينة يظهر انها
كانت قريبة من نينوى وليس ما يدل على قدم عمارتها . وربما يقف العلماء على هذه المدينة
ان حفرت هذه الديار باجمعها .

ومما يحير الاذهان ان من المدن الاربع الاشورية مدينتين وهما : رحوبوت غير
وراسن لم يتمكن العلماء من تعيين موقعها . فهل هناك يا ترى تصحيف في الاسمين
او ان موقعها ليس في اشور . هذا ما ندع الحكم فيه الى العلماء الكتابيين المتوغلين
في هذه المباحث المتصلعين من لغة التوراة (٢)

(١) راجع Encyclopaedia Biblica By Cheyne and Black

و Layard : Nimveh and its Remains

و Dictionnaire de la Bible F. Vigoureux

(٢) Dictionnaire de la Bible : F. Vigoureux.

ب برج بابل - ان القسم الاول (من العدد الواحد الى العدد التاسع) من الاصحاح الحادي عشر من سفر التكوين مرصود لرواية بناء بابل وبرجها وتبليط الاسنة . اما بقية بابل فقد مر الكلام عنها في مطاوي بحثنا عن ائذن الاربع التي بناها نمرود في ارض شنعار . واول امر يستوقف انظارنا وصف مواد البناء عند البابليين : وقال بعضهم لبعض هلم نصنع لنا لبناً ونشوه شيئاً . فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهم الحجر مكان الطين (تكوين ١١ : ٤) . ارض بابل متكونة من غريل النهرين حيث لا صخور ولا احجار طبيعية فالحاجة اضطرت السكان الاولين الى عجن التراب وصنع اللبن منه وشبهه . واتخاذ آجر للبناء . الامر الذي نشاهده اليوم في العراق بعد مرور آلاف من السنوات على رواية التوراة . كما ان الابنية البابلية مشيدة اما باللبن واما بالآجر الا ما شيد منها وقليل ذلك الشذوذ .

اما اتخاذ الحجر في الابنية فقد شاهد النقبانيون ان كثيراً من ابنية بابل الفخمة وارجحها الشائعة وحصونها المنيعة واسوارها الضخمة قد بنيت بالحجر عوض النورة او الخص . ولا حصر يتابع في هيت وضواحيها وقد ذكر نقله الى بابل دبرودوتس . وكان ينقل على ظهر الحيوانات او في النهر ويتخذ للغاية التي ذكرها الكتاب المقدس .

وقد آن لنا ان نتكلم عن برج بابل ذلك البرج الذي سارت في ذكره الركبان ، ونحدث به الاجيال ، وتناقلت اخباره الرواة . وقد اثبت العلماء مؤخرآ انه لم يكن الا برجاً من الابراج التي اربدها البابليون لعبادة النجوم واقاموا لهم في كل بلد من

بلادهم واحداً منها واطلقوا عليها اسم الزقزاقا .

وقد اختلف السياح والعلماء في تعيين موضع برج بابل كل مختلف وذهبوا مذاهب شتى في امره . فهذا بنيامين التطيلي الذي زار العراق في النصف الاخير من القرن الثاني عشر قال انه برز نمرود وقوله هذا جاء وفقاً لما جاء في المدراس . والسياح الذين همطوا بابل في القرن السادس عشر والقرن السابع ذهبوا الى ان اطلال عقر قوف (١) هي بقايا البرج المشوه به . وقال برون دلا فاله الذي سكن بغداد في القرن الثامن عشر ان برج بابل هو الاطلال التي تشاهد في بابل وقد اثبت بعده رسام على انها بقايا الجنان المعلقة ولم يأت القرن التاسع عشر حتى بعثت نظرية برز نمرود من رسمها وايدها ريج Rich وكر بورر وتبعهما معظم العلماء مستندين على رقم نيو كندراسر الذي وجد في بورسيبا . ان اطلال البرز في الحقيقة ماهي الا بقايا هيكل الاله نبو في بورسيبا وكان تسمى في عهد اشور بانيبيل (٦٢٦ - ٦٦٨ ق.م) بابل الثانية . وان برج بورسيبا ليس هو برج بابل . فان ذلك المقام كان على عدوة الفرات الغربية وقد اختلف العلماء في تقدير بعد بورسيبا عن بابل ولكن لا يقل على كل حال عن ثمانية اميال وربما تجاوز عشرة اميال . واما بابل فكانت على عدوة الفرات الشرقية

(١) عقر قوف . تل واقع على بعد ستة او سبعة اميال من شرقي بغداد ويرتقي هذا الاثر الى عهد الدولة الكشية في القرن الثالث عشر ق.م وهو من بقايا مدينة دور كوركازو ويبلغ ارتفاعه نحو ١٢٠ قدماً ونحوه ١٠٠ قدماً ومحيط قاعدته بين ٢٧٠ و ٢٨٠ قدماً .

وهيكلا المرصود للاله بيل فيه زقرتا عظيمة يصح ان يطلق عليها اسم « برج بابل » .
ونأسف على اختلاط المرجين على العلماء اي برج نبو في بورسيبا وبرج بيل
في بابل . وكان ملوك بابل في كتاباتهم يجمعون بين اسا كيلا هيكل بيل وازيدا هيكل
نبو كما جمع اشعيا النبي بين الالهين المذكورين اذ قال « قد جثا بيل الخنى نبو »
(١ : ٤٦) .

رأينا ان هيكل بيل في بابل كان يسمى اسا كيلا اما برجه (زقرتة) فكان
يسمى انيمن آنكي E—Temen An-Ki . فاصح الاراء ان هذا هو البرج الذي
اطلق عليه الكتاب المقدس اسم « برج بابل » . وعلى ذكر الابراج عند البابليين
قرب هياكلهم او زقرتهم كما كان يسميها اصحابها نقول انهم كانوا يبنونها ذات
سبع طبقات مختلفة الالوان ويرصدون كل طبقة لسيار من السيارات . وقد ذكر
هيرودوتس في كتابه (١ : ١٨١) برج بيل ووصف هندسته وانه مؤلف من ثمانية
ابراج الواحد فوق الآخر وفوقها هيكل عظيم الا ان كلدواي يشك في وصف
هيرودوتس ويعتقد ان الابراج لم تكن على شكل مدرج : (١) . وخالفه في رأيه هذا
برج وانبت رواية هيرودوتس مستندا الى نقش في إحدى الصخور من عهد مردوخ
بلادان الاول (١٨٥٠ ق م) يمثل قسماً من طبقات برج ازيدا في بورسيبا وصورة
رمزية للاله نبو . وما يقال عن برج ازيدا يصح على برج انيمن آنكي .

Koldewey : Excavations at Babylon Trans Agnes. (١)
S. Johns Page 194.

لا يعلم تاريخ بناء انيمن آنكي او برج بابل ولا تاريخ خرابه اذ جاء مكتوباً في
اسطوانة عن لسان نبو بولاصر « في هذا الوقت امرني الاله مردوخ ان . . . برج
بابل لانه تضعض قبل عهدي وبلغ الخراب وان امكن اساسه في قلب الارض
ونحها حتى تبلغ قعر السماء » .

وجاء عن لسان نبو كدنصر « ان ارفع قبة انيمن آنكي حتى يواطع السماء »
وقد ورد في كلتا الكتابتين ان مواد البناء قد اخذت من اللبن والآجر والحجر
والطين وخشب ارض لبنان (١) .

ولما غزا اسكندر الكبير بابل (٣٢٣ — ٣٢١ ق م) رآه في حالة الخراب
واراد ان يحدد بناءه فاعد الآجر لذلك وأنفق نفقات باضعة بلغت اجور العمال
٦٠٠,٠٠٠ يومية الا ان المنية وافته قبل ان يشرع بالبناء (٢) . وعليه لم يشاهد
هذا البرج احد من الذين جاؤوا بعد اسكندر الكبير فتحملهم الظنون على ان برز
ممرود الثالثة انقاضه هو برج بابل .

لا يلفظ اسم برج بابل الا ويتوارد الى ذهن السامع امر ان الاول اصل الالهي
وتوحيدها وتبليها والثاني وحدة اصل البشر وتبليدهم . فانهما مرتبطان كل الارتباط
برواية برج بابل وبنائه على ما في رواية التوراة وكما موضعين جليان لاجتات عديدة

E. W. Budge : by Nile and Tigris Page 269. (١)
Koldewey Excavation etc 195. (٢)
Strabo XVI. 1.5. (٣)

ومناقشات مسببة بين العلماء ، لا بأس من الإبقاء عليها كما أنه لا سبيل لنا إلى التبسط فيها في هذه الحالة .

جاء في التبريل العزيز : « وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة »
 « تك ١١ : ١ » اتفق العلماء في هذه المسئلة إلى قسمين منهم من يثبت رواية الكتاب الكريم في أصل وحدة اللغات ومنهم من يؤيد تعدد أصولها وتفرق آراؤهم في أصل البشر فمنهم وافقوا موسى الكليم في وحدة أصل البشر . « وقال الرب هوذا شعب واحد ولسان واحد » (تك ١١ : ١) فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض (تك ١١ : ٨) . ومنهم من قالوا بتعدد أصول الجنس البشري . وقد نشأ من اختلاف العلماء في أصول اللغات والجنس البشري أربعة مذاهب علمية : المذهب الأول اتباع رأي التوراة القائل بوحدة أصل اللغات والجناس . المذهب الثاني تقيض المذهب الأول شيئاً بشي وهو يقول بتعدد أصول اللغات والجناس معاً والمذهب الثالث يرثي وحدة أصل اللغات فقط دون الجناس والمذهب الرابع يعاكس المذهب الثالث فيقول بتعدد أصول اللغات ووحدة أصل الجناس . ومن أراد التوسع في هذه المباحث الخطيرة فعليه بمراجعة المؤلفات العديدة الموضوعة فيها .

إذا ندرجنا في قراءة الأصحاح الحادي عشر من سفر التكوين وباتنا الآية الثامنة والعشرين نقف على وطن نازح أبي إبراهيم الخليل (ومات هارن قبل نازح أبيه في أرض ميلاده في اور الكلدانيين) ثم جاء في الآية الواحدة والثلاثين من الأصحاح فيه خبر نازح من وطنه إلى أرض كنعان . (واخذ نازح إبراهيم ابنه ولوطاً



الاهول اور السطرائين وطن ابراهيم الخليل

ابن هاران ابن ابنة وساراي كئنه امرأة ابرام ابنه فخرجوا معاً من اور الكلدانيين
ليذهبوا الى ارض كنعان . وورد اسم اور الكلدانيين مرة ثالثة في الاصحاح
الخامس عشر في العدد السابع من سفر التكوين . وجاء في سفر تيموتا ٢: ٢٤ ان
هو الرب الاله الذي اغتوت ابرام واخرجته من اور الكلدانيين وجعلت اسمه ابراهيم .
وبقايا اور هي اطلال المقبر او المكبر كما يلفظها العراقيون اليوم وبما هو حرمي بالذكر
ان بعض الكتبة الذين كتبوا عن هذه الاطلال واعتمدوا على مؤلفات الاوربيين
عربوا اسم هذه الانقاض وفقاً للحروف الافرنجية Al. Mogyar' Mugayyar
تارة بالمغاور وطوراً بام قير وصحححه كما مر بك فسبق هذا اي المقبر او المكبر من القار
وقد عرفها العرب في توار يخهم بذي قار ووقعها مشهورة عندهم .

ان اطلال المكبر واقعة في جنوب غربي ناصرية المتفق (المنشفج المتفق) وتبعد
عنها نحو عشرة اميال وتشمل بقعة من الارض تقدر مساحتها بـ ١٠٠٠ في ١٢٠٠
يرد وتسكاد تكون اهليجية الشكل ومحيط بها سور ترابي (١)

قد نقب في هذه الاطلال تيلر في سنتي ١٨٥٤ و ١٨٥٥ واكتشف الهيكل
العظيم للاله القمر . وانت بعض اقسام هذا البناء يرتقى الى عهد الملكين نوكي
واورانكور . وفي جوار هذا الهيكل وجد بناء وفي اسفله رصيف من آجر يرتقى
الى زمن السمرين الاول . (٢) وقد حفر فيها في سنة ١٩٢٣ بعثة اميركية

R.C. Thomson: History and Antiquities of Mesopotamia (١)
Page 61.

L. W. King: A History of Sumer & Akkad Page 36. (٢)

بريطانية وحجرت معبد آله القمر وظهر ان بناءه يحدد على حوالي القرون . وظفرت
بتمثال آله القمر وحتى كثيرة مختلفة .

ومن العجيب ان اطلال اور التي تشاهد اليوم على بعد ١٥٠ ميلا عن خليج
فارس كانت في ايام عزها مينا، قرب مصب الفرات في خليج فارس وكان لا ور خطورة
سياسية وتجارية ودينية وادبية . اذ كانت عاصمة سلالة نشأت حوالي الالف الثالث
قبل المسيح وكان مؤسسها اورانكور ولم يعلم لأي داع استقامت وما عثمت ان سادت
على جنوبي بابل باجمعه . وكان ما ساء بها على استقلالها انها كقوى الدول السابقة
وانصابت القبائل السامية الى تلك الاقطار وقد نال الساميون منزلة سامية في خدمة
الملوك السومريين . ويظن ان العيلاميين اجتاحوا البلاد واسقطوا سلالة اور في
سنة ٢٢٨٥ ق م . (١) وان انطوى بساط دولة اور في هذا التاريخ الا ان
منزلة المدينة بقيت رفيعة ما وراء ذلك بقرون عديدة .

بقي علينا ان نتعرض هنا للبحث عن الكلدان . واراد الكتاب المقدس
على اختلاف القرون . قد ورد اسم الكلدان في مواضع عديدة من الكتاب المقدس
وبصور مختلفة كاسديم وكاشديم وحسديم . ونسبت اليهم بلاد تلك البلاد الواقعة في
جنوب شرقي بابل على ساحل البحر حيث كان يتدفق خليج فارس في ذلك العهد
وكانت حاضرتها بيت ياكين وورد اسمها في الرقم الآثورية « مات ثامتم » اي
ارض البحر . ويذهب العلماء الى ان اسم ارفخشاد (تكون ١٠ : ٢٢ ، ٢٤)

و ١١ : ١٠ و ١١ : ١٢) تصحيف « اريف كاسديم » ومعناه متاخم الكلدان او نحوهم
فتكون بمعنى ارض الكلدان . وان القبيلة التي زلت من ارفخشاد اندفعت نحو الغرب
وبقيت في ظعها جيلا بعد جيل حتى بلغت ارض شنعار وعبرت الفرات فوصلت مدينة اور .
وسكنت فيها اوحواليها . وكانت هذه المدينة يومئذ حاضرة ملوك شمرين . ويقال
ان اسم الكلدان جاء من رجل اسمه كاسد (تكون ٢٢ : ٢٢) وقال بعض المحققين ان
اسمهم كاشديم ومعناه الفاتكون لانهم كانوا غزاة كما جاء في سفر الملوك الثاني ٢٤ : ٢
(فارسل الرب عليه غزاة الكلدانيين) وكما جاء عنهم في سفر ايوب ١ : ١٧ (الكلدانيون
عينوا ثلاث فرق فهجموا على اجمال واخذوها) .

وقال فريق من الباحثين ان هذا الحرف مشتق من الكشد ومعناه الكثير الرمح
والكسب . وكان الكلدانيون يحبون الكسب والرمح .

ومن اعمالهم في اواخر عهدهم المرافة والتنجيم والسحر . « قامر الملك بات
يستدعي الجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون (دانيال ٢ : ٢) .

وقد ورد ذكرهم في الكتاب المقدس ذكر امة ذات سلطان وشوكة تعيش
بينخ وترفع قد استولت على الحكم في بابل . جاء في سفر اشعيا (١٣ : ٢٣) ها هي
ذي ارض الكلدانيين الشعب لم يكن الخ (و ٤٧ : ١) انزلني واجلسني على الثراب
ايها العذراء ابنة بابل اجلسي على الارض بلا كرسي يا ابنة الكلدانيين لانك
ولاندعين نعمة ومترفة . وهذا سفر ارميا مشحون بذكر الكلدان وجيش الكلدانيين
و ٢١ : ٤ . التي اثم محاربون بها ملك بابل والكلدانيين . و ٢٥ : ١٣ وارض

الكلدانيين و ٣٢ : ٢ وصدقيا ملك يهوذا لايفلت من يد الكلدانيين . و ٣٢ : ٢٨
ها أنا ذا ادفع هذه المدينة الى ايدي الكلدانيين . الى آخر ما في الكتاب المقدس من الآيات
التي ذكرت الكلدانيين وارضهم .

وقد دلت آيات الكتاب ان لغة الكلدانيين كانت اللغة الارمية . فقد جاء في سفر
دانيال ٢ : ٤ « فكلهم الكلدانيون الملك بالارمية » .

وقصارى القول في الكلدان انهم جيل من الناس ظعنوا بادىء بدء الى بلاد بابل
الجنوبية ولم يطلق اسم كادة على بابل باسمها الا حينما اسس نبوخذ نصر ملكة بابل
الجديدة نحو سنة ٦٢٦ ق . م وهذا كان منهم فعم اسم قبيلته المملوكة باسمها (١) .
ومن مدن بابل التي جاء اسمها في سفر التكوين ١٤ : ١ الاسار . فان كان موقع
الاسار يارى ؟ فقد قال الآريون انها كانت حيث تشاهد اليوم اطلال سنكرة .
وقد عرفها البابليون باسم لارسا وهي الى جنوب شرقي اطلال وركاء المار ذكرها .
وقد نقب فيها لوفتس في منتصف القرن الماضي وعثر على رقم ترتقي الى الالف الثالث
قبل المسيح . وقد عظم شأن لارسا بعد سقوط سلالة اور الثانية . واشهر
ملكها من ملوك لارسا وهما نور رمان وابنه سن ادينا وذلك حوالي سنة ٢٣٠٠
ق . م . (٢)

(١) راجع

Z. A. Ragozin - Chaldea 199-201

Encyclopaedia Biblica Cheyne and Black P. 720-1

(٢)

Ibid Page 444

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٧ : ٢٤) واتى ملك اشور بقوم من بابل وكوني
وعواء وحاة وسفروايم واسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني اسرائيل .

فقد بحث العلماء عن موقع كوني وسفروايم . وقالوا ان كوني هي تل ابراهيم في
شمال شرقي بابل وقد ورد اسمها في الرقم كوني وكونو قبيل يهوش بابل وكان فيها
هيكل الاله نرجل واسمه املام ولا يزال آثاره موجودة حتى اليوم ويظهر انها كانت
من امهات مدن بابل الشمالية وكان من واجب ملوك آشور حتى عهد اسور نبيل
ان يضحوا فيها قرابين للاله نرجل (١) اله الموت .

اما « سفروايم » فجاء اسمها في سفر الملوك الثاني ١٧ : ٢٤ و ١٨ : ٣٤ واسمها
١٩ : ١٣ و ٣٦ : ١٩ و ٣٧ : ١٣ . ارتأى العلماء ان هذه المدينة هي سبار
البابلية وبقاياها اطلال « ابوحبة » وهي شاحصة الى اليوم في جنوب غربي بغداد
على بعد ٢٠ ميلاً منها وقد نقب فيها المستر رسام سنة ١٨٨١-١٨٨٢ والاب شيل
سنة ١٨٩٤ ووجدوا فيها رقماً كثيرة ثمينة يرجع تاريخها الى ملوك بابل الاولين .
وكانت هذه المدينة بحماية الاله شمش (اله الشمس) . وجد هيكلا لرام سن ملك أكد
نحو ٢٦٠٠ سنة قبل المسيح . وقيل ان موقعها كانت قبالة سبار على نهر قرب
الفرات وان سبار هي مدينة أكد على ما مر بك ص ١٦ واطلاق البابليون على كتبها اسم سبار
وقالوا السبارين « سفروايم » (٢)

R. C. Thompson : Hist and Anti : of Mesopotamia 64-65 (١)

Z. A. Ragozin, Chaldea 205

(٢)

وجاء في سفر الملوك الثاني (١٨ : ١١) وسي ملك آشور اسرائيل الى آشور ووضعهم في « حلاج » و « خابور » نهر جوزان وفي مدن مادي .

يرتشي بعضهم ان « حلاج » كانت من مدن مادي ويذهب فريق الى انها مدينة كالح عينها المار ذكرها (نك ١٠ : ١١) وقال غيرهم بانها مدينة حلوان او حلوانو او خلوانو في اقليم اردلان وهي اليوم قرية سريول التي تبعد عن بغداد نحو ١٤٧ ميلاً في طريق الجبال لمن يقصد قريديسين (كرمانشاه) وقد ذكر المقدسي انه كان في ظاهر حلوان كنيس لليهود يحترمون كل الاحترام . و خلوان وان لم تكن مدينة حلاج فقد سكنها طائفة من يهود الجلاء ولا يزال منهم بقية باقية في تلك الاصقاع في قصر شيرين وكرند وتتكلم الارمية العامية .

— الخابور — نهر لا يزال يعرف باسمه هذا حتى اليوم وقد ذكر في مؤلفات اليونان باسم « خابوراس » Chaboras وهو من سواحل الفرات وهو نهر كورة جوزان على ما وصفه صاحب سفر الملوك . وعرفت هذه الكورة عند الآثوريين باسم كوزانو وهي واقعة بين طوسان ونصيبين .

يستهل حزقيال النبي سفره بقوله : كان في السنة الثلاثين في الشهر الرابع في الخامس من الشهر وانا بين المسبيين عند نهر كبار . وتكرر ذكر هذا النهر بعد آيتين . اذ جاء فيه « في ارض الكلدانيين عند نهر كبار » . فالترجمة العربية الاميركية التي في ايدينا لم تدع فرقاً في ترجمة اسم خابور الوارد في فصل الملوك المتوه به قبيل هذا والنهر الذي رأى عنده حزقيال رؤياه والحال ان فرقاً يئناً بين الاسمين في النص

العبري . ف نهر حزقيال هو كبار من انهار بابل وقد جاء في كتاب الزبور ١٣٧ : ١ على انهار بابل هناك جلسنا . واول من اشار الى ذلك العلامة تذكروا وايد رايه البجاعة هليخت اذ عثر مرتين على ذكر « نارو كبارو » في الرقم وكان موقعه في شرقي نبور (١) في ارض الكلدانيين وعلى حفته دفن حزقيال .

واذا تدرجنا في قراءة سفر حزقيال الى الاصحاح الثالث العدد الخامس عشر نقف على الآية القائلة : فجئت الى المسبيين عند تل اييب الساكنين عند نهر كبار . فان موقع تل اييب لا يزال مجهولاً . اما معنى هذا الاسم فهو في العربية « تل السنبلة » وقد قال فردريك ديج ان كان هذا الاسم بابلياً فلفظه الصحيح يجب ان يكون « تل ابوب او تل ابوبي » وان لفظ « ابوب » يعني في الآثورية الطوفان فاذا صح تأويله فيكون مفاد « تل ابوب » تل الطوفان وهو تل خراب قديم . ومن التعبيرات الآثورية القديمة التي وردت في الرقم « قد خربت المدينة كتل ابوبي او جعلت المدينة كتل ابوبي » (٢)

(١) نبور وقد عرفها العرب بـ (نقر) واقعة في شمال شرقي الدبوانية ويسمى نهر عشرين ميلاً او في شمالي العقج على بعد اربعة اميال منه يشقها نهر النيل شقين وقد اشتهرت بهيكلها المرصود للاله بيل (انليل) ويرجى (زفرنا) الذي شيده اورانكور في سنة ٢٦٠٠ ق م . ولم يبق منها اليوم الا اطلال بنيت فيها جامعة فيلادلفية في ١٨٩٩ — ١٩٠٠ .

ومن الأنهر التي جاء اسمها في التوراة في اخبار المسيبين نهر احواء (عزرا ٨ : ١٥)
فجمعهم الى النهر الجاري الى احواء . (وفي ٨ : ٢١) وناديت هناك بصوم على نهر
احواء . وفي (٨ : ٢١) ثم ارتحلنا من نهر احواء في الثاني عشر من الشهر الاول
لنذهب الى اورشليم . فيظهر من الآيتين الاوليين ان احواء نهر ومن الآية
الثالثة اسم ارض يسقها هذا النهر .

قد تشعبت آراء العلماء في تعيين هذا النهر والارض التي يسقها وذهبوا مذاهب
شتى في موقعهما . فقد ذهب لكثير ومائير الى انه اديابا او حدياب وجنح هافر نك
الى انه اييه أو آويه وقال بعضهم انه الزاب . وجاء في معجمة الكتاب المقدس انه
مجهول . ولكن موقعه في سقي الفرات . وقالت طائفة من الباحثين ان احواء هو
حيث . وقال الرحالة يهوذا الحريزي الذي زل العراق في القرن الثالث عشر للميلاد
انه نهر سمدة (وربما صحيحه نهر سمرا) وقال ياقوت عن هذا النهر انه في
ارض ميسان وقد رجح الرأي الاخير الاب انستاس الكرملي في مقال ممتع له
في هذا الموضوع (١) . وجاء في سفر عزرا (٨ : ١٥) اسم كسفياء وهو موضع
اسكنى المسيبين . وقد بات هذا المكان من المبهمات التي اشغلت العلماء في حلها .
فارتأى فريق من الباحثين ان كسفياء لم تكن مدينة بل مدرسة جامعة يتلقى
فيها اللاويون دروسهم وكانت قريبة من نهر احواء . وفرض بعضهم اسم طيسفون
(Ctesiphon) تحريف كسفياء (Casiphia) وانهما في الاصل مدينة

(١) راجع وضيفة دار السلام السنة الثالثة العدد الاول ص ١ - ٣

واحدة (١) . وخالفهم غيرهم في الآراء الكثيرة التي أبدوها في هذه المدينة . وكلها لم
تتوصل الى حل بات .

ننتقل هنا الى سفر دانيال الى الاصحاح الثالث منه الى العدد الاول فنقرأ : « ليوكا نصر
الملك صنع تمثالا من ذهب طوله ستون ذراعاً وعرضه ست اذرع ونصبه في بقعة
دورا في ولاية بابل . » فان كان لفظ دورا ارمي الاصل فيعني بقعة او ارضاً سهلة .
ولكن اخذ العلماء فرض ان هذا اللفظ بابلي قديم معناه « حائط » وقد عرفت
ثلاثة امكنة في بابل بهذا الاسم الذي ضبط في الرقم دورو . وعدة مدن بابلية مركبة
من دور ومن حرف آخر . ويفهم من نص دانيال ان هذه البقعة كانت ملتصقة بمدينة
بابل او قريبة من اسوارها .

بعد ان تكلمنا عن مدن بابل وآثور وانهارها وامكنتها التي اتت في الكتاب
المقدس ان لنا ان نتعرض لذكر ديار بين النهرين Mesopotamia كما اطلق عليها
اليونان او بيت نهر ايا كما ساءد الارميون او ارام نهر ايم كما جاءت في الكتاب المقدس
وعند العبريين او الجزيرة جسما عرفت عند العرب .

ان الجزيرة (مزوبوتاميا) هي البقعة المنحصرة بين دجلة والفرات يحددها في الشمال
ارمينية وفي الجنوب اراضي بابل الغربية وكان طول هذا القطر من الشمال الشرقي
الى الجنوب الشرقي لا يقل عن ٣٥٠ ميلاً وعرضه لا يتجاوز مائتي وستين ميلاً في اوسع
نقطة منه . ولا يتجاوز عرضه في بعض الامكنة خمسين ميلاً وعليه فان مساحته لم تتجاوز

(١) Edwyn Bevan : The land of the two Rivers 104 (١)

١٥٠٠ ميل مربع (١)

وكانت بحد الجزيرة الاقدمون من الشمال جبل ماسيوس (طور عبدن) ومن الجنوب سور بلاد ماذي والأنهر التي تجمع بين دجلة والفرات ومن الشرق والغرب الرافدان (دجلة والفرات) .

وقالت العرب ان الجزيرة او جزيرة اقور هي التي بين دجلة والفرات مجاورة الشام وتشمل ديار مصر (Osroëne عند الافرنج) (اي ارض الرها) وديار بكر . ومن امهات مدنها حران والرها والرقه ورأس عين ونصيبين وسنجار والخابور وماردين وآمد وميافارقين والموصل وغير ذلك مما هو مذکور في موضعه (٢) وكانت حران عاصمة بين النهرين يوم نزلها ابراهيم الخليل بعد طعنه من اور (تك ١١: ٣١) والى هذا الصقع توجه اليعازر ليخطب زوجاً لاسحق (تك ٢٤: ١٠) وجاء ذكر هذا القطر في التثنية (٤: ٢٣) وفي سفر القضاة (١٠: ٣) وفي اخبار الايام الاول (٦: ١٩) وفي الزبور (١: ٦٠) .



G. Rawlinson : Parthia 23

(١)

(٢) معجم البلدان مادة جزيرة .

اليهود

في عهد البابليين والآشوريين

اذا كانت بلاد كنعان لليهود ارض ميقاتهم وقلة آملهم وتعلق سعادتهم ومحظ رحلتهم بعد تيمهم ، فالعراق ووطن اجدادهم ومنشأ آبائهم ومهد لغتهم وارض سببهم وما بهم بعد خراب هيكلهم ودمار مقدسهم . واذا كان الاردن نهرهم للمبارك ومياهه مطهرة لعاهاتهم فالرافدان نهران ذكرهما كتاب دينهم بين انهر الفردوس كما ان ذكر شعاع وبين النهرين وبابل وآشور وبلاد ماذي وشوشن حي في ذاكرة هذا الشعب طالما يرى الكتاب الكريم بين ايديهم يتلون قصصه المقدسة صباح مساء ويكررون آياته المنزلة ليلاً ونهاراً ويترنمون بأناشيده ويتغنون بمزاميره على توالي الايام وتعاقب المواسم . اجل لقد ورد ذكر تلك الاقطار في سفر التكوين والملوك واسعيا ودانيال واسثير ويونان والمزامير وغيرها من الاسفار . ويتجدد ذكرها عند تلاوة تلمودهم مخزن تفاسيرهم الدينية وكبر آدابهم القومية .

ويحق لنا في هذا المقام ان نبحث عن الاقوام التي نزلت ارضهم واذكر (١) في

(١) يطلق هذا الاسم على صقع بابل كله . فكان شماله يسمى في العصر المشوغة في القدم اوري او كيوري ويظن ان سكانه كانوا من السومريين . وجنوبه يدعى كيشي . وبعد ذلك العصر العريق في التاريخ حي الشمال اكك وكانت مدته : اكك وسار وكيش (تل الاحيمر) واوئي (باحشا) وكوتى وبابل . وسمي الجنوب شمر ومدته لجش (تلو) وشروباك (فارغة) واور واريدو وارك واوما (جويخا) واداب (بسايا) .

الازمنة المتوعدة في القدم حتى فجر التاريخ لتتوصل الى القبائل السامية التي القت عصا
رحلتها في ارض شعاع ومنها قبيلة نارح ابى ابرهم الخليل .
قال المؤرخ الكلداني يروس : (١) « كان بادى بدء في بابل حشد من الناس
مؤلفاً من عناصر مختلفة سكنوا بلاد الكلدان » .

لا غبار على كلام المؤرخ الكلداني فان ارض بابل اشتهرت بحضنها منذ قديم الزمان
قارتادتها الامم والشعوب من كل صقع . وزلتها القبائل الرحل منذ فجر التاريخ من
كل الديار . ونطق زلاؤها بمختلف اللغات حتى شبهها بعضهم بخلية النحل وحاول
غيرهم تاويل حكاية تابليل الالمنة الواردة في كتاب التكوين باللغات المتباينة التي
كان يتكلمها الشعوب فيها . ولم يقف الباحثون عن تاريخ هذه الديار على الشعب الذي
وجد فيها قبل عصر التاريخ وهو على حالة البداوة والقطرة . وغاية ما توصلوا اليه
انه كان فيها منذ الازمنة البعيدة عنصر ان مختلفا النجار احدها شمري ووطنه جنوبي
بابل والاخر اكدي (سامي) ووطنه شمالي بابل . وكان هذان الشعبان يتمازجان
بعضهما عن بعض باللامح والعادات والحضارة واللغة . ولا يبت العلماء في ايهما اعرق
من اخيه في هذه الديار وان غلب الظن عند بعضهم ان الشمرين اقدم من الاكديين

(١) مؤرخ كلداني عاش بعد ائمة الثالثة ق . م . في عهد حكم اليونان على بابل .
كتب تاريخه في اللغة اليونانية وادعاه اخباراً جلية عن تاريخ بابل القديم وما تورات
الكلدان . فقد الكتاب ولا يعرف منه الا تنقلاً وردت في كتب مؤرخين . ونظان
اصل اسمه الارمني « براميا » اي ابن الطيب .

(الساميين) . وقد قال فريق ان الشمرين تورانيون جاؤوا بابل من الشرق ومروا في طريقهم
بشخوم بلاد فارس واستندوا في قولهم هذا الى شابهة الوجود بين لغتهم واللغة التركية
وسائر اللغات المغولية في آسية الوسطى والى بقايا حضارتهم المكتشفة في اطلال المراق بماكي
الانار المكتشفة في حفريات بدي في ركسان ١٩٠٣-١٩٠٤ . ان الساميين الذين كانوا
يسكنون شمالي بابل وينسبون الى سام بن نوح هم الاثوريون والعبريون (١) والفنيقيون والار-
ميون والعرب والاحباش اذ كلهم من نمار واحد والراجح انهم تركوا من بلاد العرب .
وقد سكن هذان العنصران بابل جنبا لحلب منذ الانف الرابع ق . م فكان
الشمريون يحلقون شعور رؤوسهم وذقونهم اما الاكديون فكانوا ذوي لحى سوداء
وطويلة واخذ كل فريق من صاحبه شيئا من حضارته .

وقد تنازع الدماء هذان العنصران عهداً من الزمان حتى استظهر العنصر السامي
على العنصر الشمري وبرز زراً فاصبح صاحب البلاد الوحيد وحلت لغته محل اللغة
الشمرية وامست هذه لغة تامة كاللاتينية في العصور الوسطى .

وكان في بلاد شمر واكدي في العصور الخالية بجانب سكان المدن اقوام رحل ومن تلك
الاقوام قبيلة نارح التي كانت في اورد الكلدان . ولم يذكر الكتاب المقدس العهد الذي غادر
فيه نارح وابنه ابرهم الخليل تلك الحضرة العظيمة كما انه ضرب صفحاً عن

(١) ان موريس جسترو في كتابه التورات العبرية والبابلية ص ١٥ يقول ان العبريين
دخلوا ارض كنعان وقد امتزج بهم عناصر اخرى ومن المحتمل انه كان بين تلك العناصر
العرب والحثيون .

الاسباب التي ألجأهم الى هذا الامر . وقد توصل الباحثون الى ايجاد تاريخ يضمن هذه القصة من ارض شنغار الى حران وقالوا كان ذلك في سنة ١٩٢١ ق م وجاء في مانثورات اليهود ان تاريخ كان صانع اصنام وترك باسم الله اور الكلدان معبد الكفر ومثبت التوثيق .

ان بعض العلماء المحدثين ذهبوا لمذاهب شتى في تعليل هذه الرواية وتأويلها . واختلفوا تفسيراً لاسم تاريخ ما شاؤوا وعشاء علمهم وقالوا بما قالوا في ابراهيم وكنيائه مما لا يستحق ذكره في هذا الكتاب الموضوع للخاصة والعامة من الناس . ولأنه لا يزال في اطلاق التخرجات ولا يخرج عن حد المظنونات .

سارت تلك القافلة من بلاد الكلدان على حد ما نرى اليوم عشاثر البدو ينقلون من ديار الى ديار اخرى وذهبت الى ارض كنعان وفي رأسها تاريخ وابراهيم . وما عم ان مات تاريخ واصبح ابراهيم ابا القوم ورئيس العشيرة ومن ذلك الحين دعيت تلك العشيرة في التوراة بـ « العبريين » نسبة الى جدّها الاعلى عبر (ويقال سمي كذلك لأنه عبر الفرات) ابي فلغ ابي رعو ابي سروغ ابي نحور ابي تاريخ ابي ابراهيم . ويروي ابن ابراهيم سمي عبرياً اشتقاقاً من العبر اي ان عشيرته عبرت بلاد الكلدان .

من الآراء الشائعة بين العلماء ان ابراهيم الخليل كان معاصراً لأمراة اقل ملك شنغار (تارك ١٤ : ١) وان أمراة اقل هو حوربي الشهير صاحب السرائع وهي اول

السرائع المكتوبة التي عرفها العالم حتى اليوم (١) . وسبق حوربي موسى التكام ٤٣٠ سنة على حساب التوراة و ٧٠٠ سنة على حساب بعض العلماء . وتتفق السرائع الكلدان مع سرائع العبريين في اهم موادها .

لم نكن لتعرض لذكر هذه السرائع البابلية في هذا الفصل لولا علاقتها بسرائع موسى التكام علاقة اشغلت اذهان الباحثين وشجعت قرائح النقد المتفكرين فكثبوا المؤلفات الكثيرة ووضعوا الكتب المديدة في درس هذا الموضوع الخطير . ليوفقوا بين سرائع موسى وسرائع حوربي من حيث اصلها السامي .

نكتفي بالامعان الى هذا الموضوع لتعرف ما بين الشعبين الساميين الشعب البابلي والشعب العبري من الصلات القوية التي تربط القومين بينهما ببعض

(١) عبر على هذه السرائع ج دي مورغان في اواخر سنة ١٩٠١ واولائل ١٩٠٢ في شوش المسماة قديماً برسبوليس وفي سفر دانيال « شوشن القصر » وكانت يوماً عاصمة بلاد عيلام . ووجدت هذه السرائع مكتوبة باللسان الاكدي او السامي البابلي على ثلاث قطع من الحجر . اذا وضع بعضها على بعض تألف منها قصة وفي صدرها صورة حوربي يتلقى السرائع من الله جالس على كرسي وربما كان الاله شمش . وقد جاء هذا الاله النفيس من بابل الملك العيلامي ششوك ناخوند . تذكر ان انتصاره في احدى غزواته في بابل .

والتي تعدى نطاق الطوائف (١)

لم تكن الصلات بين البابليين والعبريين تقف عند هذا الحد من حيث الشرائع بل تعدى الى ما وراء ذلك. وتشمل المأثورات عند الساميين المذكورين. فهذه قصة الخليقة وقصة الطوفان وتقديس يوم السبت وحياة ما وراء القبر تتفق في كثير من مواضع عند القومين. وكذا قل في ادبيات العبريين والبابليين.

يورد هنا على سبيل المثال كيف كان يقديس البابلي والآشوري يوم السبت لتقف ايام الفارسي على حلقة الوصل بين هذين الشعبين الساميين. فكان محظوراً على الناس ان يطلعوا يوم السبت وان يغيروا ثيابهم وان يقدموا ضحايا. وكان محظوراً على الملك ان يكلم فيه الشعب ويركب مركبة وان يقوم بواجب عسكري او مدني وان يأخذ دواء.

الا ان نقطة الخلاف القائمة بين العبريين والبابليين هي ان سبت البابليين يأتي خمس مرات في الشهر وذلك في الايام الآتية من الشهر: في اليوم السابع والرابع عشر والناسع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين (٢)

ولتقف على وجه المشابهة بين الآشوريين والعبريين اذ سمع ما يقوله رولانسن:

(١) راجع Rev. C. H. W. Johns: The Relations between the Laws of Babylonia and the Laws of the hebrew peoples.

(٢) راجع Morris Jastrow: Hebrew and Babylonian Traditions

كان الآشوريون من القبائل السامية الشمالية وكانوا يشبهون كل الشبه العبريين. ان المشابهة الموجودة بين القومين في ملامحهم وتقاليدهم وجوهرهم كافية لتظهر وحدة النسب الواضحة بينهما هذا فضلاً عن تقارب لغتهما بعضهما من بعض تقارباً لا يدع ريباً في وحدة اصلهما.

ولم تقف تلك الروابط عند هذا الحد. بل تعدت الى ما وراء هذه الامارات الخارجية. وتتجلى بانم مظاهرها في بعض الاميال النفسية والافكار الداخلية المتمثلة في دينهم القومي. واريد به مبدأ التوحيد الذي ادخله الآشوريون في دين البابليين فقبلوه بكل ارتياح كأنهم جاؤوا به من موطنهم الجنوبي. حافظ الآشوريون على هذه العقيدة كاخوتهم العبريين. الا ان فرقاً بيناً كان بينهما من حيث تفاصيل هذه العقيدة. ان حكماء العبريين اتخذوا قاعدة ثابتة لمعتقدهم التوحيدي وهي لا تلتوي واوجهوها على انبعاثهم المخالفين لهم وذلك، بحرارة ونشاط لا يخفف منهما مقاومة او كفر. اما كهنة آشور فانهم وان كانوا يريدون نشر هذه الحقيقة الا انهم لم يقاوموا التقاليد القديمة ونظام الدين الموضوع بل حافظوا على مجموع الآلهة البابلية. ونظريات انبعاثها المتعاقب، وبألوانها العظيمة وأهبطها الحسة السكوكية، وجماعة من الآلهة التي هي دون الاولى مرتبة ولكنهم كانوا يضعون في مقدمة تلك الآلهة وفي اعلاها الاله الواحد والرب الذي يعترفون بانه السامي ولم يدعوا اسماء اللباس تحت به. وان يضع بين ثنايا الالهة المبهمة بل كانوا يصفون له ذاتية متميزة. ويسمونه باسم شخص ويدعونه «اشور».

واصاب المرمى رولانسن اذ قال: ان الارواح الآشورية تكاد تكون

متشابهة لأرواح العبريين وينسبون إليها جميع أعمالهم العمومية .

وكان العبريون يقدمون ضحايا الحروب في هجوماتهم على الفائل المجاورة إلى خدمة "يهوه" ولم يغفل ملوك آثور أن ينسوا انتصاراتهم وفتحاتهم إلى آثور وكان شعاره يتقدمهم في الحروب .
إلى هنا نقف في البحث عن صلات العبريين والبابليين فلنرجع إلى أبرهم والمهاجرين .
كان المهاجرون العبريون من بين الهرين يذكرون وطنهم ويصوبون إلى ديار مولدهم
وخطبون أزواجاً لأولادهم من بنات بين الهرين وكانوا يعدونهن اشرف نسباً وأعرق
حسباً من بنات يهود كنعان .

وصل أبرهم أرض كنعان ومن هناك سافر إلى مصر وبقى العبريون فيها نحو
اربعة عشرة سنة يوماً في نعم ويوماً في بؤس . فلاقوا من الفراعنة كل حفاوة وإكرام
كما أنهم يحملوا منهم مفضل الخيف والجور . حتى قبض الله لهم موسى الكلام فأنقذهم
من رق المصريين . وبعد ثمانية دأر اربعين سنة في بركة سيداء حلوا أرض الميعاد
وكان يتولى شؤونهم القضاة . وهناك أسسوا ملكة اسرائيل الاولى وقام منهم ملوك
واسمهم داود وابنه سليمان الحكيم .

جرت كل هذه الخطوب ومررت القرون وتماقبت الاجيال ومضى نحو ١٢٠٠
سنة ولم يرد ذكر بلاد بين الهرين في توراة موسى ولم يقل شيئاً الكتاب عن بلاد
بابل وآثور حتى حل شلمنصر ملك آثور حملة شعواء على هوشع ملك اسرائيل ففقد
هذا الملك محالفة مع ملك مصر سوا (١) دفاعاً عن حياض ملكته . الا ان

(١) هكذا جاء اسمه في الكتاب المقدس وهو عند المؤرخين شالاك .

ذلك التحالف لم يجده نفعاً بل خاضر شلمنصر السامرة وقبل ان يظفر بالنصر الهائي
واقته المنية . وكأني بالاقدار قد رحدث ذلك النصر للقائد الآثوري فدخل
عاصمة اسرائيل بعد موت شلمنصر وتوغل جيشه في المدن واجتاح القرى
وذلك سنة ٧٢١ ق.م. فاجلى الجيش الآثوري إلى بلاد ٢٧٢٨٠ اسرائيليا اسكنهم
مدن حاج وجوزان في وادي الخابور ومدن ماني وفي الاسر ايلاميون في وادي الخابور
زمناً طويلاً حتى بعد الفتح الاسلامي ولا يعد ان يكون منهم اليهود الذين ذكرهم
بنيامين التطيلي الذين كانوا يسكنون رأس عين وعند مصدر الهر وفي كركيش
وعند ملتقاء مع الفرات ولكن لم يبق منهم باق اليوم .

ولما كانت سنة ٧٠٢ ق.م. حل الملك سنحاريب على ملكة يهوذا واستولى على
ست واربعين مدينة من مدن اليهود واسر من سكانها ٢٠٠١٥٠ نفساً وتقدم إلى اورشليم
فملع اليهود منه ودفموا اليه جزية عظيمة من ذهب وغيرة وعقد معه حرقياً ملك
يهوذا معاهدة . وبعد برهة نكث العهد ملك اليهود وعقد محالفة مع ملك مصر
فهنز عليه سنحاريب جيشاً جراراً كاد يخرعه الامرين لولم تفش الفتوق على ملك
آثور فاضطر ان يسحب جيشه .

وقد اكتشف النقاؤون في الحلال قونوتحق تورا من الصخر مكتوباً عليه وقائع
تاريخية يسها خبر حملة سنحاريب الاولى على حرقياً ملك اليهود وذلك في الاواح
المحفوطة في دار التحنط البريطانية في الرواق الآثوري المرقمة برقام ٨١١ و ٨١٢
و ٨٣٩ و ٨٤٠ المبتورة من ذلك الدور التاريخي . وفي ردهة الماديات الآثورية من المنحفة

البرصانية بعض النقوش الآشورية تمثل الجندي اليهودي ولباسه والأسرى والنساء
وليأسهم . كان يلبس اليهود الذين يحرسون المعاقل خوذاً دقيقة الرقوس . تختلف
عن خوذا الآشوريين الحاربيين بأنها ذات أهداب مزركشة تنزل الى آذانهم وفي رؤوس
بعض الأسرى ما يشبه العمام يتدلى طرفها الواحد الى الكتف وليس في رؤوس
بعضهم عمرات وشعرهم قصير ولهم لحى . أما لباسهم فهو ثوب يبلغ الركبتين أو
جلباب يكاد يبلغ الوركين على وسطهم زنار ، والظاهر ان هذا اللباس لباس الجنود ،
أما النساء فكان يلبسن اقصة طويلاً فوقها حلة باقية على رؤوسهن وتنحدر
الى اقدامهن المحار أزر النساء الشرقيات .

وفي عهد أسر حدون أسر جيش البابليين منسى ملك اليهود وأرسلوه الى بابل
مكلاً بالقيود راسخاً بالسلاسل سنة ٦٧٢ ق. م . وبعد مدة رفق به أسر حدون
وأرجعه الى اورشليم فبقي خاضعاً له .

وفي سنة ٦٠٤ ق . م انتصب على أريكه بابل نبوكد نصر . الملك القادم وناطقة
الزمان ، فخر البابليين ومقل عزة الكلدان . ومشد نبوكد متبعة الملك طمع في مد
سيطرته على الدول وبدوخ المدن والامصار وحالف يواقيم بن يوشا ملك اليهود الا
ان يواقيم لم يثبت على عهده بل قلب في سياسته مع نبوكد نصر فجهز هذا عليه جيشاً
طاماً وشدد البابليون الحصار على اورشليم وتولى الملك الكلداني شؤون الحصار بنفسه
فدخل المدينة المقدسة ظافراً . وكانت المنيه قد عاجت يواقيم ومالك في مكانه انشد
يهواكين فالسره الكلدانيون هو وامه ونساءه وحاشيته وامر اف بمالكته ورجال

حربه والصناع والافيان ومثوهم الى بابل . ولم يبق في اورشليم الا مساكين شعب
الارض . وكانوا قد سبوا قبلهم جماعة بينهم دانيال النبي والفتية الثلاثة واولاد يواقيم
انعام دانيال . واجلس نبوكد نصر على تخت الملك مثلياً عم الملك ودعا السيد صديقاً
وذلك سنة ٥٩٧ ق. م .

وصلت قوافل الأسرى بابل فساد أحد اليهود من أبناء جلدتهم جالسة ضخمة
من اعقاب أسرى شامناصر وسنجاريب واسر حدون (١) فعمانقوا معانقة اعز
الاخوان وتماوتوا في منقاهم على حفظ كيانهم وصيانة تقاليدهم من كل مس تلك التقاليد
التي ينزلها الشرقيون في حياتهم القومية منزلة غراء ويحاربها الساميون في اخلافهم محل
القلب من الجسد .

كل أمة ينضب معين قوتها ويذب اليها دبيب الضعف يلبثت عامها امرها ويستعجم
تدير شؤونها ولا تعرف من تحالف من الامم القوية المتصم بها وتبتد اليها في مجزها .
هذا كان شأن المملكة اليهودية في اخريات ايامها اذ وقفت وقفة حائرة بين الدولة المصرية
والمملكة البابلية .

قرر اخيراً صدقياً ملك اليهود ان يرفع لواء العصيان ويخارب البابليين ولكن سرعان
ما انقض عليه الكلدان وحاصروا اورشليم اشد الحصار فلم يجدهم معاً مجذبات المصريين
ولم تفسله جنود ملكهم حفرع من تلك الورطة . وفي اثناء الحرب كان ارميا النبي
يخاص النصيح لليهود ليخطفوا وادالياً يلبين ولكنهم لم يصغوا اليه بل باخوا في شعاب العزور .

(١) لم يذكر ذلك أحد من المؤرخين بل انه ظن بحت .

انتهت تلك الحرب بنصر الكلدان نصراً مبيناً ، فدخلوا اورشليم بفسادة
فوادعهم تركل شراصر وسمكرنبو وسمرسخم وغيرهم وقر صدقيا ملك اليهود من
وجه القامحين الا انهم ادركوه في سهل اريحا واتوا به الى نبوكد نصر فاغلقوا
معاملته وامر بقتل اولاده واشرافه ولكنه على مرأى منه ثم سئل البابليون عنيته
وشدوه بسلاسل من النحاس واتوا به الى بابل وخرب نبو زردان رئيس الشرطة
اورشليم وهدم اسوارها وسبي جميع السكان الى بابل واستباح ذمارهم واتلف
خضر اءهم وغضراءهم وذلك سنة ٥٨٦ ق م .

تفرق القوم بعد هذه النكبة تحت كل كوكب حتى ضربت الامثال بتفرقهم
فقبل لكل قوم اثبت جبلهم واتخذ عقدهم كما هم شتات اليهود بعد السبي ، عادت
مواكب الاسرى - وكانت من صفوة القوم - بلاد اباثهم وديار اجدادهم وهم يرون
الى معادهم ويودعون عاصمتهم ويتغفرون لآخر مرة فيرى مفسدهم ويكتحلون برؤية
هيكلم وخامة معبدهم فقطعوا المسافة السابعة التي تفصل بين فلسطين وبابل وحطوا
رجالهم في بلاد بين النهرين ونفروا في بلاد بابل وآثور وبلاد ماذي وانضموا الى
البناء جلدتهم الذين حلوا قبلهم تلك الديار . لم يذكر الكتاب المقدس ولم يرد في
التاريخ عدد اليهود الذين قادم نبوكد نصر الى بلاد الكلدان ولكن يظهر من
وقائع التاريخ ان عددهم كان كثيراً اذ رجع منهم الى اورشليم في عهد كورش في
الفايلة الاولى برياسة زربابل ٥٢٣٦٠ شخصاً و٧٣٣٧٧ عبد او تيمهم بمثل ذلك جم صغير .
لم يعد البابليون اليهود عبيداً في منفاهم ولم يثقلوا وطأهم عليهم بل كانوا يحسبونهم



جماعة من تجار البصرة
لباسهم الخاص بهم

غرباء وبجاءلهم . وكانت شرائع البلاد تحيز لهم ان يتسلموا الراتب الرفيع في
المملكة وقد كتب دانيال النبي شهرة بعيدة بين رجال الحكومة وبنال منزلة
سامية في القصر الملكي فأثارت عليه حسد أشرف القوم فذبروا له التدابير المهلكة
التي كانت تحا منها وزادت منزلته رفعة . وغاية ما ثقل على اليهود وظلموا منه طالب
البابليين لهم ان يغتوا لهم الاناشيد المرحودة لأعيادهم . وغدا لأرب فيه لهم
اشتغلوا بالبراني التي أقامها نبو كد نصر في بابل وحملوا العاصمة بطرف ضائهم .

ان الحالية اليهودية في بابل ابتاعت اراضي وزرعها وغرست فيها اشجاراً
وانشأت حدائق وجناناً واشتريت حقولاً وحرثتها وأستقرى على ضفاف الأنهر
فسكنها وبنيت بيوتاً قوراء لجأت اليها . وكان لسيوخ اليهود في بابل نفوذ على
قومهم كما كانت منزلتهم بين شعهم في فلسطين . ومن هذه الحال يستنتج ان الحالية
اليهودية كانت تسوس نفسها في الجلاء سياسة خاصة بها وتعاطى فريق منهم
التجارة والكبر والرياسة في ذلك أخيراً البنك اليهودي البابلي الذي لم يرد حكايته كما يأتي :
في سنة ١٨٧٤ عثر احد الاعراب في اطلال « الجحمة » (١) على جدران

(١) الجحمة نسبة الى اسم قرية في بابل يدعى العرب اطلالها بلدة باسم تل عمران بن علي
نسبة الى قبر هناك لأحد اولياء المسلمين وطوراً باسم الجحمة . وقد قدر المستخرج
مساحتها بـ ٨٠٠ في ١١٠٠ يرد وقد قال لا يرد لا يشاهد هنا بناء كافي الجبلية (المقلية
قرب بابل) . وان كان هناك بقية باقية من البناء فلما قد نلت تلح البارود (الشورة)
وتبعد هذه الآثار نحو نصف ميل عن غربي القصر وهو المكان الذي حفر فيه كادواي

عديدة من الطين المشوي قد صايرها ايدي الزمان وطوارق الحداث وكانت مسدودة
بداً محكماً فاعتراه الوله وغشيته اللهب عند ما فتحها وشاهد فيها عدداً كبيراً من
صفائح الآجر منقوشاً عليها بخطوط اكدية هي عنده بطاسم سحرية . ولكن لم
يجعل الاعتراف بقيمة هذا الكثر اذ كان قد شاع يومئذ عند قبائل البدو المنتشرين
في وادي الرافدين ان الآجر المكتشف في اطلال العراقي هو قفاً راحة فآخذ
الركاز وتوجه به الى بغداد وباعه هناك الى احد تجار العاديات . وكان في ذلك العهد
الانري الشهير جورج سميث الانكليزي (١) ينقب في بابل فباتاعها من التاجر
العراقي لدار التحف البريطانية . وكان عددها نحو ٣٠٠٠ آجرة . يختلف كبرها
اختلافاً بيناً فيتراوح بين عقدة واحدة مربعة واثنتي عشرة عقدة مربعة
ولكن العلامة الانكليزي لم يعلم باي بدء قيمة الدرر التي ظفر بها عفوياً حتى
فحصها فحصاً دقيقاً وكشف مخبأها قطار فرحاً اذ علم انها سلسلة
تاريخية ثمينة لاحياء البيوت التجارية العراقية في القدم .

وهي صور معاملات وعقود تجار قومالية وصفائح وسندات تخص المعهد التجاري

الاماني ووجد قصور ملوك بابل فان الطريق من الزاوية الجنوبية الغربية من القصر
الذي بنى عمران عمر هضبة صغيرة فيها بقايا البنية التي بنى من عهد البرثيين . وفراء ذلك
صف من الروابي فيها خرائب بيوت بابلية من الآجر

(١) هو الانري الانكليزي الذي نقب في بابل سنة ١٨٧٣ على حساب اصحاب جرادة

دبلي تفراف . وعاد ثانية سنة ١٨٧٤ ومائة سنة ١٨٧٦ .

النجي واولاده او سن موباليت (١) . ويظهر ان مؤسس هذا المعهد كان من ذوي
اليسار والكلمة الراجحة في بابل وقد بقي معيذه قروناً عديدة يتعاطى الاشغال
المختلفة ويقوم بالمعاملات الكبيرة والصغيرة ويقرض مبالغ جزيلة وطفيفة وله حسابات
مع اقطاب المملكة وسواد الامة . وكان يتقاضى الضرائب لحساب الحكومة .

ويشهد على العقود التي تم بين متعاقدين (بالتمدية) او متعاقدين (بالجمع) . ويبيع
بالتمدية ويحول التجار ويل من مدينة الحيا غري . ومن العجيب ان في صفائح العقود يذكر
تاريخ اليوم والشهر والسنة التي تم فيها العقد .

ويظهر ان مؤسس هذا المعهد عاش في عهد الملك سنجاريب سنة ٩٨٥ قبل المسيح
وبلغ معيذه قمة عزه في الغنى والثروة في عهد الملك نبوكد نصر (٢) اي نحو قرن
بعد تأسيسه .

وان النجبي شارك معه في اعمال معيذه اولاده وهو في قيد الحياة . ومن الذين
اشتهروا من اعضاء هذه الاسرة باعمالهم وحازوا منزلة رفيعة وقافوا باراء اعضاءها
ثلاثة اشخاص وهم : نبو ا في ادينا وابنه اني مرووخ بالانو وحفيده مرووخ
نصر ابو .

كان قد ارتأى المؤرخون سنة ١٨٧٨ ان بيت النجبي دلم الى عهد دارا

(١) يظهر ان للبابليين اسمين الواحد رسمي والاخر خاص .

(٢) نبوكد نصر الثاني تولى عرش بابل من سنة ٦٠٥ الى سنة

٥٦١ قبل المسيح .

هستيب فقط (١) وان آخر عميد له كان مرو دح نصر ابلو . ظهر اسم هذا الرجل في اعمال البيت في السنين الاولى من ملك دارا وبقي عاملاً مجدداً في رقبته حتى السنة الخامسة والثلاثين . الا ان العلامة دلج ابلان سنة ١٨٨٢ ان المصرف المذكور دام الى عهد فتح اسكندر الكبير وقد وصل الى هذه النتيجة المهمة والاكتشاف الكبير بتصفحه مئات من صفائح الآجر التي اقتناها المستر هورمز دحسام واضافها الى المجموعة التي ظفر بها المستر سميت سابقاً وعليه يكون محل الجحبي قد اشغل نحو اربعة قرون متوالية وقد رأى التقلبات السياسية والحملات الكبيرة في عهد ملوك مختلفين ولم يصبه شيء من الاذى في وسط تلك العواصف السياسية لان البابليين كانوا يحترمون التجار والتجارة ويسهلون طرق الاعمال الاقتصادية .

ولم اذكر معبر الجحبي واولاده في كتابي والبحث عن تاريخه الا اننا له من علاقة بتاريخ يهود العراق . فان الآريين يذهبون الى ان اسم الجحبي تصحيف اسم يعقوب اليهودي ونخص بالذكر من الذين ذهبوا هذا المذهب المعلم فردريك دلج . ومن ثم استنتجوا ان مؤسس هذا العهد كان يهودياً من الاسرى الذين ساقهم سرجون الملك من السامرة الى بابل . وقد لاحظ المعلم دلج ان كثيراً من اسماء المتعاقدين التي وردت منقوشة على الآجر هي بلامرية اسماء يهودية . فإذا صح هذا الرأي وثبت هذا التعليل يجرز يهود العراق فخر تأسيس اول معبد تجاري عظيم في العالم وانشاء اول مصرف « بنك » . ويظهر من اعماله ما كان عليه القوم

(١) ملك فارسي من السلالة الكينانية تولى الحكم من سنة ٥٢١ الى ٤٨٥ ق م

من النفوذ والميزة عند البابليين حتى في اسرهم . (١)

ولم تقتصر مهمة اليهود في بابل على الزراعة والتجارة كما بينا بل تفرغت طائفة منهم للمهن والصناعات المختلفة وقصارى الكلام ان اليهود اقاموا لهم وطناً ثانياً ووجدوا في بابل مضامراً لنشاطهم ولم يركنوا الى البطالة الشائنة والكل المذل بل بذلوا وسعهم في رقي مجتمعتهم الجديد وذلك اخذاً بتصاصح ارميا النبي الذي كان ينظم الشعر ويصوغ القوافي ويكتب القصائد حاثاً قومه على الشغل في ارض غربتهم : هكذا قال رب الجنود اله اسرائيل لكل السي الذي سبته من اورشليم الى بابل ابنا يوتاً واسكنوا واغرسوا جنات وكوا ثمرها . خذوا نساء ولبنوا بنين وبنات وخذوا لبنكم نساء واعطوا بناتكم لرجال فيلبن بنين وبنات واكثروا هناك ولا تقولوا (ارميا ٢٩ : ٤ - ٦) .

تركنا في سجن بابل يهويا كين ملك يهوذا . وبعد ان مرت عليه ست وثلاثون سنة في تلك الحال الموحجة عطف عليه ملكها افيل مردك (وجاء اسمه في الثورة اوبل مرو دح) في سنة ثمانية ورفع رأس يهويا كين ملك يهوذا من السجن وكلمه بخير وجعل كرسيه فوق كراسي الملوك الذين معه في بابل وغير ثياب سجنه وكان يأكل دائماً الخبز امامه كل ايام حياته ووظيفته وظيفة دائمة تعطى له من عند الملك امر كل يوم بيومه كل ايام حياته (ملوك ٢٥ : ٢٧ - ٢٩)

وكان اليهود في ارض متغامم يملكون نفوسهم باخراج الازمة ويتوقعون الخلاص من

ذلك النكبة التي فتت في عتدهم . وكانت كتابات انبيائهم توطد رجاءهم واسفار اشعياء
وحزقيال تكرر بشار النجاة القائلة بسقوط بابل وزوال ملكها واحقاق عزها
واندمار مجدها .

وكانت هذه الفكرة قد انتشرت بين اسرى شعوب اخر سبوا الى بابل وتمهت
جبل الضعف وراجت وسائل الانحلال في ملك الكلدان بسبب القلاقل والفن التي
نارت في عهد خلفاء نبوكدراصر .

فان دولة بابل بين موت نبوكدراصر (٥٦١ ق . م) وبين انقراض الدولة
(٥٣٨ ق . م) كانت اشبه شي * بشمس المساء المنحدرة وراء افق الغروب . قتل
افيل مردك خليفة نبوكدراصر بعد ان ملك سنتين (٥٥٩ ق . م) وعقبه رجل
شراصر وعرف عند اليونان باسم رجيلاصر وملك اربع سنوات . وملك بعده ابنه
الصغير لباشي مردك وقتل بعد تسعة اشهر بتوامرة . ونصب مكانه نبوناheid (٥٥٥ ق . م)
وهو ابن رب ملك رئيس الكهنة ، وامه نبوكريس فقام كورش على نبوناheid ملك
الكلدان وفتح بابل سنة ٥٣٨ ق . م . فانقرضت مملكة بابل ودخل كورش بلاد
الكلدان دخول منقذ واظهر لسكانها من وطنيين وغرباء احرار وعبيد من الولاء
اجاه ومن الجنو ارفه فاستقبله القوم على اختلاف نزعاتهم وتباين جنسياتهم استقبالا
يشف عن وداد وحب .

وكأنني بارميا النبي يكتب في نبوانه تاريخ سقوط بابل اذ قال : سيف على الكلدانيين
يقول الرب وعلى سكان بابل وعلى رؤساءها وعلى حكامها . سيف على الحادعين

فيصرون حقا . سيف على ابطالها فيزعمون . سيف على خيلها وعلى مركباتها وعلى
كل الاقيف الذي في وسطها فيصرون نساء . سيف على خزائنها فتسهب . حر على
مياها فتتشف لانها ارض منحوتات هي وبلاصنام تحين . لذلك تسكن وحوش
القفر مع بنات آوى وتسكن فيها رجال النعام ولا تسكن بعد الى الابد ولا تعمر الى
دور فدور (٥ : ٣٣ — ٤٩)

وقد كان سقوط بابل مفتتح تاريخ جديد في العالم وابتداء دور جديد في حياة اليهود .
الى هنا تقف في هذا الفصل وسنتكلم عن تاثير الجلاء على آداب اللغة العبرية
وكتابات الانبياء وروحية الشعب العبري في فصل نعهده بـ هذا بعنوان : اللغة العبرية
وآدابها في بابل * نتوسع فيه في البحث عن المدارس اليهودية في العراق . (١)



(١) قد اعتمدنا في كتابة هذا الفصل : على الكتاب المقدس وتاريخ هيرودوتس
ويوسيفوس و F. Lenormant : Histoire Ancienne de l'Orient .
G. Mespéro : Histoire Ancienne des peuples de l'Orient .
J. Vandervost : Israel et l'Ancien Orient .
H. Craetz : History of the Jews .

يهود العراق

في

عهد الماذهين والقرن

دخل تاريخ اليهود في دور جديد باستيلاء السلالة السكيانية (١) على بابل ولاحق لهم تبشير السلام من مصايق البلاء وبدأت فوائح الفرج من مغالقي الامر فعطف عليهم كورش واذن لهم بان يرجعوا الى وطنهم اورشليم مطمح آمالهم وان يبنوا الهيكل . ولي مبتغاهم واعاد اليهم اواني الذهب والفضة التي سلبها نبوكدراصر من قدس اقداسهم ولم يقصر في شيء من مبالغ النحر بل اغاض عنهم سجلات عرفه وتابع لهم احسانه وعهد بولاية فلسطين الى ذر بابل احد احفاد يهوياكيم ولقبه باقب امياء ومعناه الحاكم بالفارسية وقيل انه اقام والياً رجلاً اسمه شيشبصر (٢) . واليك المرسوم الذي اصدره كورش في امر الاسرائيليين : قال كورش ملك فارس جميع ممالك الارض دفعها الى الرب اله السماء وهو اوصاني ان ابني له بيتاً في اورشليم التي في يهوذا من منكم من كل شعبه . . . ليكن الهه معه ويصعد الى اورشليم الي في يهوذا فيبني بيت الرب اله اسرائيل هو الاله الذي في اورشليم وكل من بقي في احد الاماكن حيث هو متغرب فلينجده اهل مكانه بفضة وبذهب

(١) أسس هذه السلالة هاجنيس سنة ٦٥٠ ق . م واصله شيخ قبيلة فيسر كاد

Pasargadea

(٢) راجع عزرا ٥ : ١٤

وبأتممة وببهاشم مع التبرع لبيت الرب الذي في اورشليم (عزرا ١ : ٢ - ٤)
وراجع سفر الاخبار الثاني ٣٦ : ٢٢ و ٢٢٣ .

وجاء في سفر اشعيا في الاصحاح الخامس والاربعين : هكذا يقول الرب لمسيحه لكورش الذي امسكت بيمينه لا دوس امامه انما واحفاه ملوك الخ (١)
لما حصل اليهود على امنيتهم وظفروا بغيرتهم لم يرجع منهم الى فلسطين الا برض من عدد (٢) وسافر اول مرة برعاية ذر بابل ٤٩٦٩٧ شخصاً وتبعهم غيرهم . وكان الطاعنون من رجال الكهنوت واللاويين وخدمة الهيكل (٣) ومن الذين لم يكن لهم زرع ولا خمر ولا ملك ولا تجارة في بابل ومن الذين اغلقت في وجوههم سبل العيش وسدت ابواب الرزق واما رجال التجارة والاعمال والزراعة فلم يختاروا البقاء في بابل يرتعون في بحبوحة الهنا ويدابون في زيادة ثروتهم وانما غناهم تشهد بذلك اسماء الموقعين عقود البيع والشراء في عهد دارا (٥٢١ - ٤٨٦ ق م) وارتحششتا الاول (٤٦٥ - ٤٢٤ ق م) اذ فيها عدد وافر من الاسماء اليهودية (٤)

(١) القسم الاخير من سفر اشعيا من الاصحاح الاربعين الى نهايته وهو وان نسب الى اشعيا النبي القديم فله تأليف احد الكتبة الذين وجدوا في زمن الجلاء وانفق علماء الكتاب على ان يطلقوا عليه اسم اشعيا الثاني

(٢) Isidore Loeb : Reflexions sur les Juifs (٢) سفر عزرا

J. Vandervost : Israel et l'Ancien Orient (٤)

وكان لاحتجاج جماعات اليهود عن الرجوع الى اورشليم اسباب جمة ما عدا الاشغال
منها ان قسماً منهم كانوا قد الفوا الحياة البالية والفوا البيشة التي نزلوها ومنهم من لم
يكثر بامور الدين ومنهم من كان يتوقع نزول نبوات ومعجزات تنبئ نبأ واضحاً
بزوال عهد الحلاء (١)

ومن خدسات المؤرخين ان كورش امطر غيث جوده على اليهود مكافأة لهم على
مساندتهم الفرس في فتوح بابل او انه اراد ينشئ دولة جديدة في فلسطين تحت
سيطرته تكون حداً فاصلاً بين الفرس والاصريين (٢) . وبما زاده رأفة بهذا
الشعب المشابه الوجودية بين عقائد اليهودية ودين زرادشت .

ان هذه الاراء تحتاج الى تحييص ورباب في صحتها ولا سيما ان كورش اظهر مثل
هذه البرودة لجميع شعوب بابل لابل جامل جميع الاقوام الذين دوحهم وعطف عليهم
حتى انهم دعوا بالامم .

ولما مات كورش وتيوا عرش الملك اخشوريش وشئ الوشاة باليهود الى الملك وقالوا
له ان هذا الشعب كان في كل وقت يشق عصا الطاعة ويشور فان فسحت لهم في بناء
اسوار المدينة باروا عليك . فوجدت هذه الوشاة آذاناً صاغية من الملك وامر عماله
في السامرة ان يوقفوا اليهود عن العمل . فنفذوا هذا الامر ولم يكن بناء الهيكل
الا في البداءة .

وبقيت مقاومة السامريين لليهود في شأن بناء هيكلهم واسوار مدينتهم الى نهاية ملك

(١) Encyclopaedia Biblica P. 1108 .

(٢) P. M. Sykes : A History of Persia.

اخشوريش وارتخششتا . وقد حاول بعض العلماء ان يقولوا بان اخشوريش المذكور
في كتاب اليهود هو قنبوسيا (١) وان ارتخششتا هو سمرديس (٢) .

ولما جلس دارا على اريكة الملك استأنف اليهود مساعيهم عنده وبيدوا له في السنة
الثانية من ملكه ان رجوعهم الى بلادهم كان بمرسوم اصداره كورش العظيم . وكانت
نبوات حجي وزكريا قد ايقظت هذه الفكرة في ابناء قومها . فامر دارا ان يبحث
عن هذا المرسوم ففتشوا في بيت الاسفار حيث كانت الخزائن موضوعة في بابل فوجدوا
في احشا (٣) في القصر الذي في بلاد ماذي (٤)

(١) قد اخفق هذا الرأي اليوم . اما قنبوسيا فهو ملك من السلالة الكيانية وهو
ابن كورش الكبير واما كسندانا من بنات الكيانيين . حكم ثلثي سنوات
٥٢٩ — ٥٢١ ق . م .

(٢) سمرديس او غوماثا Gaumata خرج على الملك قنبوسيا وحكم سنة ٥٢١ ق . م .
ومات فيها وعقبه دارا .

(٣) احشا هي مدينة اكبثانا وحمدان الحالية وكانت صاحبة بلاد ماذي .

(٤) بلاد ماذي . جاء ذكر ماذي والماديين مراراً كثيرة في العهد القديم .

ورد في سفر التكوين (١٠ : ٢) اسم ماذي من ابناء يافث . وفي الملوك الثاني

(١٧ : ٦) (١٨ : ١١) في البحث عن امرئ اسراييل الذين اسكنهم شلمنحصر

ملك آنور مدن ماذي . وفي اشعيا (١٣ : ١٧) اذ قال جاء هذا احيى عابهم الماديين

الذين لا يعتدون بالفضة ولا يسرون بالذهب وكذلك في السفر عيشه (٢ : ٢١) اذ قال :

ان اليهود الذين اختاروا السكنى في بابل وبلاد ماذي اصبحوا في رخاء من العيش
في عهد خلفاء كورس لابل حازوا المناصب الرفيعة في قصر الملك في شوشن .
ومن من القراء لم يسمع بحكاية استير اليهودية امرأة احشوروش الذي تبوأ عرش
ماذي سنة ٤٨٥ وكيف توسطت في خلاص شعبها من القتل وردت كيد همان
في بحر وسعت في اثناء كعبة ابن عمها مردوخ في عند الملك وحصلت على امر
ملكي بحجز لليهود ان يدافعوا عن نفوسهم ان قام عليهم الفرس . فقتلوا من الفرس
في بلاد الملك خمسة وسبعين الفا (١) فيظهر من القتل ان عدد اليهود كان
كثيراً في بلاد ماذي حتى تمكنوا من قتل خمسة وسبعين الفا . ويحتفل اليهود
ذكرى هذا اليوم في الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار ويزيلونه منزلة
عيد قومي كما يحتفل الفرس باليوم الرابع عشر من شهر غوز « وهو عيد البوريم » .
ومن الذين نالوا في شوشن منزلة رفيعة محميا بن حكليا من سقاة الملك ارتخشستا

اصعدي يا عيلام حاصري ماذي . وقال ارميا (٢٥: ٢٥) وكل ملوك ماذي وكذلك
جاء ذكر فارس مراراً عديدة كلها متحدة اتحاداً موثقاً العرى بماذي ولا سيما في كتاب
دانيال واسير . فلما ذبون والفرس الذين ذكرهم الكتاب المقدس كانوا يسكنون
في الاعصر التاريخية قسماً من بلاد ايران فقط وهو القسم الذي يمتد من الغرب
الى الشرق من جبال الزقر الى الهندوكوش والاندس . وتمد من الشمال الى الجنوب
من بحر قزوين وقفار توران الى خليج فارس .

(١) سفر استير

الاول . ولما علم محميا من اليهود القادمين من اورشليم حال المدينة وماهي عليه من الخراب
نوسل الى الملك ان يحسن اليه ويرسله الى يهوذا ليم بناء وطنه فلجاب الملك بملتمسته
واعطاه من كتب الوصايا الى العمال مارج بعينه (١) وذلك سنة ٤٤٥ ق م وبعد زمن
اي في سنة ٣٨٧ نشأ عزرا بن سرايا كاتب شريعة اسرائيل يغادر بابل ومعه ١٤٩٦
رجلاً و ٢٨ لاوياً و ٢٢٠ عبداً . وبعد سفر طال خمسة اشهر خط رحاله في اورشليم
وكان معه رسائل وصايا من الملك ارتخشستا الى عمال الفرس في عبر الاردن ليمساعدوه
وبدفعوا اليه ذهباً وفضة لبناء الهيكل (٢) . وكان عزرا المذكور مزوداً بالسلطة
الملكية الخارجية العادة لاصلاح شؤون اليهود في فلسطين (٣) كل هذه الحوادث تدل
على منزلة اليهود في بابل (٤) في عهد الدولة الكيسانية منزلة ليس وراءها مطالع لناظر
ولا زيادة لتزيد .

وتخلل حكم السلالات الفارسية المختلفة في العراق حلات قام بها اليونان والرومان
واستولوا على هذه الديار وسادوا فيها عهداً وتركوا من آثار حضارتهم ولا سيما من
آثار الحضارة الانية قسماً وافراً في وادي الفراتين .

(١) سفر محميا (٢) راجع سفر عزرا (٣) تبعنا في تذييل سني محميا
وعزرا العلامة المسبوقة فان هوناك الذي اذنت صحة هذا التذييل في فصل متعة تدرجها
بعناوين مختلفة اقنعت العلماء الكنائسيين (٤) يطلق التلمود اسم بابل على البقاع التي يرونها
دجلة والفرات وعلى كل بلاد النهرين وقسم من ارمينية الكبرى وعلى بلاد متاخمة لها
واقعة في شرقي دجلة (نقلاً عن كتاب لابور : التسمية في المملكة الساسانية)

استولى الاسكندر الكبير على بابل بعد وقعة اربل الشهيرة سنة ٣٣١ ق . م . فاستقر به الاهلون على الرحب والسعة وصافح تماثيل الاله بابل وأمر ببناء الهيكل الذي خدماها اخشوريش فاعبه البابليون . وجاء في التاريخ انه اكره يهود بابل على الاشتراك في بناء هيكل « بابل » (١) وعلمهم بقسوة وجلدهم واخذ منهم غرامة مالية الا ان اليهود تداركوا الامر واسترضوا الفاتح الكبير فصالحوه ودخل عدد منهم في جيشه وحاربوا مع المقدونيين جنياً لحنب (٢) .

وقد روى يوسفوس المؤرخ في كتابه العادات اليهودية أموراً عن اليهود واسكندر وما قاله ان يهود اورشليم طلبوا الى الفاتح ان يسمح لليهود في بابل وبلاذ ماذني ان يسيروا حسب سنهم . الا انه لم يذكر احد كنية اسكندر هذه المسئلة ولهذا ارتأى الاستاذ هوبلر ان الفقرة موضوعة وضعتها اليهود المتأثرون باليونان الذين اقتبسوا العادات اليونانية في القرن الاول بعد المسيح لكي يثبتوا ان علاقة اليهود باليونان قديمة من عهد الاسكندر . ان تاريخ يهود العراق يأخذ بنا في هذا الموقف الى الامام الى الحركة العظيمة التي اتجهت فتوحات اسكندر الكبير في اواخر القرن الرابع قبل المسيح وهي تألن (٣)

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب وقد ورد هناك تاريخ السنين غلطاً وصححه ٣٣١ — ٣٢٣ ق . م

(٢) Jean Juster : Les Juifs dans l'Empire Romain T. 1. 265

(٣) غرب بعض الكسبة لفظة Hellenisme بالهلانية الا اننا نفضل تعريبها بالآلانية لأن العرب عرفوا هذا القوم باسم «الان» كما ورد في تاريخ ابي الفداء ج ١ ص ٨٤

الشرق اي نفوذ الافكار والآداب والحضارة الآلانية على شعوبه وانماهم ولم يستثن من هذا النفوذ الشعب اليهودي ولغته . وقد كانت حصنة يهود فلسطين كبيرة من هذه الحركة . واما حصنة يهود بابل وبين الهرين منها فكانت ضئيلة . وقل من اهتم بدرستها والتوسع فيها (١) .

وقد شاهد يهود بابل سلوقس (٢) ينقل حاضرة بابل الى مدينته الجديدة التي تبعد ٦٣ ميلاً عنها وانتقلوا هم ايضاً الى سلوقية عاصمة الدولة اليونانية في بلاد فارس الراكبة على شق دجلة . وكان يمشق منها نور مدينته الجديدة يتدفق متصبياً على اهاز ارض شومار القديمة وجنائها . فاضحت لهم مقاماً جديداً يأسون بغضارته ونضارته . وقد كان لليهود بابل في عهد السلوقيين منزلة كبيرة فكانوا يسكنون المدن الكبيرة مع بقية العناصر جنياً لحنب . وكانت لهم مدن خاصة بهم .

ومن الحجج الناصعة على منزلة يهود بابل وبين الهرين عند اليونان تلك الرسالة التي بعث بها انطيوخوس الثالث النقيب الكبير (٢٢٣ — ١٨٧ ق . م) الى زوش (زوكسيس Zeuxis) مرزبان ليدية اذ يقول فيها : لقد عزمت على ان آخذ من بين الهرين

(١) Encyclopaedia Biblica Page 1114

(٢) بنى سلوقس مدينته سلوقية بين سنة ٣١١ و ٣٠٢ ق . م . وقد ارتأى بعض الكسبة ان الباعث الذي دفع هذا الملك الى بنائها كان ميله الى انتشار الآلانية في البلاد وابعاد البابليين عن عاصمتهم القديمة التي كانت مركزاً للمأثورات البابلية والنقايد الكلدانية .

وبابل التي أمرة يهودية مع تجهزها الحربية وأمنها حامية وأضعها في المواقع المهمة كل الأهمية. وقد تحقق عند سلفي أمانة اليهود وطاعتهم المأجلة للأوامر التي يتلقونها (١) رأى يهود العراق تقلبات الممالك، وشاهدوا توالي الدول على هذه الأقطار، وشاطروا حظوظ أهل هذه الديار، وحضروا الخطوب الحسام، والحوادث العظام. وما هو حري بالذكر أنهم ابصروا نشأة الدولة البرثية (٢) واستيلاءها على العراق وما وقع في يدها من الوقائع والأخبار.

أسس الدولة البرثية أرشك أو اشك الذي كان يتولى زعامة طائفة من الناس خرجوا من سهول إيران ومفاوزها واجتاحوا بلاد البرانيين (٣) في منتصف القرن

(٧) راجع Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain Tome. 2, 268

(٢) لا تجد ذكر البرث في كتب العرب لأنهم دعوهم الفرس « بفتح الفاء » بغيراً لهم من الفرس « بضم الفاء » الحقيقيين وعرفوا بملكهم الارشغانية نسبة إلى زعيمهم المذكور أرشك أو اشك أو ارشاغ.

(٣) أن بلاد البرانيين الأصلية كانت واقعة في أرض خراسان الحالية أي أنها كانت تمتد في الجهة الغربية من دامنغان في الدرجة ٥٤ والدقيقة ٢٠ من خطوط الأول وفي الشرق من هري رود أو نهر هراة وكانت تشمل المقاطعات الحالية دامنغان وشاه رود وشيروار ونيشابور والشهدوندشين وشيري نو وكان طولها من الشرق إلى الغرب نحو ثلاثمائة ميل وعرضها يتراوح بين ١٠٠ ميل و ١٢٠ ميلاً تقريباً وعليه تكون مساحتها المربعة نحو ٣٣.٠٠٠ ميل مربع.

الثالث قبل المسيح. وما زالت دولتهم تتسع بما كانوا يستولون عليه من أقاليم الدولة السلوقية وأقطار الدولة اليونانية الباخية حتى ضمت أيام عزها بين أجناسها كل مدن مملكة إيران الحديثة ومعظم بلاد أفغان وقسمًا وافياً من تركية آسية، وأقاليم متباعدة من أملاك روسية الحالية. ويرى من هذا الوصف أن بلاد ماضي، والعراق، وبابل، وآ نور كانت أيضاً من أملاك تلك الحكومة أو من الإمارات المتعاقبة بها.

لم يكن للدولة البرثية نظام واحد يحكم به كل الأقطار وتسوس كل الشعوب الذين دخلوا في حوزتها بل كان نظامها يختلف باختلاف الإصقاع والأقوام حتى أن بعض المدن كانت مستقلة استقلالاً إدارياً وسياسياً ولم يكن البرثيين عليها إلا خراج تنقاضه. وكانت المدن التي شيدتها اليونان في العراق على هذا النمط، ولا سيما سلوقية على شق دجلة.

وكان لليهود في المملكة البرثية ما يضيء ذلك الاستقلال والحكم الذاتي. ففي المدن التي كان لهم فيها طائفة كبيرة كان لهم استقلال بلدي، وحق انتخاب قضاة، وحارة خصوصية بكنائهم هذا كان شأنهم في بابل، وسلوقية، وديسفون، أما في المدن التي كان يسكنها اليهود فقط فكان لهم من الاستقلال ما كان للمدن اليونانية بدون فرق. وكانوا يقومون بأمور دينهم وشعائر منديهم بكل حرية. لا بل كان أمير حدياب وهي عند العرب حجرة (١) ذان باليهودية في القرن الأول للمسيح وكان اسمه إزاط.

(١) جاء في معجم البلدان حجرة بإيدة قرب أربل من أرض الموصل..... كانت قصبة كورة أربل قبل.

وقد أرسلت أمه خبلائة يفتح إلى اورشليم مساعداً لليهود في مجاعة حدثت هناك .
واللازم المذكور أخبار حروب لها منزلة خطيرة في تاريخ الدولة البرثية لأجل
الاستفاضة فيها هنا .

وقد اشتهرت مدينة هرديعة على الفرات في تاريخ اليهود . كانت تلك المدينة
أحد القوم وكانوا قد اتخذوها مركزاً لتجمعهم يجمعون فيها جنودات يهود العراق
وبلاد ماذي وفارس ويرسلون بها بني جلدتهم في اورشليم مع جماعة من القوم يبلغون
نحو ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ رجل من حملة السلاح . وقد اشتهرت مدرستها الدينية
كما اشتهرت مدرسة سدرا . وتعرف عند العرب بسورا . ومدرسة بباديتا . وهي
جبة الحالية على الفرات وكانت تعرف قبل عهد العباسيين باسم جبيرة . (١)

ومن غريب وقائع اليهود التي حدثت في عهد الملك اردوان الثالث (حكم من سنة
١٠ إلى سنة ٤٦ بعد المسيح) أن اخوت من اليهود واسم احدهما آسينا والآخر
آنيلا كانا من سكان مدينة هرديعة قد شقاعضا الطاعة على الحكومة وألقا عصاة
من المتشردين وقطاعي الطرق اتخذوا مقامهم في صقع كله مستنقعات منحصر بين
ساحدين من سواحل الفرات واخذوا يهاجون القوافل والرعاة والتجار وغيرهم من
سكان الاقاليم المتاخمة فيسلبون وينهبون ويتقاضون الفدية منهم . ولما تفاقم امرهم
وتطاولت شرورهم بعث اليهم الحكومة البرثية قوة من الجيش للقصاص
والنأديب . ولكن الجيش مني بالخسار ورد على أعقابهم مندحراً .

(١) نبحث عن جغرافية هذه المدن في الفصل الآتي .

ولما كانت الحروب قائمة على ساق وقدم في المملكة وقد فتقت الفتوق على اردوان
الملك ارتأى ان يسلم العصاة ويتفق مع زعيمها فدعاها إلى قصره واقام أسيناً على
مرزبة بابل (١) . وبقي نحو ١٥ سنة في هذا المنصب الرفيع يعاونه اخوه انيلا في
مهمته . وهو يدبر امور مرزبته بغيرة لانكلى . وعزم لايفل . وحكمة لا يبارى .
أما انيلا فانه بعد مضي ذلك الوقت شغف بأمرأة أحد اشراف البرثيين . وأعجب
الهوى بعواطفه فلم يمالك بل كاشف العباء لزوجها وقتله وتزوج بمدة حبيبته
البرثية . وانباح لها ان تقوم بشعائر دينها الوثني في بيته . فاعتاظ اليهود من هذا
التساعل الذي أدخل به الوثنية في بيت اسرائيل . ورفعوا شكواهم إلى آسينا
ورغبوا اليه أن يعصب اخاه على تطبيق امرأته فكاد يلبي طلبهم . فشعرت المرأة
بما خبا لها المستقبل من دواعي العار فقتلت ساقها سرّاً بما دسسته له من السم .

فاستأثر انيلا بالسلطة بعد وفاة أخيه وربما كان ذلك بدوياً تأييد الملك له في
المنصب المذكور . ولم يكن حاكم بابل الجديد على نبي من الحجي والبرية بل غاية
ما كان قد عرف به طبعه الميل إلى الهب والغزو . فلم يستقر به الحال حتى سمع
لانتحابة ان محتاحوا اراضي مرزبان مجاوره اسمه مهرداد (مزداد) . ولم يكن هذا

(١) كانت بابل تبعد من خليج فارس أو من مصب الفرات إلى أقصى حدود
الغريال الشمالية أو إلى جوار هيت على الفرات وسامراً على دجلة بمسافة تناهز ٤٠٠
ميل وكان متسع عرضها نحو ١٨٠ ميلاً ولا يتجاوز معدل عرضها ستين أو سبعين
ميلاً ومن المحتمل أن مساحة ذلك القطر لا تزيد عن ٢٥٠٠٠ ميل مربع .

من اشرف البرانيين فقط او من عليه حكمهم بل كانت حجة الذسب تربطه ببنت الملك .
وكانت زوجته بنت اردوان الثالث فقام بدافع عن حياض مرزبته وجهز الجيش
واعد العدد ونزل ميدان القتال . الا ان الحاكم اليهودي هجم ليلاً على معسكره
على حين غفلة منه وكسر جيوشه شر كسرة واسره .

فامر انيلا ان يجرد مهر داد (مزداد) عرياناً وشهر راكباً خاراً يمرأى من الجنود
وبعد ان حبسه زمناً واذاقه من العذاب اطلق سراحه وسمح له بالرجوع الى مرزبته
فقص هنالك على امرأته ما تكبده من الاجحاف والاعتساف والاهانة من انيلا .
فاغظت مروياته امرأته ونقلت عليها احاديثه فاقنعت ان يحشد جيشاً ويقيم من
ذلك العاني .

جاءت جيوش مهر داد حلتها على ابل الا ان القائد اليهودي دافته كبراًؤه الى ان يترك
المستنقعات التي كانت لجيشه مقلاً طبيعياً وتقدم نحو عشرة اميال في مفازة وانهاك
قوى جيشه في اشتباكه مع عدوه اميداً عن ملاجئ الطبيعة فانكسر
وولى الادبار .

فلما رأى انيلا فشله اراد ان ينتقم من سكان بابل لعلمه انهم خرجوا من
حكمه . فجمع عصابة من الزعائن واخذ يهدد البابليين وزعج راحتهم . فطلبه البابليون
من سكان سر دعة وجرت المفاوضة بين الطرفين واسفرت عن ان البابليين وقفوا
على احوال انيلا وعصابته وخفايا احوالهم فباعوهم ليلاً وهم سكارى او نائمون
ومر بهم ضربة قاضية فلم تأصلوهم عن آخرهم .

انتهت حياة انيلا وعصابته ولسكن الولايات التي جربها على الامة اليهودية في العراق
بقيت تسحب اذيلاً من الهوان طويلاً . كان بين البابليين واليهود المقيمين في بابل
شيء من العداء الطبيعي لما بين القومين المتوطنين من الاختلاف في الدين والشعور
والعادات . وكثيراً ما كان يفضي الى ثائرة تنور بينهم ان حازت الفرص . وجاءت
حادثة العصابة بحركة كوامن الضعائن واراد البابليون ان يستأصلوا اليهود الا ان القوم
لما رأوا ضعفهم اخذوا مهاجرون جماعات والوفاء الى سلوقية المدينة اليونانية على دجلة .
وبذلوا وسعهم في ان يعيشوا بمؤاخاة اليونان والسريان سكان سلوقية لابل جاملوا السريان
اكثر مما جاملوا في اليونان . وانفقوا مع السريان على ان يخضعوا اليونان لهم . قامت بعض
اليونان من هذا الوهم الاليم وثقات وطأته عليهم . وحاولوا ان يجذبوا السريان الى
جانهم فنجحوا في مساعدهم وقبل مرور بضعة اشهر اقنعوهم على ان يهجموا معاً على اليهود .
ويقال ان الشعب العبراني خسر في تلك الوقعة نحو ٥٠٠,٠٠٠ شخص واضطروهم الى ان
يعبروا دجلة ويلقوا رحلهم في طيففون عاصمة البرانيين . ولسكن لم يشبع غيظهم
بل سعوا في تخريب حواضر اليهود وحلواهم على الظمن منها والسكنى في مدن صغيرة .
ومن الدول التي ظمحت الى العراق ورامت الاستيلاء عليه الدولة الرومانية .
فان الانباطور طريانوس زحف سنة ١١٥ ب . م على بلاد بين النهرين والعراق
واستولى على المدائن وفي عهده قامت قيامة اليهود في مصر على وطنهم الوثنيين
كما انهم تسروا لواء العصيان في بابل حيث كان عندهم وافرأ (١) واصدر في ذلك

الزمن الاثراطور امراً بالتشكيل بهم فقتل لوقيوس منهم جماً غفيراً (١).

ولم تستقر احوال اليهود في عهد هدر يانوس بل تارت تأثرهم واحتدمت تأثرهم ولا سيما بظهور بر كوكبا النار الشهير في فلسطين الذي ادعى انه المسيح المنتظر وملاؤه في مدعياته عقيب الربان سنة ١٣٣-١٣٥ ب. م مثل تلك الفتن في فلسطين اضطرت هدر يانوس الى ان يسترجع جيشه من البلاد التي احتلها طريانوس وترك المدائن لاصحابها البرثيين (٢).

ان الرومانيين كانوا يهتمون بيهود العراق وبن النهرين ويحبسون لهم حساباً لكنهم ولو جردهم في المملكة الفارسية وفي المملكة الرومانية (٣).

يجوز بنا هنا ان نقول كلمة عن ظهور الدين النصراني وانتشاره في بابل وبلاد فارس وكرديستان. فقد اجمع المؤلفون على ان اول الذين دانوا بالمصرانية في هذه البلاد كانوا من الجماعات اليهودية المبشوة في الديار تشهد بذلك اسماء الاساقفة في صدر القرن الثاني فاسمها اسماء يهودية وهم بقيدا وشمشون واسحق وابراهم ونوح وهابيل. وهؤلاء كانوا كلهم اساقفة اربل من سنة ١٠٠-٣٠٠ بعد المسيح (٤).

وعلى كل فان انباءنا التاريخية عن صدر النصرانية في هذه الاقطار ضئيلة جداً لا تروي

(١) بلينيوس وتاريخ اوسابيوس

(٢) دائرة المعارف للبستاني مادة بر كوكب

(٣) Jean Juster : Les Juifs dans l' Empire Romain L. 212

(٤) السيد ادي شبر : تاريخ كلدو وآثور المجلد الثاني ص ٨

غليلاً. فقد ذكر في اخبار الرسل ان الذين كانوا حاضرين في غلبة صهيون كان بينهم القرثيون والماذيون والعبلاميون وسكان بين النهرين. وعلى يدهم بشر بالدين النصراني هنا وبثت مبادئه بين جماعة يهود الحلاء في بابل وبلاد الفرس الا ان نجاحهم لم يكن باهراً بادىء بدء. وقد جاء في التلمود الاورشليمي ان حناني بن اخي يشوع كان قد انضم الى الجماعة النصرانية في كسفر ناحوم فاعتناظ عمه من هذا العمل وحاول ان يمنعه من كل علاقة بالنصارى فارسله الى بابل لينقذه من كل تأثير نصراني (١).

في ٢٨ نيسان سنة ٢٢٤ قاتل اردوان آخر الملوك الارشغانيين قتلاً رهائياً اردشير سايل ساسان فاحقق في ذلك القتال ووقع قتيلاً وألزم رجاله شتاتاً يجتمعون باقطار ارمينية النسيعة. وكان منذ اثنتي عشرة سنة يرى اردوان تلك الثورة المنبئة من بلاد ايران تتقدم رويداً رويداً وقد حاول ان يقمعها بما لديه من الوسائل والاسباب فلم يفلح فانقرضت سلالة الارشغانيين وقام مكانها السلالة الساسانية. تلك السلالة التي بقيت ربة الحال والعقد في هذه البلاد حتى ظهور الاسلام وكانت بحروب متواصلة مع الدولة البرزطية.

لم يكن مؤسس الدولة الساسانية الملك اردشير من اصدقاء اليهود بل ممن ضيق عليهم الخناق وأمر باضطهادهم وسمح للمجوس بتعذيبهم والتشكيل بهم لأنهم كانوا قد ساعدوا القرثيين في حروبهم مع اردشير (٢). وقال المستشرق تلد كد ان

(١) Graetz : Histoire des Juifs. T. 111. P. 51

(٢) J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire Perse

الفرس كانوا يسومون اليهود خسفاً لأنهم كانوا يحاولون أن يدخلوا من دفع الضرائب
إلا أن عهد الاضطهاد لم يدم بل تمكن اليهود من إرضاء ملوكهم وخطاب ودهم ونالوا
الوجاهة من حكم البلاد وتقربوا من الدالة المالكة . وكانت حالتهم متقلبة في
زمن الساسانيين بين راحة وقلق .

وجرت في هذا الطوي حروب كثيرة بين الرومان والساسانيين وأسر شابور بن
اردشير (٢٤١ - ٢٧٢) الإمبراطور والرياحوس سنة ٢٦٠ م . فلما علم ذلك أذينة
صاحب تدمر بعث بها إلى شابور يتقرب بها إليه ويطلب منه الصلح والمعاهدة .
فلم يحبه بل ألقى الهدايا في الفرات ومزق الرسالة . فاستاء أذينة من هذه المعاملة
الجافية وخطب من شابور فحشد حالاً جيشاً وتوجه توجاً إلى المدائن .
وحدث أن شابور رجع يومئذ من حرب الرومان فشلاً مذعوراً فرجع أذينة إلى
استقباله وأدركه قبل عبوره الفرات وأجهز عليه وغنم أمواله وهزمه وعبر شابور
الفرات مدحوراً .

فأعز أذينة ولم يلبث ثمانية أن حل على ما بين الهرين وفتح حران ونصيبين ثم
رجع إلى محاصرة المدائن . وشد أذينة الحصار على سلوقية .

وقد لحق اليهود من الأذى في هذه الحاربات مما لا يسعنا وصفه ولا سيما في مدينتهم
نهر دعة . وقد أفاض مؤرخوهم في ذكر ذلك وتدوينه . ولا عجب في الأمر فإن
شعباً غريباً يسكن بلاداً أصبحت ميداناً للقتال وساحة للحروب كثيراً ما يكون
هدفاً لنظام حكم البلاد التي يسكنونها أو للفاطمين الغزاة الذين يحملون حلالهم الشعواء
عليها .

ولم يلبث اليهود أن أعادوا الأمور إلى مجاريها واسترجعوا ما كان قد حرمهم إياه شابور
الأول . حتى أنهم تقربوا من السلالة المالكة ونالوا زلفى من أم الملك شابور الثاني
(٣٠٩ - ٤٢٠ م) وكان اسمها أفراهورمز فساوونهم في أمورهم وسخرت
نفوذها على أبها الملك في إعلاء شأنهم هذا ما رواه التلمود . وقد روى كتابنا الارميون
الذين دونوا سير شهدائنا المسيحيين في بلاد فارس أن اليهود دبروا بهذا النفوذ ليشيروا
حقن الجوس (١) على أنصار المذهب الجديد (٢) إلا أن روبنس دوقال يذهب إلى أن
هذه المهمة قد تكون غير صحيحة (٣) ولم يعزز قوله ببرهان ما بل بقي كلامه
على عواهنه . أما المحقق فلا يرى في أخبار الكتبة الاراميين من الغرابة ما يحمله على
تكذيبهم إذ أن كل مذهب جديد يلاقي شيئاً من الاضطهاد عند انتشاره ولا سيما
في تلك القرون المتسكمة في ظلمات الجهل والتعصب ويؤيد هذا الرأي الحجج والاثبات التي
وقعت بين اليهود ونصارى فارس (٤)

ومن الذين سعوا السعي الحسن في توطيد أسس الوفاق وتمكين عرى الوئام بين
الفرس واليهود مار صموئيل رئيس مدرسة نهر دعة واقتفى أثره يسوع جليلة فاهدوا

(١) R. Duval : Littérature Syriacque P . 134

(٢) راجع قصص الشهداء بالسر بانية تأليف مار مارون أسقف ميفارقين وكتاب
الشهداء بالفرنسية تأليف دوم لكارك

(٣) R. Duval : Litr . Syriacque

(٤) ميامي أفراخاط الحكيم الفارسي من مؤلفي القرن الرابع وغيره

الهدايا الثمينة إلى حكام البلاد ولم يألوا جهداً في سبيل مجاملتهم وقد أبدوا من التساهل اعظمه مع النخوس فأكثروا ما كاهم وقدموا فحماً لهما كلهم (١).

وقد قال كرازر عن اليهود في هذه الاقطار أنهم كانوا عديدين ونظراً إلى كثرتهم كانوا مستقلين استقلالاً يضاهي حالهم في وطنهم ولم يظهر خضوعهم لامراء البلاد الا بدفع بعض الضرائب مثل الجزية وضرائب الاملاك وكان لهم رئيس سياسي يدعونه راس الجالوت بعد من اقطاب الملكة الفارسية وله الرتبة الرابعة بعد الملك (٢) الا ان العلامة تليدة يرفض هذا التصريح. ومما ذكره التاريخ ان الملك بهرام جور (٣) زرع من براهام البثري اليهودي امواله ودفعتها إلى ساقيه لبسك (٤) ان في عهد الملك بزدجرد الثاني (٤٣٨ — ٤٥٧ م) وفي عهد خليفته هورمزد فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤ م) ثارت ثورة الساسانيين على اليهود واضطهدوهم. وكان هورمزد فيروز شديد الوطأة عليهم فعبثت الامة اليهودية في عهده أيام يؤس ولم تتنفس الصعداء الا بعد موته. فرجعت الامور إلى مجاريها واستأنفت القوم

(١) J. Labourt : Le Christianisme dans l' Empire

(٢) كذلك Perse

(٣) بهرام جور هو بهرام الخامس استولى على عرش الاكسرة من سنة ٤٢٠

إلى سنة ٤٣٨ م وكان غليظ الاخلاق يزرع إلى القلق وقد اضحى تاريخ مملكة اشبه شيء بالروايات ومع اخلاقه القظة فقد كان رجل الشعب وكان موضوع اعجاب قومه

وحبهم الا أنه كان شديد الوطأة على النصارى فاضطهدوهم وعلى اليهود فسيأبهم ما لهم

(٤) عن برهان قاطع نقلاً عن المعجم الفارسي اللاتيني مؤلفه Vullers

اعمالهم وتأسيس مجامعهم وانتخاب رؤسائهم.

وفي عهد قباد الاول (٤٨٨ — ٥٣١ م) القوا في السجن مار زوراً وبعض معلمي الناموس لأنهم حاولوا ان يستقلوا استقلالاً سياسياً وبعد عذاب اليم ذاقوا مضطه حكم عليهم بالقتل حوالي سنة ٥٢٠ او ٥٣٠ قتلوا وهم أول شهداء اليهودية في بابل. ان اضطهاد اليهود كان يظهر حيناً بعد آخر في أيام بني ساسان الا ان الملوك الذين تبوأوا عرش الاكسرة بعد فيروز هورمزد الثالث لم يتمكنوا من مراقبة اليهود مراقبة شديدة لانشغالهم بأمور ممالكهم المتداعية الاسس. فكان اليهود يتحينون الفرص ويبعثون دعاة إلى بني جلدتهم فيقتخبون راس الجالوت سرّاً. ويظهر أنهم أعادوا نظام قومهم إلى نصابه وازدهرت جامعتهم في عهد هورمزد وكسرى (١) ويعرف التاريخ أسماء غير واحد من رؤوس الجالوت (٢) من ذلك العهد ومنهم كفي وشينا.

(١) Mendelssohn : The Jews of Asia 219

(٢) راس الجالوت أو أمير المنيق — تعتبر بعض المأثورات يهوداً كيم آخر مائت من سلالة داود أنه أول راس جالوت عرف. الا ان حقيقة الحال ان رؤوس الجالوت وصلوا هذه الدرجة من الغنى والسلطة تدريجاً ولم يثأروا الشهرة البعيدة الا بعد ان استولى البرثيون على بين النهرين.

وكان راس الجالوت في أيام عزه القاضي السامي لجماعات اليهود ولم تضيق الشريعة سلطانه وتنظيمها الا قليلاً راجع Graetz : History of the Jews 2, P 515

ماذا كان يتعاطى اليهود من الاعمال والحرف في عهد الفرس ؟ هذا سؤال يدور في خلد كل من وقع بيده كتابنا هذا . فاعاماً للفائدة نقول . ان اليهود منذ سبي بابل انقسموا فرقتين فرقة بقيت في بابل وفرقة رجعت الى اورشليم وكانت كل منهما ترسل الاخرى وتراجعها في شؤونها الدينية والادبية والسياسية والمادية . فهذا الافتراق نذر في قلوبهم حب الاسفار ومن ثم حب التجارة . ورسخ فيهم هذا الميل الى الاسفار والتجارة بعد تفرقهم في عهد اسكندر الكبير وادريانوس وطيطوس وغيرهم من الملوك الذين سمعوا في تفرقهم وتشعبت الفتيمة وانما كان عدد غير يسير من يهود العراق نجاراً ومن المرجح انهم تعاطوا التجارة مع الهند واضمحوا وسطاء بين تجار اوربا وتجار الهند بمؤازرة بني جلدتهم في فلسطين وقد جاء خبر اسفار يهود بابل وفلسطين بالسفن الى الهند وبالقوافل الى قديمة وآسية

وقد جاء في المعلة البريطانية Encyclopaedia Britannica في مادة Exilarch ان في القرن السادس للميلاد بذلت المساعي لتأمين استقلال اليهود (Autonomy) بالقوة الا ان راس الجالوت الذي قام بهذه الحركة قتل وهو مار زوترا . وبقى هذا المنصب شاغراً الى عهد الوازعين العرب فرجع اليه حينئذ بهاقه وان جميع رؤساء الجالوت الذين قاموا منذ القرن السابع للميلاد حتى القرن الحادي عشر كانوا من سلالة يستاني الذي بواسطته تجدد عز هذا المنصب وتأييد موقفه السياسي (سيأتي الكلام عن منزلة راس الجالوت في عهد العباسيين بعد هذا)

الصغرى (١) .

وكانوا يتعاطون الزراعة ويشتغلون بفلاحة الارض كما كانوا في عهد البابليين على مامر بك في هذا الكتاب واحترفوا الحرف المختلفة كما تشهد بذلك اسماء ربانيتهم التي وردت في التلموذ منذ القرن الاول ق م حتى القرن الخامس بم . فمنهم الصائغ والحائك والصباغ والدباغ والاسكافي والبناء . وغيرها من الاسماء التي تشير الى حرفهم وتعرف صناعاتهم (٢) .

وعلى ذكر سفر اليهود الى الهند نقول ان فريقاً من المؤرخين يذهبون الى ان اصل يهود الهند الحاليين من بلاد فارس احدثوا اليها على طريق البر او انهم امعنوا في البحر فرست سفنهم في سواحل ملبار . وقد درس هذا الموضوع المؤرخ جوست Jost واسفرت ابحاثه عن ان اصل يهود كرنكاتور وكوشين نتيجة تقهم من بلاد فارس في عهد قباد ٤٨٨ — ٥٣١ ب م لابل انه قال ان مهاجري اليهود وصلوا ملبار نحو سنة ٤٢٦ ب م . وقد قالت المعلة اليهودية ان المرسوم الذي اعطاه احد امراء الهند الى اليهود يرتقي تاريخه الى بين سنة ٧٥٠ و ٧٧٤ ولا يزال نصه الاصل موجوداً على قطعة من النحاس . وقد قال المؤرخ جوست ان هذا المرسوم اعطي الى يوسف الرباني ورفقائه الذين اتوا من بلاد فارس (٣) ولا ننكر ان العلماء قد اختلفوا في اصل يهود الهند ومنشأ بلادهم قبل ان يجلوا في ذلك القطر الا اننا نرجح رأي

(١) Jean Juster. Les Juifs dans l'Empire Romain

(٢) Isidore Loeb. Réflexions Sur les Juifs

(٣) S. Mendelssohn : the Jews of Asia 98, 132

الدكتور جوست على أنهم دخلوا من بلاد فارس وأن يومئذ العراق من ضمنها .
 وكل يعلم أن نصارى العراق يسموا يديهم في بلاد الهند منذ القرون الاولى للنصرانية .
 ومن ما تورات الكنيسة الكلدانية ان مارثوما دور رسول الهند . وعلى رأي بعض
 المؤرخين الاوربيين الذين يرفضون هذا التقليد لا يقرون على انكار وجود جماعة نصرانية
 في الهند منذ اوائل القرن الرابع الميلادي . ورحل في سنة ٤٥٠ م من بلاد النهرين
 وآثور وبابل نحو اربعمائة عائلة مع يوسف مطران الرها وكثير من القسوس والشمامسة
 وتوجهوا الى ملبار وزلوا في مدينة كرانكا نور وهناك بنوا بيوتاً وكنيسة رضى ملكها
 كما يستفاد من الأثر النحاسي الذي كان موجوداً لدى الملباريين في القرن الثاني عشر (١)
 فمن ذلك الاقادة التاريخية عن نصارى العراق وطمعهم الى الهند في القرون الاولى للنصرانية
 نستنتج ان اليهود هاجروا الى الهند من العراق وهذا مما يؤيد رأي الدكتور جوست .
 ولم ينتشر اليهود في الهند وحدها بل القوا عصاً برحلمهم في الصين وعهد نزولهم قديم
 وكان الماثور عند اسلاف يهود الصين الحاليين انهم اتوا تلك الاقطار من ديار بلخ وبرثية
 استولى سلوقس الكبير عليها . وكانت التجارة مهنة الرحالين اليهود فسافروا اولاً
 الى سيلان ثم ذهبوا الى الصين فالهند بيئة صالحة لأعمالهم فقاموا فيها .
 ويذهب كثرة ان المهاجرين اليهود الذين نزولوا الصين اولاً جاؤوا اليها من بلاد
 فارس على اثر الاضطهاد الذي ناله عامهم في سنة ٢٣١ م . (٢)

(١) راجع كتاب ذخيرة الادهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان لمؤلفه

القس بطرس نصري المجلد الاول ص ٣٤٥

S. Meudelssohn : the Jews of Asia 133, 163

(٢)

اللغة العبرية وآدابها

في بابل

انتقل معي إليها الفارسي إلى القرون الغابرة التي عقيبت جلاء اليهود إلى بابل وتعال
زر وادي الرافدين ونطف المدن التي نزلوها في عهد تفرقهم ذلك العهد الذي أطلق
عليه اليونان لفظة « دياسپورا » (Diaspora) . فالتفت على اتساع انتشارهم
في بين النهرين والعراق وبلاد ما بين بلاد عيلام (١) وبعد هذا البحث المهم تعظف
نظرياً على الشوط البعيد الذي قطعته اللغة العبرية وآدابها في بابل . وندخل المدارس
الدينية وننقد شؤونها ونرى علماءها الاعلام ورؤساءها العظام وما أنتجته قرائهم
الوقادة من المؤلفات النفيسة التي طبقت شهرتها الخافقين ولا سيما كتاب التلمود ذلك



الحاج آية الله العظمى آية الله العظمى آية الله العظمى آية الله العظمى آية الله العظمى
من الحكومة المركزية

(١) ان بلاد عيلام كانت تشمل في العصر التاريخي الاقليم المعروف الآن بـ إيران
ولورستان وپوش كوه وجمال البخترية. وقال ديولاfoy Dieulafoy ان
حدودها تمتد في خليج فارس حتى جنوبي الهند . ويحدها في الشمال على وجه التقريب
الطريق الضيق للساغر من بابل إلى أكشانا (همدان الحالية) وفي الشرق كان ضمها
جمال البخترية وقسم من إقليم فارس الحالي . وكانت تتميز هذه الحدود بين امتداد
وضيق حسب قوة الدولة وصنفها . وفي الغرب كان دجلة حدها ايلامية واتساع
مطولها . وكانت عاصمتها شوشن .

الكثرة الادبي والاجتماعي والديني .

تفرق اليهود بين النهرين في الرقة وكان اسمها عند اليونان Nicephorium
وسميت عندهم منذ القرن الرابع للميلاد Gallinieum . وحران وعرفت عند
اليونان بـ Charrae او Carre . وفي الرها وكرخ مغارة وهي قرب الرها .
وآمد . وتلا . وستجار . والموصل . وينبوى . وحدياب . واربل .

وفي العراق . في بابل وبرتا (١) وقر (٢) وفروز شاپور وبرتش Barnish
ومحوزة (٣) وسلوقية وطيسفون (٤) ونصيبين التي كانت في بابل وهي غير نصيبين

(١) ترك اليهود السكنى فيها لما حل بوليانس الجاحد على الفرس

(٢) قد مر الكلام على قر في حاشية صفحة ٣٧ من هذا الكتاب فزيد على
ذلك ونقول ان اليهود والنصارى اعتبروا هذه المدينة مدفناً مقدساً لموتاهم . وقد عثر
النصابون في خرائثها على قبور فيها اقداح مكتوب عليها بالارمية والسريانية لوقاية الموتي
من شرور الروح الخبيثة وهي من القرن السادس للميلاد وبقيت الملتان تدفنان في الحلة
القدسة حيث كان يقوم قديماً هيكلها العظيم حتى ما بعد القرن السابع للميلاد اي بعد
سقوط بابل بقرون عديدة وبعد اقواء قر من سكانها راجع :

Morris Jastrow : the Civilisation of Babylon and Assyria
pp. 48, 196

(٣) محوزة مدينة كانت قرب المدائن في الجانب الغربي من دجلة (٤) طيسفون احدى
المدائن السبع اصبحت في عهد الساسانيين عاصمة بلادهم وموقعها حيث يشاهد اليوم
ابوان كسرى وقبر سلمان الفارسي (سلمان باك)

المشهوره . ونهر دعة وبورسيديا وعباديتة وسورا : وسورا الفرات قرب سورا المذكورة
قربا ومائا محساي بجوار سورا الفرات ، وشاف ياتيب ،

وفي بلاد عيلام . شوشن ، وبيت لافط او جند بسابور وخاج في بلاد ماذي .

ان المدن التي اشتهرت بنوع خاص بالاداب العبرية وفازت بالقدح العالي بعدد سكانها
وجامعاتها . وفاخرت الامم بعلمائها وادبائها هي نهر دعة Nahardea او Nardea
وسورا Sora وعباديتة Pambaditha او Pumbaditha واذا ازهرت آداب
اللغة العبرية في بابل واوضحت هذه المنطقة منبعث انوار العلم ومطلع شمس المعارف التي
تألفت انوارها على العالم اليهودي فيجمل بنا ان نقف عندها قليلاً .

يظهر ان اسم نهر دعة كان يطلق على الصقع الذي فيه المدن المذكورة وغيره من
المدن التي اشار اليها التامود . ومن المرجح ان لفظ نهر دعة مؤلف من لفظين عبريين
مفادهما نهر الحكمة او نور الحكمة . اما مدينة نهر دعة فقد ذهب بعض العلماء
الى انها حديثة الحالية التي على الفرات . ويظن ان اول من قال بذلك دانفيل
« D, Anville » وقد استند في رأيه هذا الى تسمية جغرافي العرب هذا الموضع
« النور » وفي ذلك اشارة الى ازدهار العلوم فيه .

وصف يوسفوس في كتابه الامانيات اليهودية نهر دعة انها مدينة بابلية آهلة بالسكان
وفيها اراض واسعة مخصبة وجديدة يصدر غلات العدو لاسها بخاذاً بالسوا منيرة
ونهر الفرات . وذهب بطليموس الى انها في صقع بين النهرين وعلق Cellarius
على كلام بطليموس وقال انها من المدن الواقعة بين حدود بين النهرين

وحدود بابل .

وزارها الرائي بناخيا في القرن الثاني عشر وبالع في محيطها وقال انه مسير ثلاثة ايام
وكل شي فيها خراب بباب . وفي قسم منها يسكن جماعة من اليهود وقد ارونى كنيس
« شاف وياتي » لما اطلعتهم على خاتم رأس الجامعة الذي يقم في بغداد .
وقد تكلم عن اطلال هذا الكنيس القديم بنيامين النطيلي . وذكره التامود
(رويش هاشانوا ٦٤٢٤ الحلة ٦٤٢٩) وارنأي الدكتور بنش Dr. Benisch ان
معنى « شاف وياتي » المدمر والمحوذ البناء .

وقد اختلفت اراء العلماء في رأي دقيق ومن لف لفه في ان الحديثة هي نهر دعة قديم
ابنوه . وقالوا ان جامعة تجمع بين هذا الضقع وضقع نهر سور الواقع في عبر الفرات
من جانب بلاد العرب وكانت عليه سور احدى مدن الجلاء فهذا مما يلحق الى الامر
ويؤيده توافق الاسماء .

اما الذين يجعلون نهر دعة في سهل بابل الغربي فيفضي بهم الامر الى ان يعتبروا
بمباديثة هي الحديثة نفسها . وجاء في كتاب جغرافية التامود لنيبور « Nebauer »
اسم مدينة Beditia وقيل ان معناه « نهر » او « العبر » وهناك علاقة مستحكمة
العري بين مدينة وحديثة وعلى رأي نيبور ان هذا الموضع كان حاضر الجلاء (جولا) او
« رويش هسانا » ثم يصف نهر دعة على انها على بعد ٢٠ فرسخاً الى شمالي سورا .
وعلى هذا القياس ترجع الى حبة . فتكون هذه المدينة قائمة على انقاض نهر دعة
النايرة . غير ان بنيامين النطيلي يقول بان حبة هي بمباديثة عينا وان نهر دعة كانت

على نهر الملك وليس على نهر سورا (١)

وزيادة على الايضاح نقول جاء في معجم البلدان في مادة بهقباد . اسم لثلاث كور
بغداد من اعمال سقي الفرات . . . بهقباد الاعلى سقيه من الفرات ودو ستة طاسيح
طسوج خطرنية وطسوج المهرين وطسوج عين التمر والفلوجتان العليا والسفلى
وطسوج بابل والبهقباد الاوسط وهي اربعة طاسيح طسوج سورا وباروسا والحبة
والبداءة وطسوج نهر الملك . والبهقباد الاسفل خمسة طاسيح الكوفة وفرات
باد قلي والسيلحين وطسوج الحيرة وطسوج تسر وطسوج هرمز جرد . انتهى

والضقع الذي نشأت فيه المعاهد العلمية اليهودية هو الهقباد الاوسط وفيه سورا
وهي قرب الحلة الزيدية . وعباديتة ومعناها قم البداءة . وهي مدينة قد تكون
حبة او البداءة او غيرها بقربهما . وان نهر دعة هي الحديثة الحالية وهذا هو ارجح الاراء
ولا بد هنا من كلمة عن اللغة العبرية وتأثير الارمية عليها . يذهب فريق من العلماء الى ان
اليهود تركوا التكلم باللغة العبرية وحنحوا عن اتخاذها لغة التفاهم بينهم في احوالهم
الاجتماعية منذ جلاء بابل فقط اي منذ القرن السادس قبل الميلاد . فهذا الرأي لا
يقبل الا بحفظ شأن المذاهب التي تختص بظهور اللغات وموتها . وما لا ريب
فيه ان اللغة العبرية الفصحى لم تبقى لغة التأليف فقط بعد الجلاء . بل كان

(١) اعتمدنا في هذا المأخذ على : W. Francis Ainsworth : A Personal

Narrative of the the Euphrates Expedition . Chap XXI.

P 431 - 437

تتكلم بها على القوم وأشرفهم . وبمعجب مجازاة من ذهب ان جلاء فريق من اليهود الى بابل ردحا من الزمان لا يتجاوز خمسين أو ستين سنة حرف لغة القوم لابل أماتها وقام عوضها لغة دخيلة اتخذوها لسان التفاهم بينهم كما القوا فيها عدة كتب مثل الترجوم والجومارا والمشنا والتلموذ . شاع هذا الرأي عهداً من الزمان وكان له انصار من العلماء استندوا الى شهادة التلموذ ولم يصبر هذا الرأي على زار التمهيد بل سرعان ما نقضت دعائمه وهوت أسسه ورجع عنه انصاره لاسباب علمية وهي :

(١) يخبرنا التاريخ ان معظم المنفيين الى بابل كانوا من سادة القوم وعلمائهم ورجال الدين وارباب الفتاوى . وكانوا اودعوا اسرار اللغة المقدسة وزبدة آدابها والتقاليد الدينية وخلاصة ما توراثها اما البقية الباقية في اورشليم فكانت تتكلم لغة دب فيها الدخيل والغريب من الالفاظ والمصطلحات .

(٢) ان احتكاك الاسرائيليين بالارميين من شمالي مملكة اسرائيل عريق في القدم وان الاسرائيليين اخذوا منهم بعض الفاظ في ذلك الزمن .

(٣) يظهر ان اللغة الارمية كانت اللسان السياسي للدولتين الآثورية واليهودية منذ عهد الملك حزقيا راجع ٢ ملوك ١٨ : ٢٦ . ولما سقطت السامرة جلي اليهود من شمالي مملكة اسرائيل واسكن فيها طائفة من الناس يتكلمون الارمية .

(٤) في بعد بضعة اميال من ارض مملكة اسرائيل القديمة كان اليهود يتكلمون لغة مؤلفة من العبرية والارمية وقد حذا حذوهم سكان اليهودية وتبعوهم في هذا الميل الطبيعي فتبدلت اللغة العبرية باللغة الارمية . وقد جاء سبي بابل مشغلا هذه

الحركة ليس الا . اما نحن فنذهب مع القائلين بان اللغة العبرية الاورشليمية الفصحى حفظت في بابل اكثر مما حفظت في بلادها . وقد كتبت على ضفاف القرات التأليف البديعة والمصنفات الجليلة في اللغة العبرية الفصحى . ومنها الفصول الممتعة المجموعة في سفر أشعيا من الفصل الاربعين الى الفصل السادس والستين وبعض المزامير وغيرها كما ترى (١)

ان الاداب التي اتتجها العبريون في عهد ساداتهم في سهول القرات ودجلة كانت في بعض اعتبارات من ابداع ما كتبه الشعب الصغير . فان حزقيال في بيئته الجديدة والغريبة اناه الوحي وكتب في القسم الثالث من كتابه منهجاً لشعب اسرائيل الجديد تنضات اسامه مناهج سفر الاشتراع . وقد لاحظ دارسو التوراة في هذه السنين الأخيرة ان سفر الاشتراع يلزم كل لاوي بان يكون كاهناً اما حزقيال الكاهن فقد خالف نوا نص سفر الاشتراع واكتفى بالصدوقيين فقط من اللاويين ان يكونوا كهنة . وبهذا الاختلاف خرج على سفر الاشتراع وانكر سيطرته وسيطرة كتبه والملك دوشع الذي كان محاميه لابل وكان قد قاوم الشعب العبري جميعه ذلك الشعب الذي أعلن باتفاق مع الملك ان سفر الاشتراع يكون القانون الملكي والقومي الجديد للحكومة والعبادة .

واذا انتقلنا الى سفر اللاويين نرى الفصول العشرة من الاصحاح السابع عشر الى الاصحاح السادس والعشرين التي يطلق عليها « كتاب القداسة » أنشئت في عهد

(١) E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé des langues Sémitiques

الحللاء منذ القرن السادس قبل الميلاد وما بعده تتضمن خطة حياة تفوق الحياة التي سار فيها الشعب المنفي في بلاد يهوذا قبل سقوطه .

ان انظم تأليف جاء في آداب اللغة العبرية في عهد الحللاء لا بل من اعظم تأليف في آداب اي لغة كانت هو تلك القصيدة الغراء العالية التي بدأت في الفصل الاربعين من سفر اشعيا حتي نهاية الفصل الخامس والخمسين ومطلعها : (١)

« عزوا عزوا شعبي يقول الربكم »

ولقد يأخذ الباحث العقاد العجب من ان هذه القصيدة الفريدة كتبت في ارض المنفى لما كان الشعب اليهودي يذوق ماض الحياة وآلام الغربة في سهول بابل التاسعة . وبيت القصيدة فيها ان المؤلف يحرض المنفيين على الادعاء بالحرية ويستنهضه الى المطالبة بالتخلص . يتناديهم بالرجاء والامر ، ويحم عليهم السير في القفار المهلكة حتي يغضي بهم السير الحارض الوطن القديم ارض يهوذا ! فتقر عيونهم هناك بالمشاهد الفتاة برؤية المزارع القديمة والكنوز الخالية ، بالديار العزيزة وبقديس صهيون التي حنت اليها قلوبهم . كتبت هذه القصيدة على ما يظهر حوالي سنة ٥٦٠ ق م . لا حل كورش الفاتح العظيم على اعالي دجلة واراد ان يستولي على الغرب فامعت بارقة الرجاء للمؤلف وتوقع ان ينزل الفاتح الى الجنوب ويستولي على ارض بابل ومدينها وكنوزها . فالخديصف تلك الوقائع ويتوقع زوال الأسر (٢)

(١) راجع الحاشية الاولى من ص ٦١ من هذا الكتاب عن مؤلف هذه الفصول .
(٢) A. Duff : History of Old Testament Criticism PP. 32, 34

ويمكننا القول هنا مع ارلست رينان : اوضحت بابل لابل المدن التي تحيط بهذه المدينة العظيمة حاضرة ثالية لما ثورات اليهود ولغتهم وعظم شأن قطر بابل وزادت خطورة في تاريخهم القومي بعد ان خرب الرومان اورشليم فاصبح آنئذ مقرهم ومقام آدابهم اللغوية وقدارتاي المستشرق اوالدان في بابل وضعت اساس درس اللغة العبرية درساً علمياً منذ القرون المتوخل في القدم ولا نخطئ الحزن ان قلنا ان في هذه الديار خفظت تقاليد اليهود بعد ان تكبت مرتين في غضون سبعة قرون وكاد يتقاص ظلمها من اورشليم . (١)

وقد اشهرت في العراق مدارس اليهود الدينية ولا سيما مدرسة نهر دعة وسورا وعباديتة مدرسة نهر دعة كانت مركزاً مهماً لليهود تجمع فيها هدايا يهود بلاد فارس وبين النهرين وبلاد الغرب لميكل اورشليم ومدارسها . (٢) كما مر بك في صفحة ٧٠ من هذا الكتاب ونالت مدرستها صيتاً بعيداً منذ القرن الثاني للمسيح ولم يطل امدھا طويلاً بل خربت المدينة في سنة ٢٥٩ م . (٣)

اما مدرستا سورا وعباديتة فقد ذاعت شهرتهما في اربعة اقطار المسكونة وحصلتا على منزلة سامية في آداب اللغة العبرية واطحن رؤساؤها انواراً يستضي بهاومهم العالم اليهودي عدة قرون وانتجوا ذلك التأليف العظيم الذي اصبح مرجعاً للمفسرين

E. Renan : Histoire Générale et Système Comparé (١)
des langues Sémitiques.

(٢) راجع ص ٧٠ من هذا الكتاب

S. Mendelssohn : the Jews of Asia 214 (٣)

الدينية والمعاملات الدينية أريد به التلموذ البابلي .

كان مؤسس مدرسة سورا في بابل الراب الشهير المعروف ربا بن عريقا . وكان قد عينه راس الخيلوت مفتشاً لاسواق بابل . ويظهر أنه استقال من وظيفته هذه عند تأسيس المدرسة سنة ٢١٩ م . ورأس ١٢٠٠ تلميذ قام باود عدد منهم لأنه كان من رجال اليسار وأصحاب الاملاك الكثيرة . وقام باصلاحات عديدة فاحترمه جميع سكان المملكة .

ومن معاصري الراب الموما اليه مار شموئيل الفلصي المتوفى سنة ٢٥٤ م قالهما افادا بتساعتهما يهود بابل واصلحا حالهم الادبية وبشأ بينهم حب الدرس والوقوف على الشريعة حبا حملهم على ان يفتقروا الجهال الذين لم يطلعوا على آداب اللغة العبرية وتاريخ اليهود . وكان تضلعهما عظيماً من الشريعة كما ان اختلاف نظريهما في المسائل كان كبيراً ولما دون التلموذ بعد ذلك ترى ان جامعيه اذا ارادوا ان يؤيدوا بعض المسائل فيه قالوا : ان الراب ومار شموئيل اتفقا عليها .

وفي ختام القرن الثالث للميلاد قدرت جامعة سورا رجلها العظيم وعميدها الكبير من كان قد لبسها ثياب العز والفخر أريد به ناحونا الثاني خليفة الراب الذائع الصيت (١)

وقد عرف بضع مئات من العلماء الاعلام الذين خرجوا من مدارس سورا وعباديتة على مختلف العصور لان هاتين المدرستين بقيتا نحو ثمانية قرون منبعث العلم الديني لليهود

ونخص بالذكر في الحقبة التي سبقت عهد التلموذ البابلي ربا بن نحمان المتوفى حوالي سنة ٣٣٠ م وقد لقب بـ « قلاع الجبال » نظراً الى لياقته الاسانية . فان مجادلته مع رابي يوسف بن حيا ومجادلات تلميذيهما ايبا ورحا هي من اهم قوام البحوث الدقيقة في الجمارة البابلية .

واشتهر في القرن الرابع للميلاد رئيس مدرسة عباديتة يوسف برشيجا وقد نسبت اليه الاقتباسات الواردة في التلموذ من راجيم (جمع رجوم) الانبياء . وبقيت العلوم زاهرة في بابل بعد ان خبا نورها في فلسطين وفي عهد الراب آشي الشهير رئيس مدرسة سورا (٣٥٢-٤٢٧) تمت خطط التلموذ البابلي وذلك نحو قرن بعد ان تم التلموذ الفاسطيني . والرأب آشي وان اعتبر مؤلف هذا السفر النفس الا انه في الحقيقة ليس عمل رجل واحد ولا تأليف مدرسة واحدة . فان جمعه دام بسنوات عديدة بحماية رؤساء المدرسة وليس بمشارفهم او بنظارهم مباشرة . ولم يذكر آشي اسمه فيه الا لانه آخر من عمل فيه . وقد جاء بعده طالمان الحزب انهاء التلموذ وعمل الرابا يوسفيا Toséphaia (المتوفى سنة ٤٧٠) ورايينا اي راب ايننا (المتوفى سنة ٤٩٩) ولهذا جاء في التاريخ ان تلموذ بابل انجز في اليوم الثالث عشر من شهر كسلو واليوم الثاني من كانون الاول سنة ٤٩٩ م .

ان نظام الجامعات كان مؤسماً على اسس نفيد الدارسين والموام . وكان دستورهما ديمقراطياً . ومن اهم احوالها الاجتماع العام المدعو (كله) الذي كان ياتهم مرتين في السنة اي في شهر ايلول عند انقضاء الصيف وفي آذار عند انقضاء الشتاء . وكان يحضر

هذين المؤتمرين العلماء والمدارسون من كل صقع وحذب على اختلاف أعمارهم وتباين درجات علمهم . فتمهلت الاسئلة من كل جانب على ذلك المؤتمر . فيتناقش الأعضاء فيها ويقتنون ويوقع تلك الفتوى بعد البت فيها رئيس الاجتماع « ريش كله » وكانت منزلته بعد رئيس « الجلسات المدرسية » « ريش مبدئا » . وعليه فقد كانت الجامعات البابلية بمنزلة مدارس خصوصية للشريعة وجامعات او دور ندوة للشعب (١)

واذا افضى بنا البحث الى المشنا والحجارة والتلموذ وجب علينا ان نقف عندها ونبحث عنها بحثاً مجملًا على قدر ما يتحمله كتابنا هذا فنقول : ان التلموذ اسم عام للمشنا والحجارة ويطلق بنوع خاص على الحجارة وحدها ولا سيما التلموذ البابلي . اما « المشنا » او الشريعة الشفهية فقد اختلف علماء اليهود في اصلها فهم من رفلها الى عزرا ومنهم الى سليمان وداود ومنهم الى موسى . والذين عزوها الى موسى اختلفوا في الرأي فذهب فريق منهم الى انها سلمت اليه كتابة كما هي او خلاصتها وفريق الى

(١) ان رؤساء اساقفة الكنيسة النسطورية كانوا يعقدون مثل هذه المؤتمرات او السندوسات مرتين في السنة في عهد البطريرك بابي ٤٩٧ - ٥٠٢ فكان كل رئيس اساقفة يجمع اساقفته مرتين المفاوضة في شؤون اقليمه ثم اقتصروا على الاجتماع مرة في السنة في شهر ايلول وذلك في عهد البطريرك حزقيال (٥٧٠ - ٥٨١) راجع السندوسات الشرقية طبعة شابو (ص ٣١٣ وص ٣٨١) ورسالتنا في جريدة « صدى بابل » العدد ٥٧ من سنتها الثانية بعنوان « احوال الكلدان على توالي الازمان » .

انه تلقاها مشافهة . ونحتوي على احكام دينية وقضائية تفسر احكام شريعة التوراة او شريعة موسى . وموظفهما مكتوب باللغة العبرية التي كانت جارية بعد النبي ومنقسم الى ستة اقسام (سداريم) الاول يبحث في الفلاحة (ذراعيم) والثاني في الاعياد والمواسم (موعيد) والثالث في النساء وحقوقهن (ناشيم) والرابع في العقوبات (ازكين) والخامس في الذبائح والضحايا (قادشيم اي المقدسات) والسادس في الطهارة والنجاسة (طهوروت) .

ويقسم كل قسم من هذه الاقسام الى عدد معلوم من الرسائل (ماسكتوت اي انسجة) والرسالات الى فصول (براكيم) والفصول الى فقرات او قضايا . ولا محل هنا للافاضة في كل واحد من هذه التقاسيم .

فالتلموذ الفلسطيني يذكر كل فقرة او قضية من المشنا ويرددها بالحجارة . اما التلموذ البابلي فيكتفي بالإشارة الى صفحة المشنا ويرددها بالحجارة نواً ويشير الى كل وجه من الصفحة بـ (ا) و (ب) . والحجارة البابلية او التلموذ البابلي يبحث عن ٣٦ رسالة ونصف من المشنا . ولغته الارمية الشرقية (التي تضاهي الارمية المندائية) والتلموذ الفلسطيني مكتوب بالارمية الغربية (التي تضاهي ارمية الكتاب المقدس او ارمية التراجيم (جمع ترجوم) الا قسم الباريता فله بالعبرية . وان كان عدد الرسائل التي يبحث عنها التلموذ البابلي اقل من التلموذ الفلسطيني الا ان حجم الاول يفوق حجم الثاني نحو ثلاث مرات . وقد قال احد الرابانيين ان الشريعة المكتوبة هي ماء والمشنا حجرة والحجارة شراب معطر تقس كل النفاسة (١)

وقد تضاعفت أنوار التلموذ الفلسطيني أمام التلموذ البابلي . فقال هذا منزلة سامية عند علماء اليهود ولا يزال كذلك الى يومنا هذا . وان استعمل حينئذ القرائيون التلموذ الفلسطيني في مجادلاتهم . (وسيأتي ذكر القرائيين في حينه)
تضم حقبات العلوم الدينية عند اليهود بعد المسيح الى « عمورايم » اي متكلمين او مفسرين وهم العلماء الذين ظهر واحوالهم سنة (٢٢٠ - ٥٠٠ ميلادية) فانشأوا الجمارة وابتعت حقبهم بانتهاء التلموذ . ثم جاءت بعدهم حقبة « السابورائي » اي الشارحين او المترجمين . ودامت هذه الحقبة نحو اربعين سنة (٥٠٠ - ٥٤٠ ميلادية) وقد اضافوا على التلموذ بعض اضافات من عندياتهم للشرح وللقضايا الجديدة .
وجاء بعد حقبة السابورائي « حقبة الغاؤونيم » وهم رؤساء مدرستي سورا وبنهادية في بابل . وغاؤونيم جمع « غاؤون » ومعنى هذا اللفظ العبري « المضمخ » . وهذه الكلمة وان كانت قديمة العهد الا انها اطلقت بنوع خاص على رؤساء المدرستين منذ اوائل القرن السابع للميلاد الى القرن الحادي عشر اي نحو اربعمائة سنة ونسي . وقد اختلفت منزلة الغاؤونيم باختلاف الدهور والاشخاص الذين تولوا هذا المنصب .

وقد خلف كثيرون من الغاؤونيم مصنفات جليلة اشتغلوا بها فرادى وانفسها في عيون اليهود بالنظر الى اتساع الآداب عندهم هي مؤلفاتهم الموضوعة على طريقة السؤال والجواب ولا سيما تلك التي تعالج ابحاث الهلأقا . (١) وكانت رداليهم هذه الاسئلة من اقطار

(١) الهلأقا « Halacha » القانون العرفي المختص بالحياة والقضاء والقدر .

مختلفة . فلما يجيب عنها الغاؤوني بنفسه ويبت فيها بتاً منفرداً . ولما يكون الجواب خلاصة المناقشة التي تدور حول الموضوع بين اعضاء المدرسة . واول ظهور هذه المصنفات كان في القرن السابع بقلم مار راب نشنا وآخرها في عهد حي غاؤون المتوفى سنة ١٠٣٨ . وكل المؤلفات التي ظهرت في تلك الاثناء هي مشحونة فوائده أدبية .

ومن جملة مؤلفات القرن الثامن كتاب الاسئلة (شالوثوت) من آثار راب احي صيحا . وان لم يكن غاؤونيا فالمرجح انه من مدرسة بنهادية . كان احي صيحا عالماً من اشهر العلماء التلموذيين ولم يظهر تأليفه المذكور وهو مجموعة أناشيد عن الشريعة اليهودية والاخلاق الا وشاع تدريسه وتناقلته افواه العامة . والمشهور ان هذا التأليف اول سفر كتبه عالم يهودي بعد انتهاء التلموذ .

نكتفي بما ذكرناه عن الآداب العبرية في بابل في هذا الفصل الموجز لابل موجز الموجزات وعن مدارسها ولكننا سنذكر في مطاوي بحثنا في كل عصر بعض العلماء الذين نبغوا في عصره .



يهود العراق في عهد العرب

عرفت اليهودية في بلاد العرب في عهد الجاهلية . وقد كان لليهود في تلك الجزيرة جماعة ضخمة قبل ظهور النصرانية بنصف قرن . ويدعي يهود اليمن ان اجدادهم طعنوا الى ذلك القطر منذ عهد سليمان الحكيم . ومن ما ثوراتهم المرحح قبورها ان طارئة منهم جاءت اليمن قبل خراب الهيكل الاول باثنتين واربعين سنة ويزعم ان ارميا النبي زل اليمن على راس ٧٥٠٠ يهودي بينهم الكهنة واللاويون . وان عزرا الكاتب قبل ان يرجع الى اورشليم في عهد كورش (٤٥٨ ق م) عطف على بلاد العرب واراد ان يقنع مهاجري اليهود بالرجوع الى وطنهم فابوا . وبعد ستة قرون من ذلك التاريخ نرى القوم في اليمن رابعين في مجبوحة الهناء ويقال ان في القرن الثاني للميلاد داجر اليه طارئة كبيرة منهم (١)

ويقال ان اليهودية كانت منتشرة في اليمن على عهد الملك « ياسر النعم او النعم الانعام » الذي أمر بنصب صنم نحاس وكتب على صدره بالمسند هذا الصنم لياسر النعم الحميري ليس وراءه مذهب فلا يتكلمن احد ذلك فيعطب . وقيل ان وراء ذلك الرمل قوماً من أمة موسى . وهم الذين جاء عنهم في الآية : ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق

وبه يعدلون (سورة الاعراف) والله اعلم . (١)

وقيل ان انتشارها كان في عهد خليفة ياسر النعم وهو تبع وهو تيان وهو اسعد ابو كرب . ولا يعلم بالضبط زمن ملكه فمنهم من قال انه في اوائل القرن الثالث للميلاد ومنهم من ذهب الى انه كان في القرن الرابع . وقيل انه يهودي على ايدي حبرين من بني قريظة اسمهما كعب واسد وهو الذي ادخل اليهودية الى بلاد اليمن (٢) وتولى في اوائل القرن السادس للميلاد عرش اليمن الملك الشهير ذو نواس وكان يهودياً وحمل على نصاري نجران واستظهر عليهم وخبرهم بين اليهود والخذود فاستجاروا بالحبشة فاجاروهم وحلوا على ذي نواس وتغلبوا عليه وعلى قومه وقيل انه لما رأى ذلك ركب فرسه واغرق نفسه في البحر (٣)

وانتشر الدين اليهودي في قبائل من العرب في غير ويني كشانة ويني الحرث بن كعب وكشانة (٤) . وقد قام منهم شعراء مجيدون لهم قصائد حسان شحيحة السبك مرصدة المعاني كالوس بن دني من قريظة والربيع بن الحقيق من روبا قريظة وكعب بن الاشرف بن النضير واني الزباد اليهودي . وغيرهم من الذين وصل اليها ذكرهم او من الذين انقطع عنا خبرهم (٥) . ومن يهود الجاهلية ذلك النهم المكريم الذي سارت الركبان بذكره وضربت الامثال في سماحته ووفائه السموأل بن عاديا صاحب القصر الابلق في تيماء وقد مدحه الاعشى في قصيدة منها :

(١) الكامل لابن الأثير ج ١ : ١٠٨ (٢) الطبري ج ٢ : ٩٥ و ٩٦ (٣) الطبري ج ٢ : ١٠٧ (٤) المستطرف للاشعري الجزء الثاني ص ١١٤ (٥) الاثافي ج ١٩ : ٩٤

كن كالسموال اذ طاف الهمام به في جحفل كسواد الليل جرار
فبك غير طوبى ثم قال له اقبل اسيرك اني مانع جاري (١)

وكان بينهم رجال حرب وطعان اظهروا في وقائعهم في صدر الاسلام قدرة على
القتال وزوعاً الى اتخاذ السلاح ورباطة جأش اسهب في وصفها كتاب العرب وودعوا
حوادثها في كتبهم (٢) وتعاطى يهود بلاد العرب التجارة حتى اهتم احتكروا بيع
السلع في يرب لان رؤوس اموالهم كانت تساعدهم على الاحتكار (٣)

كانت حالة اليهود في الشرق في مفتح القرن السابع على مامر بك في الفصول
السابقة . وكانت دولتان عظيمتان تتنازعان النفوذ في العالم وكل منهما تحاول من
سيطرهما على الاخرى وتسعى الى توسيع نطاق ملكها اريد بهما دولة الرومان ودولة
الفرس . وكانت دولة ثالثة دون الاثنين في الحول والطول ولكنها كانت تجمع
قواها من حين الى آخر وتزل ميدان الاعتراك الا وهي دولة الحبشة .

ولما كانت الامور سائرة هذا السير انبعثت من بلاد العرب قوة عظيمة قلبت
العالم ظهراً لبطن وبرز من مفاوز الحجاز رجل فتح صحيفة جديدة في تاريخ الدين
واجتمع والسياسة وهو النبي محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب رسول العرب . فبث
دعوته ونشر الاسلام في المسكونة .

(١) الاغانى ج ١٩ : ١٠٠ (٢) الطبري ج ٢ : ٢٩٧ وج ٣ : ٢ و ٥٢ و ٩١

(٣) نجارة العراق قديماً وحديثاً ص ٣٨

واذ كان لكل دعوة من مبادئ تعزز كتابها وتسند قوامها وتضمن سلامتها
ولكل ملة شرائع تنص بواجبات المال الاخرى وحقوقها وقد اودعت للاسلام تلك
الشريعة سورة التوبة .

سارت الكتابات الاسلامية من بلاد العرب وتوجهت الى العراق بقيادة سعد
ابن ابي وقاص في عهد الامام عمر بن الخطاب وفتحت الخورنق والحيرة والقادسية
وهمشير والابوان واسبائير (١) وكل بلاد العراق ودكت معالم الفرس واستولى المسلمون
على العراق وسكانه . فكان نصيب اليهود كسائر اصحاب الاديان في هذه الاقطار
فمنهم من دالوا بالاسلام ومنهم من ادوا الجزية .

ويظهر ان اليهود والنصارى في العراق استبشروا بالفتوحات الاسلامية وساعدوا
الفاحين المسلمين اهل التوحيد لانهم كانوا يستثقلون وطأة حكم الفرس الوثنيين
ولا سيما في اخريات ايامهم حيث كان الضعف قد فشا في دولهم .

جاء في تاريخ اليهود ان البستاني (٢) راس الجالوت ارضى الامام

(١) اسبائير معنادا مدينة الخيل لان (اسبان) الخيل و (بر) المدينة باللغة
الفارسية القديمة . فقد اخطأ اذا من قال اسبائير كما جاء في كتب كثيرة . وقد هدانا
الى هذا التصحيح حضرة استاذنا العلامة الاب التماس الكرملي .

(٢) البستاني هو راس جالوت على اليهود بعد الفتح الاسلامي تولى هذا المنصب
في منتصف القرن السابع للميلاد . وهو الذي اعاد مجد رئاسة الجالوت بعد ذواله .
وبقى هذا المنصب في اعدائه بتوارثه الخلف عن السلف عهداً طويلاً .

عمر بن الخطاب وخدم المسلمين خدمات جليلة . فتقديراً لتلك الخدمة اعظم عليه
بمهددة (١) اودعها وصايا بحق اليهود . وقبل منصب رئاسة الخلافة وافر بمنزلة
وسلطته على ابناء قومه (٢)

ان الامام عمر بن الخطاب حم على اهل الذمة في العراق جزية رتبها كما يلي .
قسم القوم ثلاثة صفوف : العلية والاوساط والسواد وكان يتقاضى من كل نفر من
علية القوم جزية قدرها ٤٨ درهماً ومن الاوساط ٢٨ درهماً ومن السواد ١٢ درهماً
في السنة (٣)

وفي عهد يزيد الاول الاموي ومن عقبه من الخلفاء تولى عاش اليهود في العراق
في هدوء وسلام (٤) وكان لرأس الخلافة نفوذ على ابناء قومه نفوذ السلطان .

وظف المسلمون اليهود في صدر الاسلام . لما كان موسى الاشعري والياً على البصرة
كان له كاتب يهودي يعتمد عليه في شؤون الولاية ويركن اليه ولا يشق بغيره . فبلغ

(١) كثيراً ما ورد ذكر اليهود التي اعطاها الخلفاء الراشدون للنصارى واليهود
ولكن رجال التحقيق والتدقيق ينكرون صحة هذه اليهود مستندين الى درس
انصوصها . وقد ثبت عندهم ان انشاء اليهود لا يوافق انشاء زمان الراشدين وبين اسماء
الشهود الذين وقعوها من قدر انقضت آجالهم قبل تاريخ التوقيع .

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 220

(٣) كتاب زهرة القلوب الفارسي لمؤلفه حمد الله المستوفي القزويني ص ٢٩ من

طبعة ليدن

(٤) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

الامام عمر عنه مادعاه الى طاب عزله فتوقف ابو موسى عن اجابة الامر معتذراً بأنه
لا يجد لديه من يقوم مقامه سواه فعساوده عمر بالامر وبقي ابو موسى على رأيه . حتى
كتب اليه مرة ثالثة .

ولما خط المسلمون الكوفة لم ينتقل اليها احد من اليهود بل بقوا في الحيرة وقد وقف
سنة ٧٢ هجرية الحجاج بن يوسف الثقفي على المنبر في الكوفة وقال يا اهل الكوفة
لا اعز الله من اراد بكم العز ولا نصر من اراد بكم النصر اخرجوا عنا لا تشهدوا
معنا قتال عدونا انزلوا بالحيرة مع اليهود والنصارى .

وجاء في رواية عن الواقدي ان في سنة ٢٠ اجلى يهود نجران الى الكوفة . وعلى
كل حال لم يطل الامل على انشاء الكوفة حتى نزلها اليهود وازهرت جماعتهم فيها .
جاء في اخبار ابي العباس السفاح راس الدولة العباسية انه نزل عليه في الكوفة عبد الله
ابن الحسن بن الحسن بن علي مناظرة في الخلافة من آل البيت فسأله السفاح وكان به خفياً
هل في نفسه شيء يشبهه فيبلغه اياه فقال له قد بانمت في اكرامي واجلت في حاجتي ولكنني
ما ذات اشهي ان يجتمع لي مرة الف الف دينار . فقال ابو العباس لا يوجد يا اخي
هذا المقدار في بيت مال المسلمين ولكن انتظري ريثما اندارك لك ثم ارسل السفاح
من فوره الى رجل تاجر يهودي فاقترض منه هذا المال الجسيم (١) .

ولما عمرت بغداد سنة ١٤٦ هجرية (٧٦٣ م) تجلب اليها الناس من كل صقع
وقطر لالارتفاق والتجارة والادب ويقيم المسلم والنصراني واليهودي والصاني والسامري

(١) مجلة المقتطف المجلد ٢٤ ايار سنة ١٩٠٠ ص ٣٨٦

والجومي والبوذي وغيرهم . ولم تتفرد بغداد وحدها بهذا الامر بل كانت البصرة والكوفة في العهد العباسي الاول على هذا المنوال من تجمع اهل الملل والنحل على تباين مذاهبهم (١) .

وفي النصف الاخير من القرن الثامن للميلاد نشأت في بغداد بدعة القرائين على يد عنان الشير (٢) فانه بعد ان فشل من الارتفاع الى منصب رئاسة الجالوت لفساد سيرته وسوء اخلاقه وقلة تقواه واقام اليهود مكانه اخاه الصغير حنايا عادي فرقة الربانيين التي كانت صاحبة الكلمة الراجحة في قومهم وخرج عنهم بدعته الجديدة . ونادوا اتباعه رأساً للجالوت .

فقامت قيامة الربانيين وتذرعوا بما لديهم من الحول والظول وسخروا نفوذ رأس الجالوت في احباط الفئة الجديدة وتوصلوا الى سجن عنان واصدار امر بقتله الا ان ابا حنيفة صاحب المذهب الحنفي انقذه من هذا الحكم وكان في سجن واحد .

وجاءت اجيال بعد عنان ذاقوا فيها القراؤون مضض اضطهاد الربانيين وما كسبهم حتى اضطر قوم منهم الى مغادرة البلاد ورحلوا الى فلسطين حيث لم يكن نفوذ رأس الجالوت واسع النطاق كما هو في العراق .

وما عثمت فلسطين ان اصبحت مركزاً مهماً للقرائين واستظهروا فيها على

(١) جرجي زيدان تاريخ آداب اللغة العربية .

(٢) يقال ان عنان توفي سنة ٧٦٥ للميلاد وقد ألف كتاب التفسير لا سفار

موسى ومصنفات أخرى في اللغة العبرية التلمودية والعربية وقد فقد معظمها

الربانيين . ولما كان منتصف القرن التاسع للميلاد جاء ابن مثير من فلسطين الى العراق وجرد لدى الربانيين ليسمعوا بما لديهم من الوسائل في دار الخلافة انتصاراً لفرقهم في فلسطين .

ان فرقة القرائين رفضت التلموذ وتمسكت بالشرعية المكتوبة وحدها او شرعية موسى . وقد جعلها بعضهم فرقة من الصدوقيين او السامريين او رقي اصلها الى هاتين الفرقتين او الى غيرهما من الفرق اليهودية بيد انه لا علاقة تاريخية البتة بينها وبين تلك الفرق القديمة بل ولا علاقة روحية (١) .

عرف العرب فرقة القرائين باسم مبتدعها عنان فقالوا العنانية وانها منسوبة الى رجل يقال له عنان بن داود رأس الجالوت وهم مخالفون سائر اليهود في السبت والاعباد ويقتصرون على اكل الطير والظباء والسماك ويذبحون الحيوان على الفقاه الخ . (٢) وقد ذكرها المقرئ في خطظه وفرق بين العنانية والقرائين وجعلهما فرقتين مختلفتين .

واشتهر يهود العراق بعلم التنجيم والطلسمات وذهبت شهرتهم بعيداً في القرون الوسطى الى اوزية . وكان المنجمون اليهود يدخلون دار الخلافة ولما ذكره

(١) اعتماداً على Encyclopaedia Britannica مادة Qaraites

ومادة Anan وعلى Mann : The Jews in Egypt etc

Vol 4 . 59 - 61

(٢) كتاب الملل والنحل للشهرستاني المجلد الثاني ص ٥٤

ابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان . ان منجماً يهودياً زعم ان هرون الرشيد
موت في غضون تلك السنة فانعم الخليفة لهذا الامر . واما علم جعفر البرمكي بحال
الخليفة ركب اليه وكان المنجم اليهودي في يد الرشيد . فقال له جعفر انت تزعم ان
امير المؤمنين يموت الى كذا وكذا يوماً قال نعم . قال وانت كم عمرك . قال كذا
وكذا امدأ طويلاً فقال للرشيد افعله حتى تعلم انه كذب في امدك كما كذب في
امده فقتله وذهب ما كان بالرشيد من الغم وشكره على ذلك وامر بصلب اليهودي
فقال اشجع السلمي (١) في ذلك .

مل الراكب انشوفى على الجذع هل راى لراكبه نجماً بدا غير اعور
ولو كانت نجم مخبراً عن منية لاخبره عن رأسه المتحير
يعرفنا موت الامام كانه يعرفنا انباء كسرى وقيصر
أنخبر عن نفس لغبرك شؤمه ونجيمك بادي الشر يا شر مخبر
ومن غريب ماورد عن الشاعر ابي دلامة (المتوفى سنة ١٦٠ هجرية ٧٧٦ م)
ان ابنه مرض فاستدعى اليه طبيباً وشرط له جعلاً معلوماً فلما برى قال له والله
ما عندنا شي نعطيك ولكن ادع على فلان اليهودي وكان ذامال كثير بمقدار الجعل
وانا وولدي نشهد لك بذلك فمضى الطبيب الى القاضي بالكوفة . وادعى على اليهودي
فانكر هذا . وخرج الطبيب لاحضار شاهده فانشد ابو دلامة في الدهليز بحيث

(١) هو اشجع بن عمرو السلمي من قيس ولد باليمامة وتزل البصرة ثم اتصل بالبرامكة
واختص بجعفر فاوصله الى الرشيد واعجب به فأثري (راجع الاغانى) .

بسمه القاضي :

ان الناس غفلوني تغطيت عنهم وان بحثوا عني ففهم مباحث
وان بحثوا بئري نبئت بنارهم ليعلم قوم كيف تلك التبعات
ولما ادى الشهادة قبل شهادتها ولكنك اطلق اليهودي وتحمل الغرم من ماله
وذلك خوفاً من لسان ابي دلامة (١)

في سنة ٧٩٧ م اوفد شارلمان امبراطور الغرب الى هرون الرشيد خليفة المسلمين
وفداً وكان بينهم اسحق اليهودي . وهو الذي قفل راجعاً الى اوربة ووصلها بعد ثلاث
سنوات سالماً ومات رفيقاه في الطريق . فواجه الامبراطور في شهر ربيع من سنة ٨٠٢ م
في اكس لاشابل وقدم اليه هدايا نفيسة اتي بها من الخليفة . وكان بينهما فيل غريب
اضحى اعجاب ذلك العصر والنصر (٢) .

ومنذ نشوء الخلافة العباسية حتى وفاة هرون الرشيد كان يهود العراق على اسم الراحة
والهناء . ولما مات الرشيد في سنة ١٩٣ هجرية (٨٠٩ ميلادية) بويع الامين
بالخلافة بعد موت ابيه باثني عشر يوماً . وفي سنة ١٩٤ هجرية خلع الامين بيعة
اخيه المأمون ونهى عن الدماء له وامر بالدعاء لابنه موسى فوقع بسبب ذلك حروب
وفتن كثيرة بين الامين والمأمون واصحابها . وفي سنة ٢٩٧ هجرية حاصر طاهر وهرمة
وزهير بن المسيب الامين محمداً بعدد اكثر الخراب ببغداد وهدمت المنازل واحرق

(١) ابن خلكان الجلد الاول ص ٣٤٣

Hosmer : History of the Jews 135

(٢)

الدور وكثر النهب واخذت اموال التجار ودام الاضطراب الى سنة ١٩٨ هجرية ولم تنحصر تلك الخسائر ببغداد بل بلغت اذيالها الى كل اطراف العراق (١) . وقد لحق اليهود من الاذى في هذه الفتن شي كثير ونجروا الامرين (٢)

وكانت علاقة يهود مصر بابناء دينهم في العراق وثيقة العرى . يرجعون بأمورهم الدينية الى القلاويث في بابل وإلى جامعائهم . لانعرف اليوم اتساع نطاق ذلك التعلق ولكن مما لا ريب فيه ان اليهود في مصر ساعدوا بأموالهم اخوانهم العراقيين . ومعظم تلك الهدايا أتت من يهود عراقيين سكنوا مصر . وفي حوالي سنة ٧٥٠ ميلادية رأس جماعة يهود القسطنطينية رجل عراقي . وقد أثر أحد الباحثين في هذه الايام الأخيرة على رسالة من نحميا غلون بعبادينة (٩٦١-٩٦٨) بعث بها الى الجماعة في القسطنطينية (٣)

كان معظم الخلفاء العباسيين على جانب عظيم من التساهل مع هذا القوم واكثرهم تساهلاً المأمون فله رأف برعاياه واستفاد من مواهبهم العقلية وذخائرهم العلمية على اختلاف ادبياتهم وتباين مذاهبهم واطلق الالسنه والاقلام حرة تتكلم ماتشاء وتسطر ما تريد لا يتنازعها منازع ولا تسيطر عليها سلطة غشوم فضاهت حرية النشر والكلام في زمانه الحرية المستتجة اليوم بين ظهري الامم العريقة في الحضارة .

ولا اراد هذا الخليفة ان يدون العلوم ويجمعها في دولته جمع في بغداد ثلاثمائة

(١) ابن الاثير في حوادث سنوات ١٩٣-١٩٨ هجرية

(٢) S. Mendelssohn : The Jews of Asia 221

(٣) J. Mann : The Jews in Egypt etc vol I. P 15

عالم من كل فن من الفنون وعلم من العلوم من كل جنس ودين فألف منهم اكبـر ديوان للعلم وهو اشبه شيء عند اهل هذا الزمان باكاديمية العلوم ثم اذن بينهم بالخطر عليهم في اجتماعهم من مسلم وغير مسلم ان يستشعروا باي القرآن والانجيل والتوراة وامر بان لا يتعرضوا في مباحثهم الا لعس بالاديان فيفضي بهم ذلك الى التخاذل والتشاحن والتباعد والتنافر (١)

وفي عهد المأمون وقعت الفتن في الامة اليهودية وتنازع الرئاسة فرق منهم فحكم الخليفة بينهم وحل المسئلة بقرار ان كل عشرة نفر اذا اتفقوا يقومون لهم راساً عليهم فقام النصارى من جانبهم واعترضوا على هذا الأمر الذي لم يوافق مصالحة رؤسائهم (٢) لانعرف الاسباب التي اوجبت ذلك النزاع ولا الفرق التي تنازعت الرئاسة كما نوه به صاحب ذخيرة الازدهان . بل اننا نعرف ان مثل ذلك النزاع على الرئاسة وقع بين يهود العراق مراراً عديدة . وانتهج فتناً بين الجماعة . ومنه النزاع الذي قام بين الرائيين والقرائين على مامريك .

وقد اشتد الخصام بين رؤساء الجالوت والقلاويث (رؤساء المدارس) ولا سيما بعد ظهور عنان وجعلت رئاسة الجالوت انتخاباً بإشارته القلاويث . وان هذا الخصام افضى بهم الى ضعف هاتين الرئاستين . قال مندلسون في كتابه يهود آسية . في

(١) مجلة القنطط مجلد ٢٤ ص ٣٨٨ لسنة ١٩٠٠

(٢) كتاب ذخيرة الازدهان في تواريخ الشارقة والغاربة السريان مؤلفه القس

بطرس نصري مجلد ١ : ٣٣٣

تضعيف كلامه عن خلافة المنصور دام الخصام بين رؤساء الجالوت والفاوونيم
بورت ضرراً عظيماً إلى الجماعة بكل معنى الكلمة واشتد الخصام في القرن التاسع
والعاشر (١)

ذكرنا في الفصل السابق عن الاداب العبرية في بابل تنقاً من تاريخ مصنفاتهم
وكان نطاقها منحصرأ في المواضيع الدينية والمواد المتعلقة بالزواج والمعاملات في العبرية
والارمية وما جاء الفتح الاسلامي وانتشرت اللغة العربية في العراق وحدثت النهضة
العلمية والفكرية على عهد العباسيين ولا سيما في زمان الرشيد والامون انفتح مجال
واسع ليهود العراق وعالجوا مواضيع مختلفة في الرياضيات والطب والفلسفة والصرف
واللغة العربية . واقتبسوا شيئاً كبيراً من الاداب العربية . وقام بينهم مؤلفون نشروا
معاجم ومنه معجم التلموز الذي ألفه سباح بن بتلوا ، غاوون عباديته وهو اليوم مفقود
وظهر كتاب « الملاحوت الاكبر » لمؤلفه يهوذا غاوون سوراً « والمعروف انه
ليس غاوونياً » وكان قد ظهر قبله في القرن الثامن كتاب « الملاحوت الاصغر »
الفه شمعون كبيراً . وكتاب السدور لعمرام بن ششوا .

وقد اشتهر من اطباء يهود العراق في ذلك الزمان فرات بن شحنا ماخدم الحجاج
ابن يوسف الثقفي وعيسى بن موسى العباسي ولي العهد في ايام المنصور وكان يشاوره
في كل اموره وبعبجه ثقاه (١) ومن المنجمين اليهود ماشاء الله كان في زمن المنصور

(١) اخبار الحكماء لابن الففطي ١٦٩

وعاش الى ايام المأمون وكان فاضلاً اوحد زمانه وسند بن علي المنجم المأموني كان
يهودياً فاسلم في عهد المأمون وكان يعمل في جلة الراصدين . امره المأمون بان يقبس هو
وخالد بن عبد الملك المروزي قوساً من الهاجرة (١) ومن ادباء اليهود ابو عبيدة الشاعر
المتوفى سنة ٢٠٩ هجرية (٨٢٤ م) وله كتاب المثالب (٢)

واول من ضبط قواعد النحو هرون بن موسى وهو يهودي من اهل البصرة واسلم
واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه (٣)

ولقد كان مسألة التقويم خطورة عند اليهود لمعرفة اعيادهم واصوامهم : فقبلت
الجماعة في بابل التقويم الذي اقره تلماوهم في جبل الزيتون باسم رئيس جامعة فلسطين
واعضاؤها على ماجاء في رسالة لابن مثير في جدال قام بينه وبين سعديا في سنة ٩٢١ —
٩٢٢ . وقد اجاب علماء بابل على ادعاء ابن مثير بهذا الخصوص برسالة يظن الباحثون
ان كاتبها رأس الجالوت : ان لاختلاف بين الفاسطيين والبابليين في السنة الكبيرة
لان جميع اليهود قبلوا ذلك استناداً الى حساب وصلنا بالتقليد ولكن مادة النزاع
قائمة على ان شهري حشوان وكسليو هما تامان اوناقصان . وكانت بابل تعتمد في هذا
الباب سابقاً على فلسطين لانها (اي بابل) لم تكن واقفة كل الوقوف على حساب
التقويم الا ان قبل سنوات سافر بعض العلماء من هنا الى الارض المقدسة ووقفوا على

(١) مجلة المشرق سنة ١٩٠٠ ص ٦٧٧ ومجلة الضياء السنة الثانية ص ١٣٤

(٢) مجلة المقتطف المجلد ٤٤ الجزء ٢ ص ١٦٧

(٣) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ : ١١٤

مضلات التقويم . واخذ من ذلك الحين كل قطر يضع تقويمه مستقلاً عن الثاني
و زال كل اختلاف ولم يذكر اليوم المعمرون منا ان جامعة بابل يجب ان تستشير
فلسطين في وضع التقويم .

يعترضنا هنا مشكل تاريخي وهو متى زار علماء بابل فلسطين ؟ فقد ذهب بعضهم
الى ان ذلك كان في عهد الاموريين لا وضع هليل الثاني قواعد التقويم . لكنه
ثبت مؤخراً ان بابل كانت تعتمد على رئيس مدرسة فلسطين واعضاءها في سنة ٨٣٥
ميلادية على ما جاء في احدى المخطوطات وهي قطعة من رسالة كتبها رأس الجوارث
ربما كان داود بن يهوذا . ولذا فان ادعاء ابن مثير بهذا الحق بعد ٨٥٥ سنة لم يكن فارغاً
غير ان الظاهر ان يهود بابل شعروا حالاً بعد سنة ٨٣٥ بحاجة الى تعلم اصول التقويم
من فلسطين لاسباب مجهولة . فسافروا حالاً وضبطوا قواعده واستقوا بوضعه .

ومما يستحق الذكر ان اول غاروني بابلي اشتغل بمسألة التقويم كان الرابي
نحشون من مدينة سورا ٨٧٤ - ٨٨٢ ميلادية وهو ابن الرابي صادق الغاروني
سنة ٨٣٣ - ٨٣٥ (١)

وما عثم ان اشهر يهود بابل بحساباتهم واخذ عنهم ابناء قومهم في الاندلس فقد
قال عنهم ابو القاسم صاعد الاندلس ما يأتي : ولقد كان لليهود بعد اذ اضلع من فقه
ديهم وحسابات اعيادهم وسنى تاريخهم حتى ان يهود الاندلس كانوا يرجعون اليهم في
كل ذلك ويستجلبون من عندهم حساب عدة من السنين يتعرفون بمدخل تاريخهم

Mann : The Jews in Egypt and Palestine PP 51 - 54 (٢)

ومبادئ سنتهم وبقي الامر على هذا النوال حتى نبغ بينهم الطبيب حسداي بن
اسحق وكان من احبارهم الاعلام فخدم الحسك بن عبدالرحمن الناصر لدين الله ونال
عنده نهاية الحظوة وتوصل به الى استجلاب ماشاء من تآليف اليهود بالمشرق
فاستغنوا عما كانوا يتجشمون الكلفة فيه (١).

كل يعلم ان الحكومات كانت في العصر الخالية متعلقة بارادة الوازع . فان كان
ملك البلاد مفضوفاً على العدل والحق قضى رعاياه ايامهم في رخاء وسلام وساروا نحو
الرفي والنجاح وان جنح الى الظلم والجور بانت الامة في مريع وخيم ولعبت بها
ايدي سبا . اذ لم يكن للملك من ساطة قانونية مصدرها الشعب ميم من عليه وتناقشه
الحساب . وهكذا كانت سلطنة الخلفاء العباسيين ومن ملك في ايامهم من الملوك . فان
قام منهم خليفة سمح كالمأمون اصبح العراقيون على اختلاف مآلهم ونحلهم في رغد
وابتسم لهم الدهر . وان تولى الحسك رجل عشوم رزحوا تحت عبء الاكدار والمصائب .
وكان تأثير العنف على الطوائف التي هي من غير دينه اشد وانفذ .

فحالة اليهود في العراق في عهد العباسيين سارت هذا السير . وبعد ان تقلبوا في نعم
العيش في عهد المأمون تنقصت حياتهم في عهد المتوكل فانه كان شديد الوطأة على اهل
الذمة اذ امرهم سنة ٢٣٥ هجرية (٨٤٩ م) بان يلبسوا لباساً يميزهم عن المسلمين
ويركبوا سروجاً تختلف عن سروجهم وان يجعلوا على ابواب دورهم صور شياطين
من خشب مسمومة تفريقاً بين منازلهم ومنازل المسلمين ونهى ان يستعان بهم في الدواوين

(١) طبقات الأمم لأبي القاسم صاعد الاندلسي ص ١٣٤

وأعمال الساطان التي يجري أحكامهم فيها على المسلمين ونهى أن يتعلم أولادهم في كتابات المسلمين وأمر بهدم معابدهم الحديثة وبأخذ العشر من منازلهم وتسوية قبورهم مع الأرض وبغير ذلك مما يذمهم وكتب بذلك إلى العمال في البلاد (١). ولم يكن المتوكل مع أهل الذمة على هذا العنف وخدمهم بل اغلظ معاملته مع أهل البيت وحرث قبر الحسين (٢). فقد كان لهذا الأمر مؤثرات مجحفة بالنصارى واليهود على السواء. فان منصب رأس الخاقان تعطل بعد أن تولى المتوكل الخلافة وكان ذلك المنصب أفاد اليهود فائدة جليلة مدة سبعة قرون وساعد القوم على إدارة شؤونهم الداخلية إدارة تضاهي الاستقلال الذاتي (٢).

وأشهر عند يهود العراق في هذا الزمن سعديا بن يوسف من مدرسة سورا المعروف بسعديا الفيومي نسبة إلى مدينة الفيوم في مصر التي هي وطنه الأصلي. طبق صيته الخافقين وخلد ذكره على مر القرون ومختلف الأجيال. وتضاءلت أمامه شهرة أعظم طائفة من المؤلفين اليهود. ويظهر أنه لما نزل العراق كان على جانب من المعرفة والمزلة العلمية حدثت عنها الالفة. ولد سنة ٨٩٢ ميلادية وورق إلى منصب الفاوون في سورا سنة ٩٢٨ وتوفي سنة ٩٤٢. وبما تولى رئاسة مدرسة سورا دخلت المدرسة في دور جديد وازدهرت فيها العلوم أي ازدهار. وكان معظم سعيه موجهاً إلى مناقلة القرائين ومخاربتهم. وقد خلف تآليف كثيرة نشرت كلها. ورأس تركته العلمية ترجته العربية

(١) الطبري المجلد ١١ ص ٣٦-٣٨ (٢) كتاب الفخري لابن القططقي ص ٢١٥
(٢) Graetz, History of the Jews, vol 3, P. 206

للعهد القديم نقله عن العبرية.

ومن مشاهيرهم هرون الكاهن ابن يوسف من أخصابر بغداد في القرن العاشر الميلادي وكان مناظراً لسعديا الفيومي الآنف الذكر (١).

وجاء في كتاب الحكماء لابن القفطي (٢) ذكر ابن الطبري اليهودي المنجم كان حكماً طبيباً عالماً بالهندسة وأنواع الرياضة وحل كتباً حكمية من لغة إلى لغة أخرى. وكان ولده علي طبيباً مشهوراً انتقل إلى العراق وسكن سر من رأى. وورث هذا كان له تقدم في علم اليهود والربن والربين والراب انباء لمقدمي شريعة اليهود. وقد جاء في كتاب عيون الانباء (٣) عن أبي الحسن علي بن سهل بن ربن الطبري أنه اسلم علي يد المعتصم وسكن سر من رأى وأدخله المتوكل في جملة ثمانته وهو معلم الرازي صناعة الطب ومن مؤلفاته كتاب فردوس الحكمة وكتاب أرفاق الحياة وكتاب تحفة الملوك وكتاب كنائس الحضرة وكتاب منافع الاطعمة والاشربة والعقاقير وكتاب حفظ الصحة وكتاب في الحجامة وكتاب في ترتيب الاغذية (٤).

(١) مجلة الهلال لسنة ١٩١٤ (٢) ص ١٢٨

(٣) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة المجلد الاول ص ٣٠٩

(٤) جاء اسم هذا المؤلف في كتاب الفهرست طبعة فلوجل ص ٢٩٦ علي بن ذيل وأظنه غلط نسخ لأن صاحب طبقات الاطباء قال نقلاً عن الفهرست ريل. وقال عنه أنه كان في اول امره نصرانياً فاسلم وكذلك جاء في ترجمة أبي بكر محمد بن زكريا الرازي في كتاب وفيات الاعيان لابن خلكان المجلد الثاني ص ٥٠٣ من

وفي سنة ٣٢٩ هجرية (٩٤٠-٩٤١ م) نكح الكوفي هرون اليهودي جهيد
ابن شيرزاد وبقي عليه من مصادره ستون ألف دينار فاخذت داره وكانت قديماً
لإبراهيم بن أحمد الماذرائي راكبة دجلة والصرافة وفيها بستان أبي الفضل الشيرازي
ودار المرتضى وحل هذا اليهودي إلى محكم بواسطة قضاة بين يديه بالدبابيس

طبعة مطبعة الوطن إذ قال: «وكان اشتغاله بالطب على الحكيم أبي الحسن علي بن
ربن الطبري صاحب التصانيف المشهورة ومنها فردوس الحكمة وغيره وكانت
مسيحياً ثم أسلم» ورجح الدكتور الفونس منكنا هذه الرواية الأخيرة عن دين
الطبري الأول في مقدمة ترجمته الانكليزية لكتاب للطبري المذكور سماه المترجم
The Book of Religion and Empire ألا انتا ترجح يهوديته.

وإذا كان الشيء بالشيء يذكر نقول كثيراً ما يخطئ على المؤلفين أديان بعض العلماء
الأولين ومما استغربناه كل الاستغراب ما جاء في كتاب تاريخ الاسرائيليين
لشاهين بك مكاربوس المطبوع سنة ١٩٠٤ في مطبعة المقتطف بمصر ص ١٧٢ في
الفصل الذي ارصده المؤلف لأطباء اليهود عن جبرائيل بن بختيشوع أنه كان يهودياً
والحال ان أسرة بختيشوع كانت كلها نصرانية على مذهب النسطورية كما هو
مشهور معلوم «راجع كتاب الحكماء لابن الففطلي وطبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة
وتاريخ مختصر الدول لأبن العبري ومقالتنا في مجلة المشرق بعنوان «بختيشوع
الطبيب النسطوري وأسرة» (سنة ١٩٠٥ ص ١٠٩٧)

ومن ذلك ما جاء في فهرست كتاب الحكماء لابن الففطلي ص ٤ المطبوع بمطبعة

حتى مات (١)

وكما قام خليفة أو سلطان أو وزير يزعج إلى الأجداف بحقوق الأمة ويثقل كاهلها
بالمصائب كان أهل الذمة أقرب الناس إلى مظالمه وهذا التاريخ أكبر شاهد على
حقيقة هذه النظرية التي لا يتنازع فيها اثنان. ومن مؤيداتها ما أتاه الوزير أبو عبد الله
البريدي. يعلم من له أقل وقوف على تاريخ بني العباس ان خليفة المتقي لله استوزر

السعادة بمصر هكذا «ذكرنا الطيفوري اليهودي المتطبيب» واعتماداً على هذه الفقرة ذكرت
الطيفوري وذكرنا الطيفوري بين أطباء اليهود في مقالتي «يهود العراق»
المنشورة في مجلة المقتطف في شهر سبتمبر ١٩٢٠ ص ٢٢٣ وبعد التحقيق ثبت لدي
ان هذه الامرة كانت على النصرانية وذلك اعتماداً على ماورد في كتاب عيون
الانباء في طبقات الاطباء لابن أبي أصيبعة المجلد الاول ص ١٧٩ واليك العبارة بنصها
وفصلها «(قال يوسف بن ابراهيم) وكان ليوحنا بن ماسويه ابن يقال له ماسويه له
ثبت الطيفوري جد اسرائيل متطبيب الفتح بن خاقان... انتهى». واسرائيل هو ابن
ذكرنا بن اسرائيل الطيفوري المذكور كما جاء في كتاب الحكماء لابن الففطلي
ص ١٢٨. ومن الثابت المعلوم ان يوحنا بن ماسويه كان نصرانياً على النسطورية فلا
يزوج الا نصرانية فتكون امرأته نصرانية ثبت الطيفوري النصراني وعاليه لم يكن
الطيفوري يهودياً فافتضى التنبية احتراماً للحقيقة والتاريخ.

(١) عن حاشية كتاب تجارب الامم لابن مسكويه الجزء السادس ص ٨ - ٩

وهو ما جاء نقلاً عن صاحب التكملة.

مرة اولى سنة ٣٣٠ هجرية (٩٤١-٩٤٢ م) ابا عبدالله البريدي . ثم قام اليه امراء العسكرية فاضطروا الى الحرب من بغداد بعد مدة دون الشهر الا انه جمع له قوة وكر راجعاً اليها بعد ايام . ولما استولى على البلد اخذ اصحابه في النهب والسلب وكسب الثورواخرج اهلها ووزرات الخن وعظم الامر وغلت الاسعار وحبط اهل الذمة وعسف اهل العراق وظلمهم ظمماً لم يسمع مثله . (١) فقولاه حبط اهل الذمة يشمل النصاري واليهود فلمهم قاسوا ما قاسوه من هذا الطاغية مما لا يصفه قلم . ولا يبعد ذلك وقد هجاه ابو الفرج الاعقابي صاحب كتاب الاغاني بقصيدة طويلة اولها :

يا سماء اسقطي ويا ارض ميدي قد تولى الوزارة ابن البريدي

واشتهر في تاريخ مصر السياسي رجل من يهود بغداد ولد سنة ٣١٨ هجرية (٩٣٠ م) عند باب القز اسمه يعقوب بن كلس سافر به ابوه الى الشام وانفذه الى مصر سنة ٣٣١ هـ (٩٤٢-٩٤٣ م) فجعله كافور الاخشيدي على عمارة داره ثم بلغ شأواً قصياً من المجد حتى صار الحجاب والاشراف يقومون له . وتقدم كافور الى سائر الدواوين ان لا يمضي دينار ولا درهم الا بتوقيعه كان هذا كله وهو على دينه ثم اسلم سنة ٣٥٦ هجرية (٩٦٧ م) . ولما مات كافور قبض عليه وزيره ابو الفضل جعفر بن القرات . الا ان ابن كلس بذل الاموال حتى افرج عنه فتوجه الى بلاد المغرب وتعلق بخدمة المعز العبيدي . ولم يزل يترقى الى ان ولي الوزارة للمعز بن زار ابن المعز سنة ٣٦٨ (٩٧٨-٩٧٩) وكان هو اول وزير للدولة الفاطمية في الديار

(١) الكامل لابن الاثير ٨ : ١٣٤-١٣٥

المصرية . وبقي في هذا المنصب الرفيع حتى موته سنة ٣٦٩ هجرية (٩٨٠ م) وقيل انه مات على دينه وكان يظهر الاسلام . وزاد على هذه الفقرة ابن خلكان والصحيح انه اسلم وحسن اسلامه (١)

ويقال ان اول ممثل سياسي ليهود مصر امام حكومتها العربية جاء من بغداد في النصف الاخير من القرن الرابع للهجرة او القرن العاشر للميلاد . ورواية الخبر ان سلطان مصر تزوج من بنت الخليفة العباسي الطائع لامرأته الذي يبيع له سنة ٣٦٣ هـ (٩٧٣ م) ولما سارت الى مصر سنة ٣٦٦ هجرية تفقدت شؤون بلادها الجديدة واذا عرفت ان ليس لليهود ممثل سياسي كراس الجالوت في مسقط راسها طالب زوجها احد اعضاء اسرة الجالوت من بغداد وعهد اليه رئاسة اليهود في الفسطاط ولقب لقب « ناجيد » (٢)

ومما هو حري بالذكر ماورد عن سنان بن ثابت بن سنان في خلافة انقدر بالله في مفتتح القرن الرابع للهجرة انه ورد اليه توقييع من الوزير علي بن عيسى ابن الجراح يقول فيه ان ينفذ الى السواد متطبين وخزاية لادوية والاشربة يطوفون فيه ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو الى المعالجة اليه . ففعل ولما انتهت البعثة الطبية الى سورا والغالب على اهلها اليهود كتب الى الوزير يعرفه بورود كتابه من السواد يذكر فيه كثرة المرضى وان اكثر من حول شهر الملك يهود ويطلب رايه

(١) وفيات الاعيان لابن خلكان الجزء الثالث ص ٣٩١

Jacob Mann : The Jews in Egypt etc I : 251 (٢)

في معالجهم واعلمه ان رسم البهارستان ان يعالج فيه المني والذمي ويسأله ان يرسم له في ذلك ما يعمل عليه فاجابه . « ليس بدنيا خلاف في ان معالجة اهل الذمة والبهائم صواب ولكن الذي يجب تقديمه والعمل عليه معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل اهل الذمة (١)

ففي هذه الرواية التاريخية ثلاث فوائد ثمينة جداً أولاً ان العرب عرفوا المستشفيات المنتقلة في العراق منذ القرن الرابع للهجرة . ثانياً ان اغلب سكان سوريا وسمر الملك كانوا يوداً ثالثاً ان الرأي السائد في ذلك العهد المظلم ان اهل الذمة هم الحلقة الوسطى بين الناس والبهائم .

وفي سنة ٣٨٦ هجرية (٩٩٦ م) قبض ابو علي وهو الموفق الوزير على جماعة من اليهود في بغداد وعسفهم في المطالبة والمعاذبة وكان سبب ذلك ان بهاء الدولة بن عضد الدولة البوسني لما كان في واسط طلب من ابي علي الموفق ملتمسات . فقصد ابن فضلان اليهودي وطلب منه قرصاً برد عوضه فلم يسعفه . ولما صار ابو علي الموفق الى بهاء الدولة قرر معه في اخذ اليهود ومصادرتهم تقريراً معلوماً فكان ما اتفقوا عليه (٢)

وكانت حال اليهود في العراق متقلبة لا تستقر على قاعدة واحدة من السعد او الشقاء بل كانت تتغير بتغير العمال والحكام والسلاطين اذ لم يكن هناك قوانين مرعية

(١) عيون الانباء في طبقات الاطباء لابن ابي اصيبعة ١ : ٢٢١

(٢) مجارب الامم لابن مسكويه حوادث سنة ٣٨٦

يتخذونها دستوراً للادارة بل كانت ارادة عامل البلد او سلطان الاقليم العامل الوحيد في تدبير شؤون البلاد واحوال العباد . فقد بلغ احد اليهود في عهد السلاجقة منزلة لم يملها غيره من اهل الذمة عند المسلمين وهو ابن علان اليهودي ضامن البصرة . وكان نظام الملك يحبه كثيراً وكان امره قد عظم جداً الى حد ان زوجته توفيت فشي خاف جنازتها كل من في البصرة الا القاضي فاخذ السلطان منه مائة الف دينار . ثم استكثر عليه ارباب الحسد هذه النعمة وسعوا في قتله غرقاً سنة ٤٧٢ هجرية (١٠٧٩ م) فحزن عليه نظام الملك واتقطع عن الركب ثلاثة ايام واغلق باب (١) وبعد بضع سنوات تولى الخلافة المقتدي بامر الله (٢) فانماظ معاملة اهل الذمة وسار على اثر المتوكل في ذلك والزيم اليهود بلبس الغيار والعمائم الصفر واما النساء فالأزر العسلية وان تخاف المرأة منهم بن لوني خفيها فيكون الواحد اسود والاخر ابيض وان يجعلن في اعناقهن اطواقاً من حديد اذا دخلن الحمامات فمروا كل مهرب من هذا الجور واسلم بعضهم . وكان سبب ذلك ان يهودياً بغداد يقال له ابو سعد بن سمحان كان وكيل السلطان جلال الدولة ملكشاه ووكيل نظام الملك فاقبه انسان يبيع الحصر فصغمه صفقة ازالتم عمامته عن رأسه فاخذ الرجل الى الديوان وسئل عن السبب

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٤٣

(٢) هو عبد الله بن محمد بن القائم تولى الخلافة سنة ٤٦٢ هجرية ١٠٧٤ م وتوفي

سنة ٤٨٧ هجرية ١٠٩٤ م وفي زمانه استقل جميع الحكام ولم يبق له حكم الا في

بعض بلاد قليلة .

في فعله فقال هو وضعني على نفسه . فسار كوهرايين ومعه ابن سمحا اليهودي الى
العسكر يشكيان وكانا متفقين على الشكاية من الوزير ابي شجاع فلما سارا خرج
توقيع من الخليفة بالتشديد على اهل الذمة على ما سبق . ولما وصلا الى العسكر شكيا
من الوزير الى السلطان ونظام الملك واخبراهما بما يشنع عليهما فارسل الى الخليفة في
عزله فمزله وكان ذلك سنة ٤٨٤ (١) فالصرف الى داره وهو يشد :

تولاهما وليس له عدو وفارقهما وليس له صديق

ان المؤرخين العرب لم يذكروا الا النزر القليل من اخبار وطنهم اهل الذمة ولم
يتموا الا بتدوين انباء الخلفاء والفتوحات وسير علمائهم وما جاء في كتبهم من تاريخ
النصارى واليهود من النصف القليلة اوردوها على سبيل العرض ليس الا . او انهم
ذكروها لملاقمتها بتاريخ البلاد واشترك المسلمين بها . فهم من هذا الباب ليسوا نظير
الاوربيين الذين خاضوا كل المواضع من شرقية وغربية وتعمقوا في درسها حبا
بالاطلاع وترويحاً للعلوم .

ومن تلك النصف ما جاء في حوادث سنة ٥٠١ هجرية (١١٠٧ م) عن حريق
خرابة ابن جردة في بغداد وكان من تلك الحلة جماعة من اليهود تركوا اشيائهم طعمة
لنار تمسكهم بسببهم وكان منهم فريق قد عبروا الى الجانب الغربي للفرجة على عادتهم
في السبت الذي يلي العيد فلما عادوا وجدوا بيوتهم قد خربت واهلها قد احترقوا
واموالهم قد تافت (٢)

(١) الكامل لابن الاثير ١٠ : ٦٨ (٢) الكامل لابن الاثير ١٠ : ١٧١

وفي سنة ٥١٣ هجرية (١١٧٢-١١٧٨ م) كانت فتنة بغدادوس بها انه حضر
قوم من مسلمي المدائن الى بغداد فشكوا من يهودها وقالوا : لنا مسجد يؤذن فيه
ونصلي وهو مجاور الكنيس (التوراة) فقال لنا اليهود قد آذيتمونا بكثرة الاذان
فقال المؤذن ما نبالي بذلك فاختصموا وكانت فتنة استظهر فيها اليهود تحياء المسلمين
يشكون منهم فامر ابن العطار وهو صاحب الحزن بحبسهم ثم اخرجوا فقصدوا جامع
القصر واستغاثوا قبل صلاة الجمعة فحقت الخطيب الخطبة والصلاة فعادوا يستغيثون
فانهم جماعة من الجند ومنعوهم فلما رأى العامة ما فعل بهم غضبوا وقصدوا دكاكين
المخاطلين لان اكثرهم يهود فهدموا واراد حاجب الباب منعهم فرجوه فهرب منهم
وانقلب البلد وخربوا الكنيس الذي عند دار البساسيري واحرقوا التوراة وامر
الخليفة ان ينقض الكنيس الذي بالمدائن ويحمله مسجداً (١)

وكان حال اليهود في العراق في القرن الثاني عشر للميلاد والقرن السادس للهجرة
على جانب عظيم من الحرية وورع النيس فان السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه
كان قد قبض على ازمة الاحكام في بغداد بعد ان استظهر في معركة على الخليفة العباسي
المسترشد بالله واسره ثم قتل الباطنية الخليفة وذلك سنة ٥٢٧ هجرية (١١٣٢ م) وبقى
تقوذا السلطان مسعود في عهد الخليفين الراشد بن المسترشد والمقتدي بن المستظهر .
وقد كان في هذا العهد سلطان الموصل انا بك عماد الدين الزنكي واحسن كل من السلاطين
الى اليهود .

(١) الكامل لابن الاثير ١١ : ١٨٣

في نحو منتصف القرن الثاني عشر ظهر رجل وادعى أنه المسيح وكان اسمه داود الرائي . ولد في ضواحي العمادية في مكان يدعى شفتون كان أهلاً يومئذ باليهود ولا يعلم اليوم موقعه . فأرسل إلى بغداد ليتفقه بالعلوم الدينية ويدرس الناموس على رئيس الحالوت « جسدي » فنبغ في العلوم الكتابية والشعرية والدروس الدينية والمغة العربية وتصلح من سرار السحرة والمشعوذين .

وكان في ذلك العهد قد تولى الخلافة المقتفي بالله (١) فعصاه داود الرائي ووعد اليهود الثأرين أن يقودهم إلى اورشليم . وكان في الحيل مسقط رأسه عدد من اليهود ورجال الحرب وما فتئ أن انصوى اليه اتباع كثيرون وكانوا يعللون النفس بتحقيق أمانهم التي كانوا يصبون إليها وهي نخابهم من ربة الظلم . ولا يعلم ما فازوا به من النجاح وما كان من أمرهم لأن المصادر التي تروي أخبار ذلك الدجال متضاربة الروايات وقد تنازعها الاقاصيص العربية والشعوذات ولكن الظاهر أن الرجل فشل في مسعاه وخفق أتباعه وتشتتوا وكان نصيب زعيمهم الموت واسكن أي ميتة مات .

وقد زعم بنيامين التطيلي أن الرائي شق عصا الطاعة على ملك فارس فاستدعاه هذا الملك إلى قصره فجاء إليه بكل جسارته فزجه بالسجن وبعد ثلاثة أيام فر من السجن بمعجزة

(١) هو محمد بن المستظهر الذي بويع له بالخلافة في ١٢ ذي الحجة سنة ٥٣٠ هـ (١١٣٦ م) ولقب المقتفي لأمر الله . وتوفي سنة ٥٥٥ هـ (١١٦١ م) وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن سلطان وحكم على عسكره وأصحابه من حين حكم الماليك على الخلفاء

وبعد أن زار بالأط ملك فارس رجع إلى مسقط رأسه العمادية حيث قص وقائمه على اليهود المعجبين . وبعد ذلك طلب ملك فارس إلى الخليفة في بغداد أن يأمر رئيس الحالوت ورؤساء المدارس أن يسخروا نفوذهم لقمع مساعي داود الرائي ويتمددوا بالقتل جميع اليهود الذين يسكنون في مملكته .

وكتب يهود بلاد فارس إلى رئيس الحالوت وعرضوا عليه الخطر المحدق بهم المؤدي إلى اضمحلالهم . ثم كتب رسالة رئيس الحالوت ورؤساء المدارس بالاتفاق وأرسلوا بها إلى داود الرائي وأرشدوه أن يرعوي ويكف عن حربه ولا رشقه بهم الحرم والعنوة .

ولم يبال الدجال بكل ذلك ولم يلتفت إلى نصائح المناجين بل ج في غوايته وتنادى في ضلاله . فاضطر عامل العمادية (سن الدين والأصح سيف الدين) أن يرشوا داود ليقتله فكان الأمر كذلك فشرب الدجال كأس الردى من يد حبه في بيته وعلى فراش راحته وانتهت تلك الفتنة بموت مثيردا .

فقام أنصار مذهبه بعده وأسسوا شيعة المناجين واشتقوا هذه التسمية من اسم زعيمهم داود الرائي وكان يعرف بـ « مناجم بن سليمان بن آبروهي » . واختلط بسيرة كثير من الاقاصيص وأحاديث الخيال وألف المؤلفون شيئاً غير زور في هذا الباب مما يلد مطالعته وليس من موضوعنا الخوض فيه .

وجاء في رواية أنه لما وقف ملك فارس على هذه الأحداث أرسل واستدعى داود بالحضور فذهب داود غير حياض ولا وجل ولما التقيا سأله الملك : أنت ملك اليهود؟ فاجاب : أنا

هو . وعليه امر الملك في الحال ان يعقل ويأتي في المطبق (وهو السجن المد
للذين يسجون طول حياتهم) وكانت في مدينة دبستان على عبوة « قزل
اوزون » .

وبعد مرور ثلاثة ايام بينما كان الملك في مجلسه يستشير اشرافه وقواده في امر اليهود
الذين شقوا عليه عصا الطاعة ظهر داود بنته بينهم وكان قد تخلص من السجن بدون
موازرة احد ما ولما رآه الملك سأل من ذا الذي أتى به الى هناك او من اطلق سراحه .
فاجاب داود : حكمتي ودهاتي وحدهما ، وبالحقيقة اني لا اخاف منك ولا من جميع
خدامك . فامر الملك ان يقبض عليه في الحال ويؤسر الا ان الخدم اجابوا قائلين انهم
لم يروه ولم يشعروا بحضوره الا بسماع صوته فتعجب الملك كل العجب من حكمة داود
الباقية الذي خاطبه هكذا : انا الان ذاهب في طريقي فذهب ومعه الملك واشراف
ملكته وبطالته وأتى خفة النهر . فاحذ داود رداءه والقاء في الماء وعبر عليه . فراه
آتد جميع حاشية الملك يعبر النهر على رداءه فتبعوه بالقوارب ففشلوا ولم يبلغوا اليه
واعترفوا بأنه لا بضاهية ساحر في العالم بمثل هذا . وفي ذلك التي عصا رحاله في عمارة
« Amaria » التي كانت تبعد عن الموضع عشرة ايام وذلك بموازرة سام هامفوراش
وقبض على اليهود المتعجبين منه كل ما حدث له .

فكسبت جماعة اليهود الذين في بلاد فارس الخد رئيس الخالوت ورؤساء الجامع : كيف نجبرون
ان نموت ونموت جماعة هذه البلاد . اقموا اعمال هذا الرجل واحققوا دماء الابرياء . (١)

صورة مكتوب رئيس الخالوت ورؤساء الجامع الى داود :
ليكن معلوماً لديك ان زمن خلاصنا لم يدر بعد ولم تشاهد الامارات المعلقة
ذلك ولا يتسنى للالسان ان يضطر الى الافتناع . ولهذا تأمرك بان تترك الطريق الذي
سلكته فيه والا حرمناك من كل اسرائيل . وارسل بصور هذه الرسالة الى
تسكحة رئيس الخالوت في الموصل والى ربان يوسف « الفلكي » المسمى « بردان
الفلك » وكان هذا في الموصل ايضاً ورغبوا اليها في ان يبلغوا بها الى داود الرائي .
فكتب كل من رئيس الخالوت في الموصل والفلكي رسالة باسمه واصحابه وارشداه
الى الحق . ولكنه داوم على مسلكه الاثم .

فلترجم من قديلا الى الحركة العلمية اليهودية في العراق حوالي سنة ٩٧٠ م .
سافر اربعة وفود من العراق يمثلون جامعة ببادية وجههم شمالي افرقية واورية وهم
شمريان الحنان (وكان من ثلاثة شريرا ورأس حلقة سكان نهر دعة في المدرسة)
وهوشيل ابوخناثيل وموسى وابنه خنوك فقبط عليهم وفي الاسكندرية واقتدام
قومهم ويظن ان شمري لم يرجع الى بباديته بل بقي في القسطنطينية فكتب اليه كل من
شريرا وحشي سنة ٩٩١ (١)

ويقال ان بواسطة العلماء الذين ترجعوا من العراق الى الغرب انتقلت العلوم الى
اورية ونشأت الحركة العلمية في تلك الاحقاع . وبين مشاهير اليهود الذين تبعوا في القرن

المصادر الميلاذ بعد شريرا الفاووني في ببادية الذي الف كتاباً نفيساً على طريقة السوال والجواب واتخذ موضوعه سؤالا وجهه اليه سكان مدينة القيروان ويعتبر هذا التأليف ثميناً جداً لما حواه من المعلومات التاريخية عن منشأ التقليد بين اليهود وكانت وفاته سنة ٩٩٨ ميلادية .

واشتهر بعده ابنه حي ولد سنة ٩٣٩ ومات سنة ١٠٣٨ ميلادية درس على والده ولما ترعرع اعان والده في عمله . وقد سجنه الخليفة القادر بالله واباه شريرا زمناً قصيراً . ولما توفي ابوه عين حيا غاووناً على ببادية سنة ٩٩٨ ميلادية وبقي في منصبه هذا الى يوم موته في ٢٨ آذار سنة ١٠٣٨ م وقد خلف كتاباً مهمة عن شريعة التلموذ وعن المشنا وقد نسبت اليه عدة قصائد ولكن يشك العلماء في مؤلفها . وكان في مؤلفاته الدينية يستند الى العادات والتقاليد التي لا تحس الشريعة . وهو من المحافظين على القديم وكان متضلماً من الفقه الاسلامي والطريقة الجدلانية وكثيراً ما كان يسترشد بالفقه وعلم الكلام .

ووقف على العربية واسرارها والف فيها وله مرجع سماه الحاوي . وكان حي آخر غاوون قام بمدرسة ببادية .

من الفاوونيم في مدرسة سورا تذكر سمونيل بن حفي الذي توفي سنة ١٠٣٤ م وهو آخر غاوون قام بمدرسة سورا . الف كتاباً ضخمة في الشريعة وعرب اسفار موسى الخمية وله تفاسير على معظم كتب العهد القديم ومقدمة عربية على التلموذ (١)

ومن معاصري حي المذكور رئيس الجالوت حزقيا وهو الذي ترأس مدرسة بغداد بعد وفاة حي سنة ١٠٣٨ ميلادية . وبعد حزقيا تبوأ رئاسة الجالوت داود ابنه وجاء بعده حفيده حزقيا الثاني على الراجح .

ومن مشاهير اطباء اليهود في العراق هبة الله بن مالك ابى البركات اليهودي في اكثر عمره المسلم في آخر امره . كان طبيباً فاضلاً عالماً بعلوم الاوائل وكان حسن العبارة لطيف الاشارة صنف كتاباً سماه المعبر وكان في وسط المائة السادسة هجرية في عهد السلاجقة وقد طبب سنة ٥٤٤ هجرية (١١٤٩ م) سيف الدين غازي بن انا بك زنكي صاحب الموصل .

زار هذه الديار الراي بن يامين بن يونا التطيلي اليهودي حوالي سنة ١١٦٠ ميلادية وروى شيئاً كثيراً عن يهود العراق وبما قاله :

كان في الموصل ٢٠٠٠ يهودي ومن مشاهيرهم في عهده الربان زكاي من سلالة داود الملك والربان يوسف الفلكي الشهير الملقب ببرهان الفلك وكان لهم فيها كنائس . وفي الرحبة ٢٠٠٠ يهودي وفي الحبة على الفرات ٢٠٠٠ يهودي وفيها مدفنت راس الجالوت البستاني الذي كان معاصراً للإمام عمر بن الخطاب على ما مر بك صفحة ١٠٢ من كتابنا هذا وكان عدد اليهود في بغداد ١٠٠٠ نسمة ولهم عشر جمعيات او عشرة مجالس ولكل منها رئيس ولم يكن لاجتماعها عمل غير النظر في مصالح الشعب الاسرائيلي في كل ايام الاسبوع ما خلا يوم الاثنين اذ كانوا يجتمعون اجتماعاً عاماً لينظروا في مصالح الناس من اي دين كانوا والى اي مذهب انسبوا .

وكان للطائفة مستشفيات و٢٨ كنيسة في جانب الرصافة والسكرخ وكان عددهم في الحلة ١٠٠٠٠ نسمة .

وقد افادنا هذا السامع افادات نفيسة عن راس الجالوت ومنزلته وكان في ايامه الريان دانيال . وكانت سلطته على يهود ارض شنعار وبلاد الكلدان وبلاد فارس وخراسان وسبا واليمن وديار بكر وبين النهرين وارمينية وبلاد الهند وجيجون (Oxus) والتبت .

وله وحده ان يقيم الريانين والشامسة على جماعات هذه الافطار بوضع يده عليهم . واما كان ينصب الخليفة راس الجالوت كان يهدي الهدايا النفيسة الى الخليفة والى الامراء والقواد ورجال الحكومة . وكانوا يركبونه على مركبة الوزير ويذهبون به الى دار الخلافة وتقرع امامه الطبول والزمارات . واما يذهب الى داره يأتي رؤساء المدارس (الفاوونيم) ويقدمون اليه فرائض الاحترام . ثم يذهب الى الكنيس بأبهة فائقة فيجلس على عرش فخيم يقام له ويلقي خطاباً تعقبه تسبيحة شكر (قديش) يذكر اسمه فيها . ثم يسير الى مقر منصبه .

واذا خرج راس الجالوت لزيارة الخليفة تقدمه موكب من الفرسان المسلمين واليهود وهم ينادون امامه : وسعوا الطريق لسيدنا ابن داود . فكان الناس يقومون اجلالاً له ومن لا يودي هذا الاحترام تأمر الحكومة بجلده مئة جلدة وكان يسير في طرق مدينة السلام فارساً متردياً البسة خربز مقصبة وعلى رأسه تاج عظيم تغطيه قطعة

بيضاء وعامها عصاية او سلسلة (١)

وكان من حقوقه ان يغرم بالمال اهل عقيدته ويحرم الكلام مع المذنب ولكن لا يمكنه في دار السلام حبس ولا ضرب (٢) .

ذكر الفلقشندي في كتابه صبيح الاعشى ما كان يكتب الخلفاء الى رؤساء اليهود عند تنصيبهم قال : وطريقهم ان يفتح بلفظ « هذا كتاب امر يكتبه فلان ابو فلان الامام الفلاني امير المؤمنين الفلاني لفلان . . . ثم يقال اما بعد فالحمد لله وبوثني فيه بتحمدة او ثلاث تحمدات ان قصد المبالغة في قهر اهل الذمة بدخولهم تحت ذمة الاسلام وانقيادهم اليه ثم يذكر نظر الخليفة في مصالح الرعية حتى اهل الذمة وانه انهي اليه حال فلان وسئل في توليته على طائفته فولاد عليهم الميزة على غيره من ابناء طائفته ونحو ذلك ثم يوصيه بما يناسبه من الوصاية .

فيظهر مما تقدم ان رؤساء الجالوت وربانهم كانوا يتولون شؤون قومهم الدينية والمذهبية وفيها شيء من السلطة الدنيوية وكان يعينهم الخليفة وزودهم بمسوم بضاهي الفرمان الذي كان يعطيه اياهم سلاطين « آل عثمان » .

وربما كان الخليفة يعينهم باجل الالقاب ولم يقع بيدنا من عهد العباسيين نص صريح يؤكد ذلك الا انه في سنة ٦٢٦ هجرية كتب القاضي محيي الدين بن الزكي الى رئيس

(١) M. Edward Charlon. Voyageurs Anciens et Modernes
Benjamin de Tudèle Vol. 2. 187

(٢) حياة الحيوان للجاحظ مجلد ٤ ص ٩

اليهود بالنسبة قال فيه : الرئيس الاوحد الاعز الاخضر الكبير شرف الطائفة الاسرائيلية فلان .

وكان الكتاب والسياسة من ادل الامة يتلقون بالقاب غالبها مصدرة بالشيخ او مضافة الى الدولة . مثال ذلك ولي الدولة او غيره ومنهم من يحدف المضاف اليه في الجملة ويحافظ على القاب بالالف واللام فيقولون الشيخ الشامي والشيخ الصفي . وقد عرف العرب شيئاً من رتب القوم الدينية فاوردوها في كتبهم فقالوا :

الرئيس : وهو القائم فيهم مقام البطرك في النصارى (١) وجاء راس الجالوت رئيس اليهود كما ان الاسقف رئيس النصارى (٢) وعندي ان المقابلة الاولى اصح . الحزان : وهو فيهم بمثابة الخطيب يصعد المنبر وبعضهم .

الشيخ حصور : وهو الامام الذي يصلي فيهم .

وقد عرف كتبة العرب اعياد اليهود وضياعهم وشعارهم وذكرها في مؤلفاتهم ولا يتسنى لنا نقلها هنا فلنراجع في مظانها .

وكان اليهود مبشورين في العراق حتى اطلق اسمهم على امكنة عديدة منها : قنطرة اليهود الوارد ذكرها في مادة كرخايا من معجم البلدان . ومنها اليهودية ودرج اليهود وقد نسب الى هذين الموضعين رجال من اهل العلم والفضل منهم ابو محمد عبد الله بن عبيد الله بن يحيى المودب البيهقي اليهودي (٣)

وقد جاء ذكرهم في معجم البلدان في مادة هاطري قال ياقوت : قرية بينهما وبين

(١) صبح الاعشى للقلقشندي ٥ : ٤٧٤ (٢) ثمار القلوب لاشعالي (٣) معجم البلدان

الجفري الذي عند سامرا ثلاثة فراسخ وهي دون تكريت واسفل منها الدور الاعلى المعروف بالخرية وكان اكثر اهلها اليهود والآن في بغداد (اي في عهد ياقوت) يقولون كانتك من يهود هاطري .

وتعاطى يهود العراق التجارة واشتغلوا بأنواع التجارات المعروفة في ذلك الحين وورد عنهم افادة تاريخية جلية في كتاب المسالك والممالك لابن خردادبة (١) نقلها بحرفها الواحد لفائدتها . قال مسالك التجار اليهود الراذانية (٢) الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والافرنجية والاندلسية والصقلية وانهم يسافرون من المشرق الى المغرب ومن المغرب الى المشرق برأ وبحراً يجلبون من المغرب الخدم والجواري والغلمان والديماج وجلود الخنز والفراء والسمور والسيوف ويركبون من فرنجية في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر الى القلزم وينتهي خمسة وعشرون فرسخاً ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم الى الحار وجدة ثم يمشون الى السند والهند والصين فيحملون من الصين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك مما يعمل من تلك النواحي حتى يرجعوا الى القلزم ثم يحملونها الى الفرما ثم يركبون في البحر الغربي فرماً عدلوا بتجاراتهم الى القسطنطينية فباعوها

(١) ص ١٥٣ - ١٥٤ (٢) هكذا جاء ضبط اسمهم وربما كان نسبة الى راذان كورة بسواد العراق الا ان كلبيان هوار في كتابه القرلسي تاريخ العرب قال بضبط اسمهم « راه دانية » من لفظتين فارسيتين « راه » ومعناها طريق و« دان » عارف .

من الروم ورجل صاروا بها الى ملك فرنجية فيبيعونها هناك وان شاقوا حملوا تجارتهم من
فرنجية في البحر الغربي فيخرجون بانطاكية ويسرون على الارض ثلث مراحل الى
الجاية ثم يركبون في الفرات الى بغداد ثم يركبون في دجلة الى الابلية ومن الابلية الى
عمان والسند والهند والصين .

وكان اليهود يتجشمون اخطار السفر في سبيل التجارة في عهد العباسيين ويركبون
احواله غير خيالي الموت في سبيل الكسب والربح . وكثيراً ما كانوا مجمعون
اموالاً طائلة تثير عاهم حرد الخاسدين وقد وقفت على حكاية في هذا الباب لا بأس
من ايراد خلاصتها هنا وهي ما حدث عن اسحق ابن اليهودي وكان رجلاً يتصرف
مع الدالين في عمان فوقع بينه وبين رجل من اليهود خصومة فهرب من عمان الى
بلاد الهند ومعه نحو مائتي دينار ولم يملك سواها وغاب عن البلد نحو ثلاثين سنة
لا يعرف له خبر فلما كان في سنة ثمانمائة للهجرة ورد عمان من الصين في مركب لنفسه
وجميع ما فيه له . واتفق مع احمد بن هلال صاحب عمان على ان لا يحصي ما فيه
ويعشر منه على الف الف درهم ونيفاً . فحسده الخلق وطلب منه بعض اهل الشر
شيئاً فلم يعطه فخرج قاصداً بغداد وكان ابو الحسن علي بن محمد بن الفرات وزيراً
فسمى باليهودي فلم يلتفت اليه فتسبب الى بعض الاشرار من خواص المقتدر بالله
وتنصح في اليهودي . فاستعظم المقتدر امر اليهودي وانفذ في الوقت خادماً يقال له
الفاقل اسود مع ٣٠ غلاماً الى عمان وكتب الى احمد بن هلال يأمره بحمل هذا اليهودي
مع الخادم ورسول من جهته . فلما وقف احمد بن هلال على كتاب الخليفة اتفق مع

اليهودي على ان يدافع عنه على مال جليل ثم دس الى التجار من عرفهم ما في حمل
اليهودي عاهم وعلى سائر الغرباء والقاطنين ممن يتجر من سوء العاقبة والجرأة عليهم
فناقت الاسواق وكتبت المحاضر الى الخليفة بأنه متى حمل هذا اليهودي انقطعت
المراكب عن عمان وهرب التجار وانذر الناس بعضهم بعضاً ان لا يطرق احد ساحلاً
من سواحل العراق . فرجع الخادم الفقل الى الخليفة ونجا التاجر اليهودي (١)

وقد نال شهرة بعيدة في القرن الحادي عشر للميلاد التاجر ان الاخوان اليهوديان
ابوسعد ابراهيم وابو نصر هرون . فان اصلهما من مدينة آستر (وهي مشتر
الحالية) سافرا الى القاهرة وبقياً فيها . وكان ابوسعد يتاجر بالتحف والعاديات
وكان ابونصر صيرفياً ودلالاً للبضائع التي ترد من العراق .

وكان الصيارفة اليهود في العراق على شيء من الوجاهة وكان رجال الدولة العباسية
يودعونهم دراهمهم . وقد قال ابن الفرات وزير الدولة العباسية في احدي تكتابه ان له
عذر يوسف بن فنجاس او بنحاس وهرون ابن عمران الجبيلين اليهوديين مبلغاً
عظيماً من المال (٢) .

اشتغل يهود العراق ببيع الخمر كما تشهد بذلك الادلة التاريخية فقد جاء في شعر
لابي دلالة قاله في الخليفة المنصور لما اخذ الناس بلبس القلائص الطوال المفرطة

(١) كتاب عجائب الهند تأليف برك بن شهر يار الناخذاه الرام هر مزي
(٢) مجلة المقتبس العدد السابع المجلد الثالث ص ٤٢٥ الصادر في شهر آب

سنة ١٥٣ هجرية (٧٧٠ م) وكانوا فيها ذكر محتالون لها بالقصب :

وكنا نرجي من امام زيادة فزاد الامام المصطفى في القلانس

تراها على هام الرجال كلها دنات يهود جللت بالبرانس (١)

وجاء في معجم البلدان في مادة سورا ابيات لابي جفنة القرشي يقول فيها :

وفتي يدبر علي من طرف له خجراً تولد في العظام فتورا

مازلت اشربها واسقي صاحبي حتى رأيت لسانه مكسورا

مما تخيرت التجار ببابل او ما تعتقه اليهود بسورا

وذكر مهيار الديلمي في ديوانه يهود غمي وكانت قرية من قرى بغداد قرب

البردان وعكبرا في البيت الآتي :

حبت فاقرا شرابها المسلمين واغنت بغمي اليهود التجارا

وورد في معجم البلدان في مادة قاطول شي* عن بائمي الخمر من اليهود :

الا هل الى القدران والشمس طالقة سبيل ونور الخير مجتمع الشمل

ومنها :

فحانة من عيد اليهودي انها مشهورة بالراح معشوقة الاهل

وزار العراق حوالي سنة ١١٨٠ ميلادية السائح اليهودي الربان بتاخيا من مدينة

راتسيون وقال ان في بغداد ١٠٠٠ يهودي يخرجون مقنعين دائماً (٢) . وقال بعد

(١) الفهري في حوادث سنة ١٥٣ هجرية

Tour du Monde dans le Journal Asiatique 1831 Page 280 (٢)

وفاة رئيس الجالوت دانيال بن حساي الذي ذكره بنيامين التطيلي كما مر بك تولى

هذا المنصب ابن اخيه يسائده ربان سموئيل بن علي وكان للربان سموئيل ابنة فقيهة

تدرس طلاب العلم وكانت تلقي الدروس عليهم من شباك عال وهم جلوس بحيث

تراهم ولا يرونها (١) وقد شاهد هذا السائح مدة اقامته في بغداد وفود بلاد الارمن

وكوه قاف على رئيس الجالوت سموئيل بن علي يطلبون منه معلمين يعلمون بني قومهم

اصول الدين ويهذبون جماعتهم الموجودة في تلك الاقطار .

وساح في هذه الاقطار سنة ١٢١٧ يهوذا الحريزي جاءها من اسبانية والى في

اللغة العبرية مقامات ادبية على طراز مقامات الحريزي العربية ووصف بها رحلته

يتكلم فيها عن نفسه في الشخص الغائب ويمسك بذكر عنه انه نظم قصيدة الى الاله

السرمدى بثلاث لغات فالقسم الاول من البيت في اللغة العبرية والثاني في اللغة العربية

والثالث في اللغة الكلدانية .

ونبع في القرن الثالث عشر ابن عزرا في الجزيرة والربان اسحق بن اسرائيل

في بابل الا ان قصائده كانت ركيكة من سفساف الشعر . والربان اسحق الخوني وبعد

هذا من منشطى العلوم اكثر مما يعد بين المؤلفين وقد نزل بغداد قادماً اليها من البرتغال

الربان موسى بن ششت الشاعر الذي نقل جيد الشعر العبري الى بغداد .

وجاء في المعامة اليهودية عن اخريات ايام الدولة العيسانية « ان حال اليهود في هذا

الزمان كانت في البلاد التي يتكلم اهلها العربية والفارسية متسكمة في الظلمات والاستبداد

Exilarch : مادة Encyclopaedia Britannica

(١) راجع

والخنوع ، ولا عجب في الامر فقد كانت اسباب الفقهري والاحلال قد نفشت في الدولة العباسية وذلك قاعدة عامة ان الدول التي تقارب شمس وجودها الغروب تكثر فيها دواعي الجور والاعتساف .

ومما جاء في التاريخ ان ابا عبدالله بن فضالان جلس سنة ٦٢٧ هجرية (١٢٢٩م) في ديوان الموالي واستوفى الجزية من اهل الذمة وكان يطيل وقوفهم بين يديه حتى يسومهم خسفاً . ونحكي ان ابن الشريح راس مشيئة اليهود مضى الى داره ليلاً وسأله ان يأخذ الجزية منه فلم يلتفت اليه وقال له لا بد ان نحضر نهراً الى الديوان وتؤديها وفي سنة ٦٣٩ هجرية (١٢٤١م) ظهر ابو الطليق معتوق الغر وف بابن شقير المنكر وهو شيخ من اهل قراح ظفر وكان يقالاً (وفي رواية كان نقالاً) فكان اذا صادف احد اعيان النصارى واليهود راكباً خربه وارزله عن دابته . وهكذا عمل مع ابن كرم اليهودي .

وفي سنة ٦٤٥ هـ (١٢٤٧م) رتب دانيال بن شموئيل بن ابي الربيع راس مشيئة اليهود وانفذ الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي الى قاضي القضاة عبدالرحمن بن المغاني فاجلسه بين يديه وقال له : رتبك زعماً على اهل ملتك لتأخذهم بمحدود دينهم وتأمروهم بما امروا به في شريعتهم ونهاهم عما نهوا عنه في شريعتهم وتفصل بينهم وقائعهم وخصوماتهم بموجب شريعتهم والحمد لله على الاسلام .

ثم نهض وليس طارحته في دهليز القاضي وتوجه الى بيته راجلاً في جمع من اليهود وجماعة من اتباع الديوان فتمرض جماعة من العامة لرجه فانكرت الحال عليهم

ومنعوا واخذت منهم جماعة فحبسوا وعوقبوا (١) .

ويظهر ان دانيال بن شموئيل تولى منصب رئاسة مشيئة اليهود على اثر وفاة ابي الفتح اسحق بن الشوح وفي رواية ابن الشريح وكان هذا ذا فضل وادب يكتب خطأ حسناً وينظم شعراً عربياً جيداً ويعرف علم النجوم معرفة جيدة (٢)

وفي سنة ٦٤٨ هجرية سأل غالي بن زكريا الارمني ان يرتب راس اليهود فاجيب

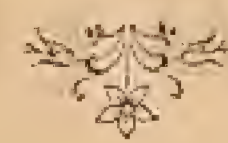
(١) اعتمدنا في هذه المأخذ الثلاثة على كتاب تاريخي مخطوط نقل يبحث مؤلفه فيه عن اخريات أيام العباسيين وایام الممول والنسخة الاصلية موجودة عند العلامة سعادة احمد تيمور باشا في مصر وبعث بنسخة منه الى حضرة الاب انستاس الكرملي وعن هذه النسخة نقل نسخته صديقنا الفاضل ي . ع . س وقد سمح لنا ان ننقل عنها هذه الاخبار فوجب علينا شكره كما لشكره لتفصاه علينا بعدد من الرحلات في اللغات الاوربية افادتنا في بحثنا عن يهود العراق في عهد الأتراك .

قد نشر حضرة الاب لويس شيخو في مجلة المشرق في عددها الصادر في شهر آب سنة ١٩٢٠ تنقلاً تقديساً من الكتاب المخطوط المذكور . ونحن اضطلع من الان وصاعداً في الامناع الى هذا التأليف على العبارة الآتية : تاريخ العراق في عهد الممول : مؤلف مجهول .

(٢) اعتمدنا على الكتاب المخطوط الذي عنوانه : تاريخ العراق في عهد الممول : مؤلف مجهول .

الى ذلك وشافه الوزير بذلك وانفذ في بغداد الى قاضي القضاة فقلد فخرج ومعه
 جماعة من اليهود واتباع من باب النوبي ومعه تقليده الذي كتب له من الديوان (١)
 بروى ان في سنة ٦٤٩ هجرية شاعر علي ابن ابي الفتح ابي الفرج الوزير ابن رئيس
 الرؤساء صيرفياً يهودياً حاملاً دراهم فتبعه الى بيته وقتله وسلبه ماله فاستنجدت امرأته
 بالناس فقتلها وقتل نقرأ من الناس الذين تبعوه . (٢)

فجعل مسك الختام لهذا الفصل حادثة وقعت سنة ٦٤٥ هجرية وهي انه قاض
 دجلة فخاف الناس من الفرق واقام اليهود مسكراً في محلاتهم وعاونهم المسلمون في عملهم
 الا انه جرت على اثر ذلك فتنة بين الطرفين لمازعة بينهم فقبضت الشحنة على
 اليهود . (٣)



(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد
 المغول مؤلف مجهول »

يهود العراق

في

عهد المغول والتتار

في منتصف شهر الحرم من سنة ست وخمسين وسبعمائة للهجرة (٢٣ كانون الثاني
 ١٢٥٨) نزل على باب بغداد هولاء كوال المغولي اخو مانغو الخان الاكبر ابلاد التتار
 وكلاهما حفيد جنكيز خان . وفي قيادته عسكر جرار . وفي اليوم السادس والعشرين
 من محرم سنة ٦٥٦ (٥ شباط ١٢٥٨) شددوا الحصار على بغداد من جميع
 الجوانب وفي اليوم الرابع من صفر اضطر الخليفة العباسي المستعصم بالله الى الخروج
 بين يدي الطاغية المغولي ومعه اولاده واهله . فدخل عساكر هولاء كوال المدينة واعملوا
 فيها السيف والنار وارتكبوا المؤبقات وسبوا الذراري ونهبوا وسلبوا وبقي الذهب
 يعمل الى سبعة ايام . فهلك سكان مدينة السلام على اختلاف طبقاتهم وتباين مذاحمهم
 ما خلا نفر قليل من النصاري وفي رابع عشر صفر رحل هولاء كوال من بغداد وفي
 اول مرحلة قتل المستعصم وابنه الاوسط مع ستة نفر من الخشيان بالليل وقتل ابنة
 الكبير ومعه جماعة من الخواص .

دالت دولة العباسيين من العراق وانطوى بساط ملكهم من بغداد بعد ان حكموا
 خمسة قرون او ٥٢٤ سنة هجرية وقام منهم سبعة والاثون خليفة . ومريت ايام عز
 وعظمة على العراق والعرب في حكمهم .

لم يأت المغول والتار الى العراق بالنور والحد والمظمة والعلوم بل جاؤوا بالظلام والذل والخطة والجهل . وحتم على أبناء الرافدين منذ ذلك العصر الشؤوم ان يقطعوا مراحل حياتهم في البؤس والشقاء . وطحنهم الايام طحن الدقيق وخيم الجهل على ربوعهم فحكمتهم الاجناب وتوفي امرهم كل غريب عن البلاد .

ولم يسلم اليهود من هذه النكبات بل حلقهم قسطوافر من الاذى والجور والعسف . ونحروا غصص النكبات من قتل وسلب وسي حين دخول المغول البلاد . واشتركوا بالحمية التي امتحن بها نصارى بغداد في غرة ملك ارغون حتى لم يجسر واحد من الرجال ان يظهر في الطرق وكانوا يرسلون نساءهم الى الاسواق مزريات بزي المسلمات لا يتبايع ما يحتاجون اليه الا ان ليل المصائب كان قصيراً وما فتئت ان ظهرت لهم من خلال الضيق اشعة الرجاء فقام منهم رجل نال كرامة نافذة في البلاد ومزلة جليلة القدر اريد به الطبيب اليهودي سعد الدولة . فانه خلف سنة ٦٨٢ هجرية (١٢٨٣ - ١٢٨٤ م) جلال الدين السمناني في وزارة المالية . كان سعد الدولة في اول امره ذلالاً بسوق الصناعة بالموصل (١) ثم صار طبيباً خاصاً بارغون وكان يقيم في اكثر امره في بغداد . فولاه ارغون وعظمه ومكنه حكم في سائر البلاد التي بأيدي التتر . وان ما حدا بالملك التتري الى رفع مقام طبيبنا اليهودي ان سعد الدولة مدة اقامته في بغداد وقف على احوال المالية وعلى ما كان يرتكبه اصحاب اروق من اختلاس الاموال وما كانوا يتلاعبون بالضرائب .

(١) كتاب المختصر في اخبار البشر لابن القداء ٤ : ١٧

فبين لا رغون ان معظم اموال الخزينة يتسرب الى جيوب اروق واخيه الوزير بوقا . واخبره بهدم مدارس كثيرة وخانات واحد الجوامع وان انقاضها اتخذت لهدية امر بتشييدها بوقا . وايدته في مدعياته هذه كل من اردوقيا وبايان سوكرجي وكن كلاهما من ارباب الحول والطول في قصر الملك . فامر ارغون سعد الدولة و اردوقيا وبايان سوكرجي بان يفحصوا دفاتر الجباة ويحبوا الضرائب . فنجى الطبيب اليهودي مبلغاً عظيماً ودفعه الى ارغون . فسر الايخان من غمها هذا وعينه مفتشاً على مالية بغداد ورفع عقيب ذلك الى منصب الوزارة على كل المملكة ولما تقلد الوزارة عين اخاه فخر الدولة ناظراً عاماً على مزارع العراق العربي . واخاه امين الدولة حاكماً على الموصل وسائر اقاليمه في وظائف اخرى من وظائف الدولة في اقطارها القريبة من بغداد (١) وسنأتي على ذكر اعمال سعد الدولة وما كان من امره .

واشتهر في هذه المطاوي بغداد عز الدولة سعد بن منصور بن سعد الملقب بابن كومة وكان عالماً متضللاً من علم الفلسفة . فآلف سنة ٦٨٣ هجرية (١٢٨٤ م) كتاباً سماه الابحاث عن الملل الثلاث تعرض فيه بذكر النبوات . فنار العوام وهاجوا واجتمعوا لسكيس داره وقتله فركب الامير تمسكي شحنة العراق . ومحمد الدين ابن الاثير وجاعة الحكم الى المدرسة المستنصرية (٢) واستدعوا قاضي القضاة والمدرسين

C. Huart : Histoire de Bagdad 6-2

(١)

(٢) شرح المستنصر بالله بالشاء المستنصرية في سنة ٦٢٥ هجرية (١٢٢٨ م) .

لتحقيق هذه الحال وطلدوا ابن كونة فاختموا وانفق ان ذلك اليوم كان يوم الجمعة
فركب قاضي القضاة للصلاة فثمنه العوام فماد الى المستنصرية فخرج ابن الاثير ليسكن
العوام فاجتمعوا فبيع الكلام ونسبوه الى التعصب لابن كونة والذب عنه فأمر
السجدة بالنداء في بغداد بالمباكرة في غد الى ظاهر السور لاحتراق ابن كونة
فسكن العوام ولم يتجدد بعد ذلك له ذكر . واما ابن كونة فانه وضع في صندوق
مجلد وحل الى الحلة وكان ولده كاتباً هناك فاقام اياماً وتوفي فيها (١)

وكل يمارسها الى مؤيد الدين ابى طالب محمد بن العلقمي واقامها على شاطئ دجلة
الشرقي في آخر سوق الثلاثاء . وقال عنها احد الكتبة لم يعمر في الدنيا مثلها . بنيت
على شكل مستطيل وفي كل جانب ايوان فيه مدرس من كل مذهب من المذاهب الاربعة
وفي طرفي كل ايوان رواق ممتد وفي منهاء حجر للتلامذة وفي الطبقة العليا تشاهد
غرف على هذا النسق ايضاً . وكان فيها خزانة كتب ومطبخ وحمام وساعة عجيبة
تشير الى اوقات الصلوة والتدريس ومنصة يجلس عليها المرضى فيتقدمهم الطبيب وكان
الانتهاء من بنائها سنة ٦٣١ هجرية واما بناء المنصة والساعة فتم سنة ٦٣٣ . وقد
حوّلنا الاراك الى دار مكس ولا تزال كذلك حتى اليوم ويعرف مكانها « بالكرك »
وللتوسع راجع مقالنا « المستنصر والمستنصرية » المنشورة في ملحق جريدة
العراق في ١٥ تموز ١٩٢١

(١) الكتاب المخطوط الذي عنوانه تاريخ العراق في عهد المغول « مؤلف مجهول »
وعنه نشر الاب لويس شيخو هذا الخبر في مجلة المشرق الفراء آب ١٩٢٠ ص ٦٠٥ .

وفي رواية كانت وفاة ابن كونة سنة ٦٧٦ هجرية (١٢٧٧ م) (١) ولاين
كونة تاليف اخرى غير الابحاث في الملل الثلاث عرفنا منها تذكرة في الكيمياء (٢)
وشرحاً على التلويحات في المنطق والحكمة للشيخ شهاب الدين يحيى بن حبش
الهروردي المقتول سنة ٥٨٧ هجرية (٣) وشرح الاصول والجلل من مهمات العلم
والعمل الفه لابنه شمس الدين صاحب ديوان الممالك وهو كشرح الكتاب
« الاشارات والتفهيمات في المنطق والحكمة لابن سينا » (٤) والحكمة الجديدة
في المنطق (٥) علمنا والكتاب مائل للطبع ان عند العلامة جميل الزهاوي نسخة منه .
وقد هن ابن كونة عاطفة الدين في علماء العرب بكتابه الابحاث في الملل الثلاث
فادفعوا اقلامهم لرده وانتقاده فكتب مظفر الدين احمد بن علي المعروف بابن
الساعاتي المتوفى سنة ٦٩٤ هـ كتابه « الدر المنصود في الرد على فيلسوف اليهود (يعني
ابن كونة) » (٦) وكتب في دحضه الشيخ زين الدين سريجا بن محمد الماطي ثم الماردني
الشافعي المتوفى سنة ٧٨٨ هجرية كتابه المسمى « نهوض حثيث اليهود الى خوض
خبيث اليهود » (٧)

واصدقنا الاستاذ الشيخ محمد رضا الشبيبي تاليف عنوانه « فلاسفة اليهود

- (١) كشف الظنون للحاج خليفة مجلد ١ : ١٠٣ (٢) كشف الظنون مجلد ١ : ٢٧٧
(٣) كشف الظنون مجلد ١ : ٣٢٩ (٤) كشف الظنون مجلد ١ : ١٠٣ و ٢ : ٥٢
(٥) كشف الظنون مجلد ١ : ٤٥٠ (٦) كشف الظنون مجلد ١ : ٤٨٠ (٧) كشف
الظنون مجلد ١ : ٣٣٨ و ٢ : ٦٢٤

في الاسلام « حص فيه فلسفة ابن كزونة وغيره ممن اشتهر من فلاسفة اليهود في الاسلام ولا يزال الكتاب مخطوطاً فترجوا نشره في القريب العاجل فائدة للعالم .

وكانت جماعة يهود الموصل من دهره حوالي هذا الزمان اي بعد قرن من رحلة بنيامين التيطيلي اليها . واشهر فيها الربان داود بن دانيال بدافقته عن مذهب ابن ميمون . (١)

وتماحدث لليهود في بغداد سنة ٦٨٧ هجرية (١٢٨٦ م) انه وصل في شهر صفر من هذه السنة جماعة من اليهود من تفليس وقد رتبوا ولادة تلي تركت المسلمين فاجروا الامر على ان لا يورثوا ذوي الارحام فانكر الامير اروق ذلك وامر بان يعمل بمذهب الامام الشافعي كما كان يعمل قديماً فانفقت وفاة بعض العوام وخلف ابن عم له فانكر النواب نسيبه وختموا على تركته فاستغاثوا واستنصر بالعوام فاجتمع معه خلق كثير ووقعت فتنة اوجبت خوف النواب من القتل فاختموا وتحصنوا في بيوتهم فذهب العوام دكا كين اليهود من الحلاطين وغيرهم فكفهم الديوان عن ذلك وخرج النواب من بغداد متوجهاً الى بلادهم فصادفهم الاكراد في الجبل وقتلهم . (٢)

لنعودن الى سعد الدولة واعماله . فانه بعد ان تسلم ازمة الاعمال تقدم سنة ٦٨٨

(١) Jewish Encyclopedia Vol. IX, P 97

(٢) اعتماداً على الكتاب الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول » مؤلف

مجهول .

هجرية (١٢٨٩ م) بالقبض على الزين الخطائري ضامن النفقات ومجد الدين اسمعيل بن الياس واستوفي ما عليهم من الاموال في ثلاثة ايام ووكل بهما وقتل الزين ظاهر عند سور بغداد في ٢٠ جمادي الاخرى وقتل مجد الدين في ٢٢ من الشهر عينه . ثم قتل غيرهما ومنهم ناصر الدين الذي دفن في جوار سلمان الفارسي . وفي رجب من تلك السنة قتل منصور بن علاء الدين صاحب الديوان ببغداد (١)

وفي سنة ٦٨٩ كتب بعضهم ذماً في اليهود ووقف عليه سعد الدولة واطلع عليه السلطان ارغون فحكمه في كل من كتب فقتل على اثر ذلك جمال الدين بن الخلاوي ضامن نفقات بغداد وصلبه بباب النوبي (٢)

ومن اعماله في اخريات ايامه انه سمع ان نور الدين عبدالرحمن بافشان ملك واسط تكلم عليه في حال السكر فبعث مذهب الدولة بن الاشعري الى واسط فقبض على ملكها وارسله الى بغداد مطوقاً بالحديد على ان يقتل فيها . فلما وصل الى بغداد وكل به في دار النيابة ثلثة ايام . فلما كان اليوم الثالث وصلت الابلجية من اردو باندو وحضروا ليلاً عند جمال الدين المستجير واني كاتب العراق واخبروه بان السلطان ارغون توفي وقتل الامراء سعد الدولة قبل وفاة السلطان وان اردو باندو قوض اليه امر العراق وامره بالقبض على فخر الدولة اخي سعد الدولة . فانفق مع الابلجية وشحنة بغداد وقبضوا على فخر الدولة في سبت من سبوت ربيع الاخر .

(١) و(٢) اعتماداً على الكتاب المخطوط الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد

المغول » مؤلف مجهول .

وبما قبض فخر الدولة شئت دأبه وأدور اليهود كافة وأخذت أموالهم ودام ذلك ثلاثة أيام فركب جمال الدين في جماعة من الجند ومنعوا العوام عن ذلك وحبسوا جماعة منهم وقتلوا منهم فكانت الفتنة . (١)

وفي تلك السنة قتل شاب من اليهود وحدث على أثر وفاته فتنة . ولما سكنت الحال وخرج القوم على عادتهم إلى أعمالهم اذاع طائفة من العوام أن الحكم قد فسحوا فيهم فسارع الاشرار والسفلة والشطار في ذلك ونهبوا دورهم ودكاكينهم . فركب جمال الدين وكفهم عن الاذى ولم يبق بلد من بلاد العراق الا وجرى فيه على اليهود من النهب ما جرى في بغداد .

وطولب فخر الدولة وجاعة من اعيان اليهود بأموال وضويقوا وعوقبوا عليها فادعوا ان أموالهم شئت من دورهم . وارسل يابو الى الموصل من قبض على أمير الدولة اخي سعد الدولة واعتمل معه مثل ما اعتمل مع اخيه فخر الدولة (٢)

ومنذ ذلك الحين وقع اليهود في ضيق عظيم عد من اكبر البلايا واجتمع المصائب . وفي سنة ٦٩٤ هجرية ١٢٩٥ م جلس السلطان غازان على التخت وأمر بالزام اهل الذمة الفخار فكانت علامة النصارى شد الزنار في اوساطهم واليهود خرقه صفراء في عمامتهم فناموا على ذلك شهوراً ثم ازيل بمجرد تسلط العوام عليهم وطمع الجبال . (٣) م .

(١) (٢) (٣) اعتماداً على الكتاب الذي عنوانه « تاريخ العراق في عهد المغول »

لؤلف مجهول .

وفي هذه السنة أصدر الأمير نيروز امرأ يقضي بتخريب كنائس النصارى واليهود وقتل رؤسائهم وكان هذا الامر في مراغة وبغداد وغيرها من الامكنة (١)

وفي سنة ٧٢١ هجرية (١٣٢٢ م) امر السلطان ابو سعيد بهادر المغولي ان توضع العلام على الذميين من نصارى ويهود تميزاً لهم من الاسلاميين عند وقوع الفتن فاسلم كثير من الذميين (٢)

وفي سنة ٧٣٤ (١٣٣٣ — ١٣٣٤) ألزمت النصارى واليهود ببغداد بالقيام ثم نقضت كنائسهم وديارهم واسلم منهم ومن اعيانهم خلق كثير منهم سديد الدولة وكان ركناً لليهود عمر في زمن يهوديته مدقناً خسر عليه مالا طائلاً فخرب مع الكنائس . وجعل بعض الكنائس معبداً للمسلمين وشرع في عمارة جامع يدرب دينار وكانت بيعة كبيرة جداً . (٣)

حكم العراق في هذه الماطاوي دويلات ففي سنة ٧٣٦ هجرية (١٣٢٥ م) نشأت حكومة الجلائرية واستولى على القطر حسن برك ولم يدم طويلاً حكمها في العراق بل انطوى بساط صولتها بموت ابي سعيد وحلت محلها حكومة الخروفي الاسود « قره قويونلي » واول من ملك العراق منها الشاه منصور بن محمد في سنة ٧٧٨ هجرية (١٣٧٦ م) ولم يستقر له الامر بل ان الشاه احمد الجلائري ثقل عليه واستولى

Chabot : Histoire de Jabalaha (١)

(٢) كتاب الفوز بالمراد في تاريخ بغداد للاب السنان الكرملي ص ٢٠ — ٢١ .

(٣) ابو الفداء مجلد ٤ ص ١١٣

على بغداد سنة ٧٨٥ هجرية (١٣٨٤ م)

وفي سنة ٨٠٢ هجرية (١٤٠٠ م) نزل تيمورلنك العراق ثانية فهاجمت قلوب
الاهلين وخاف اليهود هذا الطاغية فجاؤوا غارين من القرى المجاورة واجتمعوا ببغداد الا
ان كثيرين منهم قتلهم التتار ويقال ان اصحاب تيمورلنك قتلوا في تلك السنة نحو
عشرة الاف يهودي في البصرة والموصل وحصن كيفا (١) ودمروا مدارسهم
واقطعت الرئاسة بينهم زمناً طويلاً وتبددت الجماعة في المدن والاقاليم فقدت حالهم
مؤلة موجعة (٢)

ولما مات تيمورلنك رجع احد الجلائري الى بغداد وبقي زمام الحكم بيده الى
سنة ٨١٠ هجرية (١٤١٠ م) وفي هذه السنة استولت حكومة الخروفي الاسود ثانية
وبقيت ربة الحل والعقد في بغداد الى سنة ٨٧٢ هجرية (١٤٦٨ م) وانتقلت الى
حكومة آق قويونلي او الخروفي الابيض وكان مؤسسها حسن الطويل .
وحادث في سنة ٨٩٩ هجرية (١٤٩٣ م) حادث هلمت له قلوب يهود العراق
وهو ان يهود ايران اختلفوا مع الدولة فقاتلهم الأهليون وقتلوا منهم ثلاثمائة
الف يهودي . (٣)

لقد بلغنا الان عصر انكشفه ظلمات الجهل في العراق وتعمز الموارد التاريخية على

(١) Mendelssohn: The Jews of Asia 232

(٢) Basnage: History of the Jews Book VII P: 696

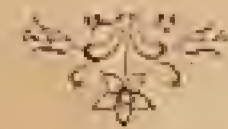
(٣) الفوز بالمزاد في تاريخ بغداد ص ٨٩

الباحث ولا سيما الحوادث التي تفيد بحثنا هذا . فان في هذه الحقبة يدخل تاريخ
يهود العراق في غموض وابهام لقللة التأليف والتصانيف في عهد امست الديار ميدان
الحروب والفتك واللامار بتقلب الحكومات وتغير الاحكام . وكانت كل فئة ضعيفة
تحاول ان تخفي كيانها عن ادين الفاتحين او تريد ان تعيش عيشاً ذليلاً تنفياً بقى
اقوياء البلاد وتستظل بظلال زعماء المحلات . فلم يكثر لهم ولاخبارهم المؤرخون . فلا
نقطع بعدم وجود المصادر لتاريخ يهود العراق في هذا العهد لابل نذهب الى انها بمنزلة
بين الاضابير المصونة في البيوت والخزانات ومشتتة في تصانيف الرحلات واخبار
المتجولين في هذه الاقطار من الافرنج وغاية ما نرغب الى الادباء وحلة الافلام ويهود
العراق ان ينشروا ما تقع ايديهم عليه من اخبار هذه الامة في ديار بين النهرين سداً
لهذا الخلل . او ان يجمعوه في خزانة خاصة به . فليس يهود العراق خزانة «جنيرة»
كما لهذه الامة في غير البلدان . فقد سبق يهود القاهرة اخوانهم يهود العراق في هذا
الباب وانشأوا سنة ١٩١٣ خزانة دعوها (المكتبة الاسرائيلية) جمعوا فيها شتات
المخطوطات من كتب وصكوك واوراق عقود وقصائد .

ومما هو جري بالذكر ان يهود العراق بقوا في هذه الديار في القرون التي عقيبت استيلاء
المغول والتتار . ولم يضطروا الى مغادرة اوطانهم مع ما كان فيهم من المظالم والاضطهادات
كما فعل الساطرة الذين هجروا بغداد والبصرة وكل مدن العراق ما خلا الموصل
وتوابعها والتجأوا الى قم جبال كردستان وبلاد الفرس حتى انقطع ذكرهم من
عاصمة العباسيين عهداً وخربت بيعة وهدمت معابدهم وبات اديرتهم قاعاً باقياً

يشئ فيها اليوم والغراب. ولقد كل معبد لهم . ولم تعد فئة من النصارى الى مدينة
السلام الا بعد مرور قرن او اكثر على زوال اجدادهم عنها . والسر في الامر
ان اليهود رخصوا ثقبات الزمان وصروف الدهر وتواءبه وجاملوا الحكم والامراء .
فهذا هو الشعب الذي يتقوى مع التواء الزمان ويحافظ على كيانه في وسط العواصف
السياسية والتقلبات المدنية .

وقد جاء في احصاء قديم (١) وان لم اعرف مزارته من الصحة والضبط .
كان عدد اليهود الذين يدفعون الجزية ٣٦٠٠٠ عند دخول هولاء كورناد وكان عدد
كنائسهم ١٦ . اما النصارى فكانوا ٤٣٠٠٠ نسمة ولهم ٥٦ بيعة . فلم يبق للنصارى
من تلك المعابد القديمة معبد واحد . واليهود بضعة معاهد قديمة من قبل العهد وعدد
قوسهم في بغداد اليوم اربعة اضعاف نصارى بغداد ولم يكن عدد نصارى بغداد
قبل قرن الا ٥٠٠ نسمة فتكاثروا في منصرم القرن الماضي واوائل القرن الحاضر
حتى بلغ عددهم اليوم ١٤٠٠٠ نسمة .



(١) الاختصاص مأخوذ عن كتاب خط اسمه « الدر المكنون في مآثر الماضية
من القرون » لصاحبه ياسين العمري راجع مجلة المشرق سنة ١٩٠٨ ص ٣٩٧ . الا
اننا لا نثق بضبطه وان اعتمدنا عليه .

يهود العراق في حكم الأتراك

لا ترى مدبوحة عن تصدير هذا الفصل بنظرة عامة في التطورات السياسية التي حدثت في هذا القطر وبلمحة تاريخية عن الإيرانيين الذين تنازعوا الحكم في العراق قبل أن يستتب الأمر الأتراك فيه . ثم نشفعها بكلمة وجيزة عن حال اليهود في إيران والعراق قبل زمان السلطان مراد الرابع .

رأينا في الفصل السابق أن بعد سقوط الدولة العربية العباسية أضحت بلادنا مهبط المغول والتتار وحكم فيها الجلائريون وأصحاب حكومة الخروف الأسود والخروف الأبيض . وفي ٩١٤ هجرية (١٥٠٨ - ١٥٠٩) كان حاكم بغداد رجلا اسمه (بارك) وولاه عليها السلطان يعقوب . فبعث الشاه اسمعيل الصفوي (١) في تلك السنة للاحسين

(١) اسمعيل الصفوي مؤسس السلالة الصفوية في حكومة إيران حكم من سنة ٩٠٥ إلى ٩٣٠ هجرية (١٤٩٩ - ١٥٢٤) وهو أحد أعقاب الشيخ صفي الدين الأردبيلي وكان لهذا منزلة دينية . ورثه ابنه صدر الدين الذي حرر من أسر تيمورلنك جماعة من الأتراك كان قد أخذهم من ديار بكر . ولما حرروا من الأمر أصبحوا من مرادي الشيخ . وظمن جماعات من أعقاب هؤلاء الأسرى إلى جيلائن وعضدوا الصفويين في تأسيس دولهم . وتعاضدوا الصفويين حتى خشي عاقبة أمرهم



عائلة يهودية

برأس جيش لفتح بغداد . فوالاه النصر واستولى على المدينة ثم توجه الشاه اسمعيل الى بغداد وقام ببعض اعمال يذكرها التاريخ .

فدجاء في كتاب يهود آسية (١) ان يهود بلاد فارس افتتنوا باعمال الشاه العسكرية وسعوا للحصول على رضا الا انهم مع اعجابهم به وخضوعهم له لا يظهر انهم توفقوا لتبيل التفات ملكهم المستبد والشديد الشكيمة .

وذكر صاحب كتاب خلاصة تاريخ العراق (٢) . وكان الشاه (اسمعيل) قد قتل كثيرين من مسلمي السنة وذبح جمع نصارى المدينة (بغداد) ولم يبق واحداً منهم اما اليهود فانه لم يتعرض بهم وكانوا يهدون اليه الهدايا الجلييلة والاموال الطائلة

وبرزا جهان شاه ثالث حكام دولة الخروف الاسود فني من اذربيجان الشيخ جنيد حفيد الشيخ صفي الدين . فالتجأ جنيد الى حسن الطويل مؤسس دولة الخروف الابيض في ديار بكر . فاکرم مشواه وانزله على الرحب والسعة وزوجه من اخته — خديجة بيكم — واذ لم ينس له الرجوع الى اردبيل سافر الى شروان واقام فيها . وقتل هناك . وتزوج ابنه الشيخ حيدر من بنت خاله حسن الطويل واسمها حليلة بيكم اوه عالمشاه . خاتون وامها اميرة يونانية . فولد من هذا الزواج السلطان علي وابراهيم ميرزا والشاه اسمعيل مؤسس الدولة الصفوية . وبعد وفاته تولى الملك ابنه الشاه طهماسب .

(١) Mendelssohn: The jews of Asia P.80

(٢) الاب استاس ماري الكرملي : خلاصة تاريخ العراق ص ١٩٥

لاحتياجه اليها يومئذ نورد هذا الخبر بتحفظ لاننا نجعل المصدر الذي اخذ عنه المؤلف .

مهما يكن الامر فان الشاه اسمعيل لم يعاد اليهود على ما يظهر عداء مبيناً بل ترك لهم حريتهم في اعمالهم واشغالهم . ونما يؤيد رأينا ما جاء في تلك المطاوي في رحلة لاجد الايطاليين (١) اي بين سنة ١٥١١ و ١٥٢٠ م فانه قال في معرض كلامه عن مدينة تبريز : وهناك يهود ايضاً ولكنهم ليسوا من سكانها انما هم فيها بل انهم جميعهم غرباء يأتون اليها من بغداد وكاشان ويزد وهم من التبعة الصفوية فيسكنون في الخانات كاسر التجار الغرباء .

وبعد استيلاء الايرانيين على بغداد حكم فيها ذو الفقار ابن محمود سلطان من روساء قبيلة موصلو الكردية . وما عم ان ساد على القطر كله لما طبع عليه من الشجاعة والسخاء . فاطاعه معظم الادلين راضين غير ناقلين . ومال ذو الفقار الى السلطان سليمان القانوني وقرأ الخطبة وضرب السكة باسم السلطان العثماني وارسل اليه الوفود عارضاً عليه خضوعه واتباعه .

فقتل الامر على الشاه طهماسب وخزن على فقدان بغداد واستاء من مصادي ذي الفقار نجيش عسكرياً وحمل على بغداد في شهر تموز من سنة ١٥٣٠ م (٩٣٦ هجرية) وبعد ان عجز الشاه طهماسب من الاستيلاء على بغداد حرباً اندرع بأخوي ذي الفقار ومناهما بالمواعيد . فاعتلا اخاهما وقتلاه .

وقد كان لهذا النبأ رنة في الأندية السياسية التركية فهدد السلطان سليمان الأول
قياد الجيوش الزاحفة الى العراق الى ابراهيم باشا الصدر الاعظم . فأكمل القائد العام
تجهيزات حملته في ربيع الثاني ٩٤٠ هجرية (سهايت ١١ | ١٥٣٣ م) وتوجه الى حلب
وقضى فصل الشتاء فيها .

فتح الجيش التركي بغداد في سنة ٩٤١ هجرية (١٥٣٤ م) ودخل السلطان
سليمان الاول عاصمة العباسيين . وبقي فيها نحو ستة اشهر . وخضع له في اثناها
مدن اخرى من العراق .

ان المصادر التي امامنا حين كتابة هذه السطور لا تفيدنا شيئاً عن تاريخ يهود
العراق في زمن السلطان سليمان الاول ولا عن موقف هذا الفانج الحكيم تجاه تلك
الجماعة في بغداد وغيرها من مدن الرافدين . بل غاية ما نعلم ان عدد يهود العراق كان
قد قل كل القلة بعد نكبة النغول والتتار وساءت احوالهم الادبية والمادية ولم
يبق لهم شأن في البلاد . اما السلطان سليمان فان لم يكن قد غمرهم باحسانه فانه لم يلحق
بهم اذى البتة لما عرف به من الرشيد والحكمة والتساهل والعدل . فقد امر جيشه
بعد فتح بغداد ان ينجم في البرية في ربض الاعظمية وحظر على الجنود ان يجوزوا اسوار
المدينة او ان يؤذوا سكان المدينة باذى ما (١)

ومما يزيدنا اقناعاً في ان حال يهود العراق كان هنيئاً على عهد السلطان سليمان
الاول ما جاء في التاريخ عن حالة اليهود في تركية عموماً قبل ذلك الزمان

بنحو قرن وبعدة .

كتب في اواسط القرن الخامس عشر احد اليهود المسمى اسحق زرقاني رسالة
وبعث بها الى يهود المانية والمجر دعاهم بها الى الهجرة الى بلاد الازراك . ووصف
بها وصفاً حاسياً حال اليهود في وطنهم الجديد . ومما قال فيها الكاتب ان بلاد الازراك
ارض لا يعوزكم فيها الى شيء وان شئتم وافكم كل الاحوال وفق مرغوباتكم . فيها
تصلون الى الارض المقدسة سالمين . اوليس الافضل ان تسكنوا في حكم المسلمين من ان
تسكنوا في حكم النصارى ؟ فانكم تتمكنون هنا من لبس الخمر الالفشة . . .
ويمكن كل واحد هنا من الجلوس تحت كرمته وشجرة تينته . ومما يمكن الامر
فانكم لا تجسرون على لباس اولادكم في البلاد النصرانية اللون الاحمر او الازرق
ان لم تعرضوا بهم الى الضرب حتى يزرقوا او تسليخ جلودهم حتى يصبغهم الدم . (١)
اذاع اسحق زرقاني هذه الرسالة في عهد قامت فيه قيامة اوربة على اليهود فطرد
هولاء من اسبانية . فوجدوا في بلاد الازراك ملجأ فانصبت قوافل المهاجرين
عليها انصباباً من كل اقطار اوربة . فوجدوا فيها ميداناً واسعاً لنشاطهم ومنبأً خصيباً
لاستثمار مساعيهم . وكانت الحكومة التركية في ايام نهضتها وفي حاجة الى ايدي
عاملة ورجال علم وفن فرحبت بهم ورأت فيهم ضيوفاً نافعين فأكرمت منوهم .

(١) ان هذه الرسالة المهمة محفوظة في الخزانة الوطنية في باريس (بيت
الآثار القديمة) مرفقة برقم ٢٩١ وببحث عنها ائمة اليهودية في المجلد الثاني عشر
صفحة ٢٨٠ .

وأُسندت إليهم الوظائف المختلفة في الدولة .

وأشهر في القرن السادس عشر من أولئك المهاجرين الناصبي يوسف البرتغالي المولد قاله نال من الطائف السلطان سليمان الأول والسلطان سليم الثاني ما جعله بين رجال الدولة العظام وبين مشاهير المالين في الحكومة التركية لابل زعت نفسه الى الملوكة وحكاية الحال ان السلطان سليمان قال له يوماً اذا تحققت رغبتي في فتح قبرص ستكون ملكها . فما كان من الناصبي الا وعمل لوحة عليها شعار قبرص وكتب عليها « جوزيف ملك قبرص » وعلقها على باب داره . وعلماً من هذا الوعد لقبه لقب دوق

نكسوس Duke of Naxos

وخسر الناصبي يوسف معظم نفوذه السياسي بموت السلطان سليم وان ائتم له السلطان مراد الثالث القاب ومناصبه . وافته المنية سنة ١٥٧٩ م ولم يترك عقباً . (١)

وأشهر حوالي ذلك الزمان في سلطنة آل عثمان يهودي آخر اسمه سامان اشكنازي او ابن نانان . وتقلب في مناصب عديدة مهمة ثم بعثته الحكومة العثمانية سفيراً الى حكومة البندقية وقلدته سلطة واسعة . وكانت درايتة بالامور السياسية واسعة أهلته لتدبير شؤون السلطنة العثمانية السياسية مع الدول النصرانية نحو ثلاثين سنة (٢) وكان هذان الرجلان وغيرهما من اليهود في العاصمة انصاراً لآبناء قومهم الساكنين

(١) راجع Mendelssohn: The Jews of Asia 4 — 7

والمعالم البريطانية مادة Joseph وثماناني تاريخي : احد راسم مجلد ١: ٣٠٣

(٢) Mendelssohn: The Jews of Asia 7 — 10

في بلاد الأتراك يتوسطون في امور الجماعة على طول البلاد وعرضها .

بعد ان استولى السلطان سليمان الثاني على بغداد رتب عليها الحكم . وبقي الولاة العثمانيون يدبرون شؤونها عهداً حتى حكم فيها بكر صوباشي في سنة ١٠٢٨ هجرية (١٦١٩ م) واستبد في امورها وخرج على الحكومة التركية واستقل عنها . ولما تبوأ السلطان مراد الرابع اريكة آل عثمان سنة ١٠٣٢ هجرية (١٦٢٢-١٦٢٣ م) بعث جيشاً لتأديبه . وبعد قتال كاد يخذل فيه بكر صوباشي وبولي الادبار استجار بالشاه عباس الاول فاجاره وبعث جيشاً الى بغداد الا ان بكر صوباشي ندم على عماله هذا وحاول ان يرد الجيش الفارسي عن مدينته الا ان لم يفلح فدمه فحاصر الفرس المدينة وقتلوا حاميتها وفي سنة ١٠٣٣ هجرية (١٦٢٣ - ١٦٢٤ م) استولوا على القلعة الداخلية ليلاً ولما اسفر الصباح وسمع الاهلون اصوات الابواق من اعالي البروج والاسوار علموا بما جرى في الليل وكان فرعهم عظيماً .

ولما دخل الفرس المدينة واستتب لهم الامر فيها اتوا بانواع الفطائع من قتل وتشكيل وتخريب وتدمير . (١) وهذه كانت اعمالهم في الموصل وسائر المدن التي احتلوها عقيب فتح بغداد .

لشترك مدينة السلام بيد الفرس والندرسن حال يهود العراق وبلاد ايران في هذا الزمن . زار العراق في مفتتح القرن السابع عشر السائح نيكسرا (١٦٠٤-١٦٠٥ م) وقال عن يهود بغداد ما يأتي : وهناك (في بغداد) من ٢٠٠ الى ٣٠٠ بيت من اليهود

(١) راجع :

C. Huart : Histoire de Bagdad 52 - 59

ومنهم ١٢ او ١٥ يتأرقون اصلهم الى الاسرى الاولين . وعدد من هذه الطائفة اغنياء ولكن اغلبهم في فقر مدفع وجيعهم يسكنون محلة واحدة ولهم كنيس او مصلى ويقومون بشعائر دينهم بكل حرية . (١)

ثم تطرق الى ذكر مدفن يوشع كادول في جاب الكرخ ووصف مناره (٢) وبعد قليل ذكر في سياحته يهودانة وقال عنهم : ان مائة وعشرين بيتاً من سكانها يهود عرب وان لم يكونوا اغنياء فانهم يعيشون عيشاً وسطاً . ويراعى جانبهم امير البلاد وموظفوه ولا بد من ان ذلك يكلفهم شيئاً حسب العادة . ويملكون بيوتاً وارضاً كما يملك العرب الذين يؤلفون بقية سكانها (٣)

ان الشاه عباس الاول الذي يصفه مؤرخو الآراك بالفضاظة وغلاظة الاخلاق وبروون عن اعماله في بغداد بعد فتحها ما يشيب له الرضوان جزعاً كان مسالماً لغير المحاربين له مسألة نسبية ولا سيما انه اراد ان يكثر سكان مملكته فانهم على الغرباء انعامات جليلة فانوا اليها من كل صوب وحذب للاقامة فيها وللتجارة وكان بينهم جماعة من اليهود الذين استأثروا بالتجارة واغتنوا منها (٤) الا ان اللطف الذي ابداه الشاه لليهود لم يرق في عيون كثيرين من الايرانيين فحاش في صدورهم الحسد وارادوا انتقاماً من هذه الجماعة التي عرفت بتفننها بأنواع الكسب ووسائل الربح

- | | |
|--|-----|
| The Travels of Pedro Teixeira Page 65—66 | (١) |
| Ibid Page 68 | (٢) |
| Ibid Page 84 | (٣) |
| Basnage History of the Jews P 697 | (٤) |

وسعوا فيهم عند الشاه عباس وألصقوا بهم التهم المختلفة فلم يفتحوها . ولما اخفقوا في افئسائهم رجعوا الى امور الدين وحركوا عاطفته في ملكهم . وجرت مفاوضات بين الشاه عباس الاول وعلما اليهود في هذا الباب وقام بينهم جدال عن المسيح وزمن مجيئه افضى الى ان علماء اليهود ضربوا اجلاً الى مجيئ المسيح سبعين سنة من ذاك الزمن وكان قصدهم الخروج من ذلك المأزق الحرج . وابدوا الامر باتفاق وقعوه ليس من خطتنا التوسع فيه (١) . واطن ان ما ذكره دلافاه في رسائله من اتهام اربعة يهود بالجوسية في اصفهان في شهر تشرين الثاني ١٦١٩ م كان من هذا القبيل حتى اضطر ثلاثة منهم الى الخروج من اليهودية وقلبي الرابع الموت تمسكاً بدينه (٢)

مضت الايام وتوالت الاعوام حتى كانت سنة ١٦٦٣ م وكان يومئذ على عرش فارس الشاه عباس الثاني . وانفق في تلك السنة ظهور شباني شهيد الذي ادعى انه المسيح المنتظر وبعث باذاعته الى كل يهود العالم ومن بينهم يهود بلاد فارس . فانارت هذه الاذاعة غضب الايرانيين وفتحت باب اضطهاد على اليهود قاسوا فيه الامرين ودام ثلاث سنوات ١٦٦٣—١٦٦٦ فكبوا فيها . فمنهم من دان بالاسلام ومنهم من هاجر الى الهند والصين والى بلاد الآراك ومنهم من قتل . وقد ذهب بعض المؤرخين

- | | |
|--|-----|
| Mendelssohn : the Jews of Asia Pages 81 - 84 | (١) |
| Pietro della Valle : Les Fameux voyages tome 111 Page 87 | (٢) |

الى ان بلاد ايران خلت من اليهود على اثر ذلك الاضطهاد الا اننا لا نرثي رأيهم ولا سيما ان السائح ثيفنو Thevenot الذي هبط بلاد الفرس سنة ١٦٦٣ وبقى فيها الى سنة ١٦٦٦ وهي سنوات الاضطهاد عيها لا يذكر في رحلته شيئاً يستخرج منه قتل اليهود قتلاً عاماً . غير اننا نذهب الى ان هذا الاضطهاد دفع جماعات من يهود ايران الى ان يهاجروا الى العراق اذ كان هذا القطر من املاك السلطنة العثمانية . وان من هذا التنازع بدأت حجرة اليهود الى العراق ولا سيما الى بغداد واخذ عددهم بالزيادة في عاصمة العباسيين .

ولابد من ان القارئ يسأل كيف استرجع الاتراك العراق بعد ان استولى عليه الفرس سنة ١٠٣٣ هجرية ؟

لم يغفل الاتراك عن امر العراق بعد ان خرج من ايديهم سنة ١٠٣٣ هجرية بل ان السلطان مراد الرابع عين سنة ١٠٣٥ هجرية (١٦٢٥ - ١٦٢٦ م) حافظ احمد باشا وزيراً بلقب سردار وفوض اليه استرجاع العراق من الفرس . وبعد قتال دام الى سنة ١٠٣٨ هجرية (١٦٢٨ - ١٦٢٩ م) لم يتصر الاتراك فيه عين السلطان مراد الرابع الصدر الاعظم خسرو باشا قائداً عاماً واودع اليه قيادة حملة العراق . وفي هذه السنة ايضاً مات الشاه اسمعيل الاول وخلفه على تخت ملوك الفرس حفيده صفي مرزا .

مهما كان من امر تلك الحملة التركية على العراق فانها لم تنجح في هجوماتها الشديدة على اسوار بغداد فاضطر السلطان مراد الرابع سنة ١٠٤٧ هجرية (١٦٢٧ م)

الى ان يغادر عاصمة آل عثمان ويأتي الى العراق على راس جيش جرار وخيم في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) امام اسوار بغداد . ودخلها ظافراً بمدح حرب عوان . وهذا كان آخر عهد الايرانيين في بغداد .

وقفنا على امرين من هذا العهد هما ان تاريخ يهود العراق اولها مدون في كتاب والاخر من ماثورات يهود بغداد نوردتها على علامتها والعهد على مصدرهما .

ذكر بولاي لكويز كان عدد جيش السلطان مراد الرابع الذي توجه الى بابل ١٥٠٠٠٠ رجل بينهم عشرة آلاف يهودي من كتيبة وسعاة ورؤساء جيش (١)

حدثني غير واحد من يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع عند وجوده في هذه المدينة او على اسوارها دخل متكرراً بيت احد اليهود ونزل ضيفاً على صاحبة البيت فاكرمت مشواه . ولما غادر البيت سألتها حل لها حاجة او اقومها فطلبت اليه ان ينعم عليهم بارض لتكون مقبرة لجماعتها فاجاب طلبها واعطاهم الارض المشودة .

ان سكت التاريخ عن احوال اليهود في العراق في عهد السلطان مراد الرابع او ان كنت لم اطلع على ذلك في المصادر التي بين يدي من مؤلفات الافرنج او الاتراك كتاريخ هامر ونعما ودوسون وهوارت فلما نور عند يهود بغداد ان السلطان مراد الرابع احسن اليهم .

جهاننا لتاريخ يهود العراق لا يقف في عهد السلطان مراد وحده بل يتجاوز

ذلك النطاق ويمتد الى قرن وبعض قرن بعده . ولم أذكر على ذكر هذه الجماعة الا في سنة ١٧٦٦ ميلادية في تضاعيف رحلة نيهير السائح الديماركي اذ ان الرحالة يترو دلا فانه الذي كان في بغداد في الربع الاول من القرن السابع عشر لم يتصد لذكر يهود العراق الا استطراداً في بحثه عن قبر حزقيال وجب دانيال لا غير .

اما رحالتنا نيهير فقد قال عنهم : ان في الموصل ١٥٠ بيتاً من اليهود ويكسب هذا القوم في بلاد الأتراك معيشتهم بحرية تفوق الحرية التي لهم في اوربة حيث يحظر عليهم مباداة الحرف ومع هذا فأنهم لا يحسرون على السير في الطرق في بعض مدن الأتراك الا مضطرين هرباً لما يصيبهم من الاهانة من الاولاد .

وقد حدث لهم قبل ثلاث سنوات حادث خطير وهو أنهم لما كانوا قافلين من زيارة قبر النبي ناحوم في القوش فقد ولد مسيحي من احدى القرى القاعة على طريقهم . وبعد البحث وجدت جثته في احدى الابار مشخنة جروحاً وكان لسانه مقطوعاً . فأنهم اليهود بهذه الفعلة واذم يكن يهود على الامر دفعوا الف اشرفي (دوقية) الى الباشا وهكذا انتهت هذه الدعوى وروي نصارى الشرق من امثال هذه الاقاصيص شيئاً كثيراً . وغائبهم من ذلك ان يبينوا ان اليهود يقبضون على اولادهم . (١)

وقد ذكر استطراداً قبر يوشع وتوسع في وصف زيارة اليهود للسكفل وسنقل مرويته في البابين المختصين بهذين المزارعين . وارصد بضعة اسطر لما كان يقاسيه القوم من الجور والعنف من البدو في اثناء زيارتهم السكفل حتى يضطروا احياناً

(١) C. Niebuhr . Voyage en Arabie tome 11 page 295

الى الالتجاء الى المزار والاحصار فيهرثما يتوسط الامر حاكم الحلة او اذا كان عدد البدو كثيراً ينتظرون النجدة من والي بغداد لرفع الحصار . ومما قاله عن خوف اليهود من البدو . ان الرعب والفرع يستوليان على الزوار وان كان عددهم يفوق الغزاة البدو عشرة اضعاف او عشرين ضعفاً ولا يحسرون على اطلاق عيار ناري مرة واحدة لانهم يعلمون حق العلم ان الدم الذي يهرق من البدو يكلفهم غناً باهضاً . (١)

ومن مروييات اليهود في العراق ان احد ابناء قومهم المثرين المدعو الخواجه يعقوب ساعد العسكر العثماني بماله في حصار البصرة مساعدة جليلة . ومدا الاهلين بالمؤن في تلك الحرب التي ثنها الشاه كريم خان في ١١٨١ - ١١٩٠ هجرية (١٧٧٥ - ١٧٧٦ م) وجاء خبر الخواجه يعقوب ومساعدته في رسالة عبرية الخط عربية اللهجة دُعيت « الرسالة الفارسية » . وذكر المستر ريج هذا الرجل في كتابه الاسكليزي المعنون « الإقامة في كردستان » المجلد الثاني ص ٣٨٩ . في مفاوي بحثه عن مزار العزيز ودون اسمه هكذا Khophi yakoob ونسب اليه عمارة هذا المزار ولم يعلم من هو الرجل لان رحلة ريج كانت في اوائل القرن التاسع عشر .

وقد كتب عنهم روسو في اوائل القرن التاسع عشر مايلي :

يسكن اليهود في محلة واحدة في زاوية من مدينة بغداد والأتراك يحفروهم وينفضونهم في كل آن وحالتهم السياسية والعمرانية منحطة كل الانحطاط ومع هذا كله فأنهم كانوا يتوصلون الى دخول السراي ودار المكوس وبيوت الجهابذ حيث

(١) C. Niebuhr : Voyage en Arabie tome 11 page 217

يجدون من يستخدمهم في خدم مختلفة. (١) ومن أبناء قومهم في البصرة رجال
تعاطون التجارة (٢)

لم ينصف روسو اليهود بما كتبه بل ان فيه شيئاً من الاجحاف وربما كان
هذا الاجحاف من الانحياز الذي توخاه في عبارته لاتنا لانجد سبباً لتعمده هذه الغاية
ولاسيما نرى في كلامه حقائق ايدها غيره من الكتبة الاوربيين الذين هبطوا هذه
الديار . فهذا هود السائح الانكليزي الذي زار العراق سنة ١٨١٧ م وصف حال
يهود بغداد وصفاً مجملًا وتناول بحثه موضوعين من حياتهم في هذه البلدة الاول منها
منزلهم الاجتماعية ووافق ما كتبه روسو فيهم والثاني اعمالهم التجارية والاقتصادية
وبرحسوا للملا ان هذه الميزة التجارية تكاد تكون مسجلة لهذا الشعب العامل
حيثما هبط . الا ان معظم الغم الذي يجرونه من الاعمال يتسرب الى جيوب الولاة
وكبار الموظفين ولذلك لم يحصلوا على ثروة طائلة يعتمد بها (٣)

وان لم تكن منزلتهم الاجتماعية تسرا صدقاهم على ما جاء في كتاب روسو ورحلة
هود الا انه لا يخلو تاريخهم من شواذ في هذا العصر اذ كان ينبغ بينهم رجال يناولون
الكلمة الراجحة في البلاد . ولقد يستغرب القارى من ان احد يهود بغداد كان

(١) Description du Pachalik de Bagdad Par M

édité en 1809 page 12

(٢) Ibid page 32

(٣) Lt William Heude : A voyage up the persian Gulf and

a journey overland from India to England page 182

سبباً لعزل الوزير سعيد باشا بن ساليان باشا من الولاية . وانتهى به الحال الى الموت
قتلاً . واليك رواية الخبر .

ان احد موظفي الحكومة العثمانية واسمها حالت افندي كان قد جاء العراق بمهمة
ثم سافر منها الى استانبول وعين نائباً لدولة واوعز اليه ان ينظر امور العراق
نظراً الى الخبرة التي اكتسبها عن هذا القطر اثناء بعثته الاولى اليه . وكان صبره
حزقيال اليهودي . وكان اخو حزقيال صيرفياً في بغداد فاراد ان ينال منصب رئيس
الجهابذة (صراف باشي) فانكر عليه ذلك سعيد باشا ومنعه هذا الشرف . فوقع
هذا العمل موقعاً سيئاً في عيني حالت افندي وتأثر من اخفاق اخي صرافه واخذ
يتحين الفرص للايقاع بسعيد باشا .

وبما ان حكومة استانبول كانت تحب حكومة العراق يئس آن وآخر ان تضرب
مسكوكات نحاس عند الحاجة امرت سعيد باشا ان يضرب مقادير من تلك
النقود في بغداد . فودع الياسا امر ضربها الى عزرا المذكور . وبما عملت
الحكومة وعملها هذا الامر انتهز الفرصة عزرا ونقش اسم سعيد باشا في عمل الطغراء
وقدم منها نماذج اليه فاضطرب لهذا الحادث وامر في الحال بان تبدل الكتابة على
السكة . ولكن جاء امره بعد خراب البصرة على ما يقال في المثل . اذ سبق عزرا
وبعث بعدد من هذه المسكوكات الى اخيه حزقيال واخبر حالت افندي ان الوزير
ضرب السكة باسمه وعرض عليه تلك المسكوكات حجة واضحة تؤيد مدعاه .

فصدر الامر حالاً بعزل سعيد باشا . فتحزب له طائفة من البغداديين والسكهم

اخفقوا في مساعدهم ودخل داود باشا بغداد عوكت حافل في ٥ ربيع الثاني ١٢٣٢ هجرية (٢٢ شباط ١٨١٧) وبعد ايام قلائل بعث رجالاً قتلوا سعيد باشا في بيته (١) وكان لعزرا المذكور نفوذ عظيم وسلطة كبيرة على قومه فكان يسجن منهم من اراد سجنه ويحمله من شاء جلدته . ويظهر انه كان (ناسياً) والنامي كلمة عبرية معناها السامي وكان هذا اللقب يعطى لرؤساء اليهود في مقام راس الجالوت في القرون المتأخرة . وكانت الحكومة الخلية تعترف بمزله وحقوقه .

وقد قرأت في احد السجلات المخطوطة لكتاب معاصر لعزرا صراف باشي انه امر بحملة ثلاثية جلدة يهوديا اسمه نسيم ومثابا لشريك نسيم المذكور وذلك على عهد ولاية داود باشا : وبعد ان استقر داود باشا على منصة الحكم وتولى شؤون الولاية اراد ان يبعث بالخدایا المقررة الى الباب العالي واذ كانت الطرق غير مأمونة ليسير فيها النقود طلب من صيافة اليهود ان يأخذ منهم سفائح على عملهم في العاصمة فامتنعوا وتمحلوا له الاعذار والتجأوا الى بعض اصحابهم الأتراك من ذوي النفوذ لينقذوهم من هذه الورطة . ومن اعذارهم التي تذرعوها بها ان لا نقود لهم عند ذنبهم في الاستانة فاذا سحبوا عليهم هذا المبلغ رفضت حوالاتهم .

(١) Clément Huart : Histoire de Bagdad pp 170-172

Lt. William Heude : A voyage etc page 176

وبغداد كوله من حكومتك تشكيله انقراضه دائر رساله در مؤلفي نابت ١٢٩٢
منه سنده وقت مطبعه سنده طبع اول نشر (در سادات) ص ٣١-٣٣

فحين داود باشا اخذ الموظفين للمفاوضة معهم بهذا الشأن فلم ينجح في مساعدهم غيره بمكانه وهذا ايضا اخفق في المفاوضة معهم . فجاء ثالث ورأس اجتماعهم اذ كانوا معتقلين منذ نحو ثلاثة ايام بلا اكل وشرب وبعد الجهد الجهد تحقق لديهم ان لا مناص لهم من هذا الامر فاعطوا السفائح (١)

وقد اشتهر في عهد داود باشا اسحق اليهودي رئيس الصيارفة في بغداد وكان كثيراً ما يستشاره الوزير المذكور في اموره . وكذلك فعل لما انفذ الباب العالي صادق افندي ليصلح العراق وينظم شؤونه بعد انقراض الانكشارية ولاسيما لتحرير بعض داود باشا على تقديم الضرائب المتأخرة الى الباب العالي .

ولما وصل صادق افندي بغداد وفلوض داود باشا في المهمة التي بعث من اجلها وعرف ما وراء الالكمة فكر في إيجاد وسيلة للتخلص من وفد الباب العالي فاستدعى لاجال ثلاثة من معتمديه وهم سليمان اغا احد معتمديه ومصرف محمداً احد الاشراف والصراف باشي اسحق اليهودي وعقدوا اجتماعاً تامروا فيه على صادق افندي . فارتأى سليمان اغا ان لا سلام الا بقتل صادق افندي . وابتد هذا الرأي محمد مصرف افندي . وبعد ان سمع الوالي كلامهما اجاب ان في الامر خطراً ولكن لا يمكن احد على حياته بوجوده . فانه سيأتي اضطراباً اي اضطراب وسيدفك دماً اي دم . فلاجدر بنا ان نحو وجوده .

فوافق اسحق على اقتراحهم وايد رأيهم بما قصد عليهم من الانبياء التي تهيئت

(١) Lt William Heude : A Voyage etc 182 - 183

عليه من أبيه الذي كان يومئذ في القسطنطينية . وديرُوا في اجتماعهم هذا طرق الاغتيال .
فتم القضاء وقتل صادق افندي (١) ودفن سرّاً في طابية الصابونية (الصابونية)
في القلعة الخارجية (٢)

ومن مآثرات بهود بغداد الصحيحة ان في عهد ولاية داود باشا حدث ضيق
على جماعة من تجارهم وبنسب الخواجة داود حاسون ففر المذكور خفية الى البصرة
على سفينة شراعية وامن من هناك في البحر . ونزل الهند ثم الديار الاوربية وتعاطى
التجارة فأرى ويرى اغقابه اليوم في الهند وبلاد الانكليز وهم على جانب عظيم من
الغنى والنفوذ . وقد انعمت الدولة البريطانية على غير واحد منهم بأوسمة رفيعة المنزلة
والقاب شرف . ولهم بيوت تجارية في اقطار العالم .

(١) C. lément Huart : Histoire de Bagdad Page 178-179

وبغداد كوله من حكومتك تشكيلة انقضاه دأر رسالته مؤلفي ثابت .

ص ٤٣ - ٤٤

(٢) قد عثرت بها على قبر صادق افندي المذكور يوم الاثنين في ٢ تموز ١٩٢٣ .
كنت اقرب عن مجلس ادارة بغداد في اللجنة التي ألقت لحل الخلاف القائم بين
وزارة المالية ووزارة الاوقاف وامانة العاصمة في الاراضي الخاضعة خندق بغداد . وموضع
القبر على جانب الخندق الايمن في شمالي بغداد في راس محلة السبور قريباً من مقر
وزارة الدفاع الحالي . بشاؤه حقير وفي طرف الحوت الشمالي قطعة رخام صغيرة كتب
عليها اسم المقتول وبارخ فتنه .

ذكرنا من ولاية بغداد سعيد باشا وداود باشا وكان هذان الواليان من الكوالمندية
(اي المالك) . بدأت حكومة المالك مندوبى سليمان باشا المسم في بغداد سنة ١١٦٣
هجرية (١٧٥٠ م) وكان ملوك احديش والي بغداد . واستفحل امر المالك في بغداد
واستبدوا بالاحكام وقام منهم ولاية كثيرون في بغداد خرجوا على الحكومة العثمانية مرات
عدة . وكان آخرهم داود باشا الشهير الذي بقي من بغداد الى الاستالة سنة ١٢٤٧ هجرية
(١٨٣١ م) ومنها عين شيخ الحرم في المدينة سنة ١٢٦٠ هجرية ١٨٤٤ م . وفي السنة
التي بقي فيها داود باشا من بغداد استأصل لاز علي رضا باشا شافة المالك وقطع دابرهم .
لم نرو حتى الان في كتابنا شيئاً عن الحوادث الطبيعية من غرق وامراض وافرة
اشترك في مصائبها سكان العراق على اختلاف ادیانهم وتباين مذاهبهم لما في ذلك
من خرق الخطط التي اعتمدها في تأليفنا هذا . ولكننا وقفنا في تقرير السنة
كروفس المرسل البروتستانت في العراق (١) على فائدة هذا المسلسل موضوعنا لم نر بأساً
من نقلها قال : وفي سنة ١٨٣١ ميلادية حدث في بغداد طاعون شابه الرضخان في المهد
جزعاً واودى بالوف من سكان بغداد . فغادر البغاددة مدينتهم هرباً من الوفاة
الفاشي والموت الجارف . وفي اليوم العاشر من نيسان مات ١٢٠٠ نسمة في
جانب الرصافة وفي نحو ذلك الزمان قاض دجلة وطفح فهدم ١٢٠٠ بيت
في الجانب الغربي وبلغت الوفيات في اليوم الرابع عشر ١٨٠٠ في المدينة
وفي الايام التالية قدر عدد الموتى بالف عموماً . وقدر مجموع الوفيات في شهر

(١) W. Budge : By Nile and Tigris Vol 1 : 191-192

بنان نحو ٣٠٠٠٠ وأمت المدينة خالية من سكانها ولم يبق الا المبنى ودافنوم
والسقاؤون وفي اليوم السابع والعشرين من شهر نيسان حدث ان هدم قسم من
سور المدينة في الجانب الشمالي الغربي ودخلت المياه محلة اليهود وهدمت نحو ٢٠٠ بيت .
يسرنا في هذا المقام ان ننقل افادات ذات قيمة عن سائح يهودي نزل العراق
في منتصف القرن الماضي وأودع رحلته اخباراً نفيسة عن قومه في هذه البلاد .
وتطرق الى درس حالهم الدينية والاجتماعية والمالية . وما يؤخذ عليه انه غالى في
بعض المواقف من كتاباته مغالاة لا يذر عنها ولا تتفق مع الحقيقة التي هي ضالة
المؤرخ المشوذة . اريد به بنيامين الثاني (١) قال ما ملخصه : في بغداد ٣٠٠٠
بيت يهودي ويساعد علمهم وصناعاتهم ورفهم على امتداد التجارة والنشاط العام
وازدحام هذا القطر . ويشاهد في هذه البلدة سعة حال وروح حقة في المشاريع اكثر مما
في بقية ربوع هذا القطر . ويقبض اليهود على زمام التجارة وبينهم تجار كبار واشغالهم

(١) ان اسمه الحقيقي يوسف اسرائيل (١٨١٨ - ١٨٤٦) كان من يهود رومانية
وانتحل اسم بنيامين الثاني تشبهاً ببنيامين التطيلي واحياءاً لذكر ذلك الرحالة الذي
عاش في القرن الثاني عشر كما مر ذكره في هذا الكتاب في الصفحة ١٢٩ . وقد
بحث بنيامين الثاني في رحلته الاولى عن الاسباط العشرة المفقودة وكان عمره يومئذ
ستاً وعشرين سنة توفي في لندن بينما كان يتأهب لرحلة ثانية للبحث عن يهود الصين .
اما كتابه الذي اعتمدنا عليه فهو رحلته بعينها اسمه :

Eight Years in Asia and Africa From 1846-1855 by J. J.
Benjamins II From Foltischeny in The Moldavia.

واسعة النطاق مع البلاد الشاسعة ويزاحون الوطنيين والاجانب .

وقضل حالهم على سائر يهود المشرق وقال امهم يعيشون في رخاء . واطراً اخلافهم
وآدابهم وضيافتهم الغريب وقد غالى في معرفتهم العالم حتى افضى به غلوه الى ان ازلهم
موتلة اعرق الشعوب الاوربية في الحضارة .

وما قاله ان ثلاثة ربانيين قلدوا سلطة القضاء ويدعونهم « جانيم » رأس القضاة
الراب يعقوب بن يوسف يعقوب ومعه الراب ايلياهو غونديا والراب عبدالله . ولا
يحق لهذه المحكمة انزال القصاص باحد بل انما ذلك من حقوق رئيس الحاخامين
(حاخام باشي) الذي يعينه الباب العالي لهذا المنصب ويمثل الجماعة امام الحكومة .
ويجمع لها الخراج (الخزينة) من شعبه .

ويساعد رئيس الحاخامين في ادارة الشعب اعضاء من وجوه القوم (المجلس المالي)
وكان يدير هذا المجلس يومئذ رابي رفايل كلين Kassin الحلي وكان له وجادة خاصة
عند الوالي وقد سمح له بان يحرسه اربعة حراس (قواويس) حتى اذا خرج تقدمه
حرسه على الخيل .

ورأس الجماعة بعد رئيس الحاخامين الثامن وكان يتولى هذا المقام حتى ١٨٤٩ او ١٨٥٠
الراب يوسف موسى روين . والناسي نفوذ عظيم على جماعة وعلى غيرها من الجماعات .
وقال ان التعليم الديني راق . وعندهم مدرسة دينية فيها ستون طالباً يتولى رئاستها
رابي عبدالله بن ابراهيم سوميخ ويقوم بهذا العمل مجانياً لانه غني وله بيت تجاري
مهم وقد اودع اعماله شريكاً له وخص نفسه بهذا العمل البار .

للإهود تسعة كنيس في بغداد ثمانية منها في محلة واحدة والتاسع وهو كنيس الشيخ
اسحق الفاووني .

وجاء رحلتنا بعد ذلك على وصف حياة قومه اليومية ولا سيما بعد ظهر الجمعة ويوم
السبت وأطراً تمسكهم بدينهم . وكان في مدة إقامته في بغداد ضيقاً لعبد العزيز بن
عبد النابوي .

وانتقد الزواج المتكرر عند بني قومه هنا وبين مضاره للزوجين وعجب كل
الغريب من زواج البنات في الثامنة أو العاشرة من عمرهن . وقال إذا بلغت الابنة
الخامسة عشرة من سنّها لا يرحى زواجها بعد ذلك . وقال إن الثيبات لا تصيب لمن من
الزواج ثانية . وفي الطائفة اليهودية ٤٠٠ أو ٥٠٠ نيب . وجاء على وصف حفلة الزواج
عند الإهود (١)

وقال إن في الحلة خمسين بيتاً من الإهود وأن الثاني هناك المعلم مردخاي ، والجماعة
كنيس واحد ، (٢) وزار الكفل والعزير وسنخلص وصفه لطيف المزارين اليهوديين
في الفصل المذكور للمأهدين الدينية .

وفي رحلته فؤاد عن يهود الموصل . جاء فيها أن في هذا البلد ٤٥٠ بيتاً ولا يحق
لهم الشكوى من حالهم فإن كثيرين منهم يتعاملون بحارة واسعة وأن كنيسهم فسيع .
ولهم ثلاثة ربانيين كلهم من أسرة رساني والاهلون جاعلون وعندهم مدرسة دينية

(١) راجع رحلته المار ذكرها من صفحة ١٤٠ إلى ١٥٣ (٢) الرحلة عينها

يدرس فيها مردخاي ابن الحاخام داود أحد أسياء الصيرفي اسحق زلم .

وطاف بنيامين الثاني في البلاد الكردية كاربيل وراوندوز وكركوك وذكر شيئاً
عن أحوال بني قومه هناك وملاحظته أنه رأى لجهلهم بأمور دينهم وندب حالهم الاجتماعية
وما يقاسونه من الخيف والجور من سكان البلاد .

وآخر ما زار من مدن العراق البصرة وقال إن فهم الخمسين بيتاً من الإهود وكان
عددهم قبل عشرين سنة من زيارته ثلاثة آلاف بيت . ولا يخفى على القارئ مغالاة
سأحنا في هذا العدد إذ إن السياح الذين زاروا البصرة قبله لم يذكروا شيئاً عن هذا
العدد الكبير من الإهود . وكان عدد سكان هذه المدينة في أوائل القرن التاسع عشر
منحطاً .



إن الطوائف في الدولة جزء من الكل . فإذا سارت الدولة في طريق الحضارة
والعمران أخذت الطوائف نصيبها من تلك النهضة وفقاً لظرفها واستعدادها ومزاجها
في المجتمع . وإن للتدابير التي تضعها الدولة نفوذاً على مقدرات شعوبها وجامعاتها . فإن
قامت على أسس العدالة والمساواة والحرية رعت تلك الجامعات في بحوثة العزة والرخاء
وبذات الجهود في سبيل الرقي والمدنية . وجرت شوطاً كبيراً في ميدان الأعمال .
ومن ذلك لما فكرت الحكومة التركية في إصلاح نظامها وقوانينها وشؤون إدارتها نال
اليهود شيئاً كثيراً من الراحة والثناء في بلاد العراق . وكان أول من فكر في هذا
الإصلاح السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ - ١٧٨٩ م) . غير أن ما أتاه السلطان

محمود من اعادة الانكشارية سنة ١٨٢٩ كان من اكبر الخطوات في سبيل الاصلاح وتنظيم الادارة فان هذه الفرقة كانت قد تسيطر على المملكة وانت اعمالاً رزح تحت ثقلها سكان البلاد على طول المملكة وعرضها . ولم يستثن العراق من ظلم الانكشارية بل كانوا كثيراً ما يحرقون بمقوق الاهلين هنا ويبرزون اموالهم ولا سيما اموال اليهود والنصارى وقد وقفنا على حادثة مدونة ترتقي الى اوائل القرن التاسع عشر (١٨٠٢) وهي ان الانكشارية جاروا في بغداد على هاتين الطائفتين في اليوم الرابع والخامس والسادس من ايلول تلك السنة (١) بطلهم منهم دراهم تحت ستار ظلام الليل .

ولم يفت احادح الاتراك مملكتهم عندهذا الحد بل لما جلس ان السلطان عبدالمجيد على اريكه اجداده ورأى ان القوانين والنظامات المرعية في البلاد لا توافق روح الزمان وسير الحضارة والعمران تلا في ٣ نوفمبر ١٨٣٩ على مسمع من كبار الموظفين وممثلي الدول ذلك المرسوم الشهير المعروف بـ (خطي شريف كلخانة) وفيه من مراعي الاصلاح وصيانة الحرية الشخصية واحترام الملكية والمساواة ونظام ادارة الجماعات غير المسلمة وغير ذلك مما لامس البلاد وبث في القوم روح الرقي وان لم يعمل بكل ما حواه ذلك المرسوم الشهير .

واصدر السلطان عبدالمجيد سنة ١٨٥٦ م مرسوماً آخر لا يقل اهمية عن خط كلخانة وهو فرمان الاصلاحات او كما يسميه الاوربيون في كتبهم خط هايون

(١) راجع بجله لغة العرب آب ١٩١٤ ص ٨٠

لسنة ١٨٥٦ م (١٢٧٢ هجيرة) وقد جاء في هذا المرسوم (فرمان) نصوص جليلة في حقوق النصارى واليهود وادارة شؤونهم الشخصية وسلطة رؤسائهم الدينية وتدير مؤسساتهم ومساواتهم في الحقوق العامة مع جميع سكان البلاد . واحكام عادلة في حرية الدين والمذهب باي دين ومذهب كان (١)

وفي سنة ١٨٦٥ أسست جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة عامرة في بغداد عهدت رئاستها الى رجل خبير بفن التدريس وهو السيو ما كن عشارفة اسحق لوريون الساعاني ونظمت منجها على مثال المدارس الابتدائية الاوربية وادخلت فيها تعليم الفرنسية والانكليزية عن اللغات الاوربية والعبرية والعربية والتركية من اللغات الشرقية . والتاريخ والجغرافية والحساب والطبيعات وعلم الاشياء والكيمياء من العلوم الحديثة . واخذت هذه المدرسة بالتوسع ولا سيما بعد ان شيد لها داراً عامرة السربيرت داود ساسون . وما زالت ترتقي هذه المدرسة بالمساعي التي بذلتها جمعية الاتحاد الاسرائيلي في باريس والجمعية الانكليزية اليهودية في لندن والجمعية اليهودية في بغداد . فكان المديرون والاعلمون يأتون من باريس ولندن للتعليم فيها . وازاتها الحكومة التركية منزلة المدارس الثانوية او الاعدادية على تعبير الاتراك .

وقد حبس لها الاوقاف اهل الخير من يهود بغداد ولا سيما الطليعة المذكور رفقة نورائيل وانشا فيها قسماً مناجيم افندي دانيال .

ونخرج في هذه المدرسة معظم رجال اليهود في بغداد ويهدوا فيها قزلوا معترك

(١) احمد راجم : عثمانى تاريخي المجلد الرابع الصفحة ٤٨٨ : الفائدة ١٩١

الحياة واقادوا البلاد بمجدهم واجتهادهم ولا سيما بالمساعي التي بذلوها في توسيع نطاق التجارة مع اوربة واميركة وبلاد الشرق كالمند والصين ويران .

وفتحت هذه المدرسة ابوابها لغير اليهود ايضاً ودرس فيها غير واحد من المسلمين والمسيحيين . واذ كنت (المؤلف) من المسيحيين الذين درسوا في هذه المدرسة في غضون خمس سنوات ١٨٩٨ - ١٩٠٢ في عهد مديرية الموسيودانو والموسيوسياح وجب علي بسائق الاقرار بالجميل ان اشكر العناية التي بذلها المديران الموما اليها والمعلمون قاطبة واذكر الوداد الذي اظهره لي رفقاائي التلامذة .

وفي سنة ١٨٩٣ انشئت جمعية الاتحاد الاسرائيلي مدرسة تهذيب البنات . ولم يقف اهتمام الجمعية الاتحاد الاسرائيلي تهذيب يهود بغداد في العراق وحدها بل اشها الشات سنة ١٩٠٣ مدرسة في البصرة وفي سنة ١٩٠٧ في الحلة وفي سنة ١٩٠٧ في الموصل وفي العامرة سنة ١٩١٠ .

وقصادي القول ان نوراً مهيئاً شرق على يهود العراق من تلك المعاهد العالمية التي اسستها جمعية الاتحاد الاسرائيلي في بلدان قطرنا المحبوب فاستوجبت شكر ان هذه الطائفة من رجال ونساء .

ومن ولاية بغداد الذين افادوا اليهود في العراق مدحت باشا ابو الاحرار . نزل بغداد سنة ١٢٨٥ هجرية (١٨٦٨ م) وبث فيها روح المساواة والحرية والعدالة . ونشط الاعمال الاقتصادية .

وكان لفتح ترعة السويس (١٨٦٩) شأن في امتداد تجارة العراق . فطمحت

بمد ذلك انظار يهود العراق الى فتح بيوت تجارية في اوربة ولا سيما في مايجستر ومرسيلية.

ولما فتح مجلس المبعوثين سنة ١٨٧٦ انتخب من يهود بغداد مشاهير افندي دانيال عضواً فسافر الى الاستانة وحضر جلساته .

وكان اليهود عائشين في حرية ولم يكدر صفاء حياتهم منذ ولاية مدحت باشا الا حادث واحد في سنة ١٨٨٩ م في عهد ولاية مصطفى عاصم باشا وهو حادث دفن الربان عبد الله سوميخ فان الطائفة ارادت دفنه في مقبرة يهوشوع كودين كادول (نبي يوشع) ودفنته هناك بابهة عظيمة الا ان هذا الامر لم يرق في عيون سكان بغداد من العامة لانهم كانوا يدعون لك هذا المقام . فاستفحل الامر وخيفت عاقبته فاضطر القوم الى نقل رفات فقيدهم من مرقدده الى مكان آخر . والحق يقال ان عقلاء المسلمين وكبارهم توسطوا في الامر وسكنوا العامة فلم يحدث ما كان يحاذرون منه وهذه ميزة مسلمي العراق فانهم كانوا في كل حين يظهررون بهذا المظهر من الشتم مع اليهود والمسيحيين في المواقف الخرجة في زمن لم تكن البلاد قد تعودت مبادئ المساواة والديمقراطية .

ومن الولاة العثمانيين الذين بذكروهم اليهود باطبيب الاحاديث المشير رجب باشا . فانه كان قائد الجيش ووالي الولاية . واظهر من التساؤل والحلم والحرية ما سر له القوم كل السرور . وكان من اخص اصدقائه المعلم جاحظ نسيم .

وقابل اليهود اعلانات الحكومة الدستورية في الدولة العثمانية سنة ١٩٠٨



مضرة مناهيم افندي صالح دانيال
رئيس عائلة آل دانيال الشهيرة في بغداد

هتاف الترحيب والفرح وقاموا بمظاهرات الارتياح. الا ان دعاة الرجعية حركوا العامة فحدثت فتنة في بغداد على اليهود في ١٧ رمضان من تلك السنة دامت بضع ساعات فحقنوا اعيان المدينة في مهدها ولم تتركها الحكومة لتستفحل.

ان نظام الشورى في المملكة العثمانية والتفني بالحريّة اثر على يهود العراق وعلى افكارهم ومبادئهم فاستقلوا نفوذ ربانهم عليهم من حيث الامور المدنية وقاوموهم في مسألة الضرائب التي يتقاضونها من ذبح الغنم في اسواقهم (١) والقب فربق منهم جمعية واتشاورا لها نادياً الا ان تلك الحركة ماتت في مهبط فولتها لانها لم توافق منفعة الجماعة وانتخب ساسون افندي حاخام حسيقل لمجلس المبعوثين الذي عقد في عاصمة آل عثمان بعد اعلان الدستور. وتجدد انتخابه في دورات المجلس جميعها الى الحرب العامة. وكان ساسون افندي قد تقلب في مناصب الحكومة قبل الدستور وله خدمات جليلة. وتعين في زمن كان مبعوثاً مستشاراً لوزارة التجارة في الحكومة العثمانية.

وبقي اسم ناظم باشا والي بغداد وقائد فيلقها حياً في ذاكرة يهود العراق لما لاقى القوم في ايامه من الحرية وحسن المعاملة ولهذا لما عزلته الحكومة العثمانية المركزية حزنت هذه الجماعة كل الحزن وانفذت البرقيات الى الاستانة تطلب بقاءه

(١) تتقاضى ادارة الربانيين في العراق ضريبة على اللحم الذي يباع في اسواق اليهود وتخصص هذه الضريبة بمنفعة الجماعة. وهذه عادة قديمة عند يهود العراق ذكرها ابن الاثير في حوادث سنة ٤٢١ هجرية (في الجزء التاسع الصحيفة ١٥٣١ من الكامل)

في منصبه فلم تحب الحكومة ملتصقاً بها.

وقد قام بين هذه الجماعة رجال خير نادوا بالمعاد الخيرية. منهم مشير الياقوت شيد المستشفى الاسرائيلي الواقع قبالة نكنة الخيالة. وشيد السر اليعزر خضوري مكتب الاناث الاسرائيليات وهو بناء فخيم وكانت الانتهاء من تشييده سنة ١٩١١ فاقبمت حفلة تذكينية في ١٤ تشرين الثاني من تلك السنة. وحضرها احمد جمال بك (جمال باشا بعد ذلك) واغلب موظفي العسكرية والملكية والوجاهة وانفق عليه ثمانية واحداً وعشرين الف ليرة عثمانية وجعل البناء على اسم قريبته لورا خضوري.

ولما شبت الحرب العامة سنة ١٩١٤ لاقى هذه الجماعة من الجور والحيف ما يشيب له الرضعان في النهدي جزعاً. ولا سيما في عهد قيادة نور الدين فانه نقي عدداً من وجوههم ووجوه النصارى وبعض المسلمين العرب الى الموصل وكان في نيته ان يبعثهم الى درسم ويلحق بهم قوافل اخرى ولكن حالت دون رغبته بعض الاسباب.

واشتدت الازمة على اليهود في اخريات الحرب وكان يضيق معسكرو الوالي فائق ومدير الشرطة سعد الدين الخلفاء عليهم كل ما هبط سعر الاوراق المالية التركية وينسبان هذا الهبوط اليهم والى تلاحهم اسعره. واجبرت الحكومة التجار على ان يبدلوا الليرة الورقية بالذهب وعينت مقداراً على كل تاجر في كل شهر.

وقبضت الحكومة قبيل احتلال بغداد على عدد من اليهود ونكلت بهم سراً تنكيلاً شنيعاً وجذعت انوفهم وقطعت آذانهم وحملت عيونهم ثم وضعهم في اكياس

مهما كان من ظلم الأتراك لليهود في أبات الحرب فإن هؤلاء استفادوا من تجارتهم فائدة عظيمة وأرى كثيرون منهم لأن مقاليد تجارة العراق بيدهم وكانت مخازنهم مشحونة بضائع فارتفعت الأسعار (١)

وأسس اليهود في عهد الأتراك مطبعتين الواحدة قديمة العهد وهي مطبعة بيخور والثانية أنشئت بعد الدستور وهي « مطبعة دنكور »

وقد سبقنا وبحسنا عن إدارة الطائفة نقلاً عن بنيامين الثاني ص ٠٠٠ . وقلنا أن لها مجلسين مجلس روحاني « بيت دين » أي بيت قضاء ومجلس جسماني (مجلس ملي) يؤلف بطريقة الانتخاب . ومدرسة دينية يخرجون فيها الرابون . وعندهم عدد كبير من الكتائب تدرس فيها اللغة العبرية والكتاب المقدس والحساب .

ولهم مستوصف وصيدلية (رفوا) ولجان عديدة لجنة المدارس ولجنة الفقراء وغير ذلك .



يهود اليوم

في الاحتلال البريطاني والحكومة العراقية العربية

شبه أحد كتبة الإنكليز دخول القائد العام مود بغداد في ١١ آذار سنة ١٩١٧ بدخول كورش بابل . فإن الأهلين استقبلوا الفاتحين بالتمليل والترحيب (١) إذا اعتبروها منقذين . أنى الأول بابل فخفت آلام الشعوب التي كانت ترزح تحت حكم السلاطنة العاشرة من ملوك الكلدان أو الدولة البابلية الجديدة . وجاء الثاني بحبوشة الحرارة لما كان العراقيون قد استأثروا من معاملة الأتراك ولا سيما في أخريات أيامهم إذ كانوا يرمون إلى الأجحاف بالعناصر المختلفة العائشة تحت سيطرتهم . وقد تجلت وحدة العراقيين القومية على اختلاف أديانهم وتباين مذاهبهم بأسمى مظاهرها في تلك المواقف المصيبة . ولا عجب في الأمر فإن العراقيين عاشوا قروناً متحدتين متحابين لا تفصلهم فواصل الدين إلا في فترات قصيرة لا يعمدها وفي أزمنة ساد فيها الجهل .

إن احتلال البريطانيين العراق نشط بأدى بدء الوسائل الاقتصادية فربح الناس أموالاً طائلة وإذا كان معظم التجارة بيد اليهود أرى كثيرون منهم . وقد أسهبنا في البحث عن العوامل التي نشطت التجارة في كتابنا تجارة العراق فلا نرجع إليها الآن . لم يحدث في عهد الاحتلال البريطاني حوادث مهمة تخص اليهود إلا ما ذكرناه .

(١) راجع R. C. Thompson : History and Antiquities of Mesopotamia 29

(١) راجع كتابنا تجارة العراق قديماً وحديثاً ص ١١٤ وما بعدها

| | ١٩٢٢ | ١٩٢١ |
|-----------------|------|------|
| المدارس الاهلية | ٣٨٥٣ | ٣٨٨٨ |
| المدارس الربحية | ٥٩٢ | ٤٢٨ |
| | ٤٤٤٥ | ٤٣١٦ |

المجموع

تنبيه — أن الفرق الظاهر بين عدد التلاميذ الاسرائيليين في تقرير وزارة المعارف للعراق وتقرير لجنة مشاركة المدارس الاسرائيلية ببغداد ناشئ من أن وزارة المعارف لا تعتبر بين المدارس الابتدائية مدرسة الاطفال والفان ودارون صالح ورفقة نورثيل وغيرهما . وبسرنا في هذا المقام ان تذكر تبرع الخواجة اليا شحمون لبناء مدرسة التعاون وان مناحيم افندي دانيال يقوم بنفقات مدرسة الفان . وعلى ذكر رجال الخير من الشعب اليهودي العراقي لا يحق لنا ان نسكت عن اربحية الخواجا كورجي شطوب الذي تبرع وشيد بعة في البصرة . للارمن الكاثوليك احياء لذكر امرأته التي كانت على الدين المسيحي في حياتها وموتها فتلك مآثرة تسطر في التاريخ كادوت أخبار السموات ووفاته .

لم يحدث في تاريخ يهود العراق في هذه الحقبة حادث جليل الا تعيين معالي سامون افندي حاخام حننيل وزيراً للمالية في حكومة العراق الوقتية التي تآلفت في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٠ ثم تجدد تعيينه في كل من الوزارات التي عقيبت تبوء جلاله الملك فيصل عرش حكومة العراق حتى ١٤ تشرين الثاني ١٩٢٣ وفي غضون هذه السنة انعم عليه جلاله ملك بريطانيا بـ K. B. E. فاصبح يتقلده هذا

الوسام السير ساسون حسيقل . Sir Sassoon Heskell وقلة المندوب السامي
السر هنري دوبيس الوسام في ٤ كانون الاول في حفلة كشف الستار عن تمثال
القائد العام الجنرال مود .

ومن اجل الحوادث التي يدونها المؤرخ في تاريخ يهود العراق هي تلك الحفلة
الشائقة الفذة في بابها التي اقامها جماعة اليهود في بغداد رحيباً بمو الأمير فيصل قبل
ان يبايعه العراقيون الملك . اقامت الجماعة ذلك المهرجان في ١٨ تموز ١٩٢١ وحضره
سمو ضيفنا بالامس وجلالة ملكنا اليوم واشترك بتلك المظاهر اعيان العراق وعلمائوه
وادباؤه على اختلاف نحلهم وتباين ملهمهم والقيت فيها خطب الترحيب لجلالة ملكنا
فيصل الاول وابدع خطبة تليت هناك خطبة جلالاته . جاء فيها من المبادئ الديمقراطية
آيات بينات ومن الفاظ الحرية ماسحج القلوب وخبب الالباب ومن مواعيد المساواة
ما كان الندي من زلال الماء على الافئدة ، ومن روح التساهل ما رقص له القوم وطربوا .
ثم جاء الاسرائيليون بالنوراة مكتوبة على درج من الرق مصونة في غلاف من ذهب
فلثمها جلالاته .

بعد ان بلغنا في تاريخ اليهود الى يومنا هذا علينا ان نرصد كلمة عن امر
صفوة القوم فقد جاء في كتاب عنوانه الجند في بيان احوال بغداد والبصرة ونجد
تأليف السيد ابراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري سنة ١٢٨٦ هجرية من ٢٢٠
وهو كتاب خط : ان من بيوت يهود بغداد القديمة من ذوي التجارة والرئاسة على



صاحب المعالي وزير المالية الحالي
مضرة السر ساسون هنري

قومهم . بيت عزرة صراف باشي ، وبقى منهم البعض . وممن بوضه السومنج . بيت
 ساسون . بيت ابي قبلاغ . بيت بحر . بيت الكرجي « انتهى » كلام الحيدري .
 ومن مشايير بيوتات يهود بغداد اليوم أسرة دانيال وأسرة خاخام حـ . قميل وبيت المعلم
 الياحوي وأسرة ذلوف وأسرة شلومو داود وأسرة اسحق ، وطوبوق ، طاي وبيخور وشماش .
 وبين هذه الجماعة رجال من كل الطبقات والمهن بينهم التاجر والصيرفي والدلال
 والمحامي والطبيب ومن موظفي الحكومة الزير والمضوي في المحاكم العلية ومجالس
 الادارة وغير ذلك ومن اهل الصنائع الحداد والتجار والبناء والاسكاني وقصاري القول
 ان يهود العراق يتعاملون كل المهن الا انك لا تجد منهم من حملة الاقلام واصحاب المحلات
 والجراند وسبب ذلك ان اليهودي يرمي الى ما به نفعه وسوق التأليف والكتابة كسادة
 في ديارنا فانهم في هذا الباب يتبعون المثل اللاتيني القائل عش اولاً ثم تفلسف .
 وآخر حسنة اعدوا لليهود العراق انهم يشعرون بان البلاد وطنهم وبأن الحكومة
 العربية العراقية هي الحكومة التي يحبب عليهم معاضدتها ويتوقون ان يروها عززة الجانب
 ثابتة الاركان .

وفوق ذلك كله يبذلون ما في وسعهم كالمسيحيين ليعيشوا مع ابناء وطنهم المسلمين
 في الاخاء الوطني ويحافظوا على تلك الصلات الجميلة والعلاقات المتينة التي جمعت العراقيين
 في كل قرن جامعة الوداد والولاء . فالعراق يفتخر بهذه الوحدة الوطنية وتسمى
 كل محبة وملة لتكون هذه الوحدة متينة العرى بمجدولة القوى .





مرفق المزير على نهر دجل

المزارات الدينية اليهودية

في
العراق

للإهود في العراق امكئة مقدسة قديمة يؤمها أهل التقي من هذه الجماعة من اطراف
العراق وكردستان وبلاد فارس لزيارة والتبرك وطلب شفاعة الانبياء والصالحين
من ياتر التقليد مدافهم في هذه المعاهد . وأشهر مزارات اليهود في العراق ١ :
قبر عزرا الكاهن ٢ : مدفن حزقيا النبي او السكفل ٣ : مرقديوشع كوهين كادول
٤ : مرقد الشيخ اسحق الفاووني ٥ : قبر ناحوم الألقوشي .

١ قبر عزرا الكاتب او العزيز

يقوم هذا المعهد الديني اليهودي في بقعة من الارض على عدوة دجلة اليمنى بين
القرنة والعارية على مقربة اثنين وعشرين ميلا من ملتقى الرافدين حيث تكثر
المستنقعات وتتوفر القصبات والحلفاء . هناك في تلك الخلوة البعيدة عن ضجيج الناس
وقلاقل المدن . هناك حيث يسود السكون والهدوء تجري دجلة متعرجة وعلوية
حاملة بين امواج مياهها من ذكرى التاريخ ابدعها ومن عبر الايام اوقعها في النفوس .
هناك تجعل تقاليد اليهود والعراق مرقد عزرا الكاتب : كاتب التوراة ورائد بني اسرائيل
في رجوعهم الى مسقط راسهم وبيت عزهم وقدس اقداسهم . ويحيط بالمقام اشجار
التخل الباسقة التي تهدي آيات السلام وشعار الاحترام

اختلف لغات المؤرخين في مدفن هذا الرجل الامام ومحل وفاته فمنهم من قال انه دفن في عورنا من اعمال نابلس (١) ومنهم من قال انه قبر في زمزومو (Zamzu) في اسفل دجلة بينما كان مسافراً الى بلاد فارس (٢) واثبت غيرهم انه لحد في اورشليم (٣) وربما كانت هذه الرواية على شيء من الصحة . الا ان تقليد اليهود في العراق وبنوآر روايات المؤرخين والرحالين من غيرهم يعتبر ان مدفنه في العراق حيث يزوره بنو قومه .

اما نحن فلا نبت في هذه المسئلة التاريخية المتوغلة في القدم بل ندع الاهتمام بها الى الآخرين الاختصاصيين والمنقبين الباحثين اذ ربما يتوصل واحد منهم الى اماطة اللثام عن هذه الحقيقة التاريخية الكتابية وجل قصدنا في كتابة هذا الفصل ان ننقل اقدم النصوص الواردة في كتب التاريخ عن المزار العراقي اليهودي ووصفه .

ان ياقوت ذكر مدفن عزرا في اعمال نابلس على مامر بك بيد انه ذكره ايضاً في محله في اعمال بصرة العراق في موضعين من معجم البلدان في ما دني ميسان ومهر مبرة واليك ما جاء عنه في كل منهما :

جاء في مادة ميسان : « اسم كورة واسعة كثيرة القرى والنخل بين البصرة وواسط قصبتها ميسان . . . وفي هذه الكورة قرية فيها قبر عزرا النبي عليه السلام مشهور معمور يقوم بخدمة اليهود ولهم عليه وقوف وتأتيه الندور وانا رأيته »

(١) معجم البلدان مادة عورنا (٢) Sir E. A. Wallis Budge: By Nile and Tigris, vol I, P. 17 (٣) يوسفوس. كتاب العاديات الفصل الحادي عشر العدد الخامس

وجاء في مادة مهر سمرة : « قرية فيها قبر العزيز النبي عليه السلام في ارض ميسان » وقد ذكر القزويني (١) من رجال القرن الثالث عشر المسيح مشهد عزيز النبي وهو بكرر كلام ياقوت بالحرف في كتابه آثار البلاد .

وقد زاره في القرن الحادي عشر الرحالة بنيامين التيطلي . وما يؤسف له ان في اخبار هذه الرحلة التي نشرها آشير قد سقط اسم المكان الموجود فيه هذا المزار فورد كلامه على هذه الصورة مبتوراً قال : « ان مدفن عزرا الكاهن والكاتب واقع في . . . حيث دهمه الحمام بينما كان مسافراً من اورشليم الى الملك ارنجششتا وحيث يأتي اليهود للصلاة ايام الاعياد (٢) »

وقد ذكر هذا المزار يهوذا الحريزي الذي زاره في اوائل القرن الثالث عشر وقال عنه في رحلته التي بدأها سنة ١٣١٧ م في الفصل الخامس والدلائل منها ما ملخص تعريبه : انه غادر بلاد اسبانية وسافر في البحر وكانت قبائله بلاد الكادان قرب شونين وعلى مقربة منها موضع يدعى سمدا (وربما صحبهم سمرة) والبرية ادرا (٣) فملى

(١) اطلب طبعة غوتنجن سنة ١٨٤٨ (ص ١٣٠)

(٢) راجع M. Edouard Charon: Voyageurs Anciens et Modernes. II. 188

(٣) اعتماداً على هذا النص نشر حضرة الاب الستاس الكرمل في فصل ١٨ كانون الثاني ١٩٢٠ في وضعية دارالسلام البغدادية رجع فيه توحيد مهر سمرا ومهر ادرا الوارد ذكره في سفر عزرا (٨ : ١٥ و ٢١ و ٣١) خطأ رأي من سبقه من العلماء الكتابيين في موضع ادرا . او مهر ادرا .

بعد ثلاثة فرائخ من هذا المكان تقريباً قبر عزرا الموجود منذ عهد الأول أي منذ
بناء الهيكل الثاني الحوالب سنة الألف من الأسم . وكان بعد انقضاء هذا العهد العهد
عبارة عن كومة اطلال . ولم تسمح تلك الدوارس لرائها الوقوف على شيء من ذلك
الأثر . وقد علمنا من أناس كثيرين أنه منذ ١٦٠ سنة أوحى إلى أحد الرعاة موضع
رسم هذا الملك الإلهي وتكررت هذه الرؤيا ثلاث أو أربع مرات . وقد أبدى قدرته
بشفاء عين الراعي فأعاد إليه بصره . وعلى أثر ذلك دعا الراعي سكان تلك البقعة
وروي لهم حلمه وعين المكان الذي فيه القبر وتأيداً لصحة مروياته قص عليهم خبر
شفائه العجيب . وعندما ألح عليهم كل الإلحاح حفروا الأرض فوجدوا صندوقاً من
حديد محفوظاً في تابوت آخر مسدود ومختوم وفيه كتابة لم يتمكن من قرائتها
القوم . فتقدم أحد علماء اليهود وفك طلسمها وقرأ فيها اسم عزرا واسماء أجداده
إلى هرون الكاهن العظيم . وكانت تشاهد أحياناً أنوار فوق ذلك القبر المحتاط بقيوم
سبعة صالحين آخرين . وقد حاول كثيرون من الدهريين أن يتخذوا تلك المعجزة
حادثة غريبة من الحوادث الجيولوجية أو يثبتوها انفجاراً أرضياً منبعثاً من أعماق أو
ينبوع قطران تشتد ناره ليلاً (١) . وقد شاهدت هذه المعجزة بعيني وسجدت
إمام هذا المظهر من مظاهر العناية الإلهية (٢) .

(١) أشار الكاتب إلى النار النائية التي بدعوها الفرنسيون (feu follet) وتشاهد في
المستنقعات والمقابر وقد ضل كثيرون في تعليلها فأنزلوها منزلة المعجزة وما هي إلا من
مظاهر الطبيعة (٢) راجع Archives de l' Orient Latin, I, 237

وقد وصفه ريج (Rich) (١) في بدء القرن التاسع عشر وحفاً دقيقاً قال :
« هو بناء يشبه جامعاً يقوم على لسان بارز في النهر . وقد نشأ هذا المبان من دورة
تدورها دجلة هناك حيث تلتوي كل الالتواء . وقد التف حول المكان عدد من
الاعراب يسكنون قرية بيوتها من القصب . وموقعه في الجانب الأيمن من النهر
محاط بجدار وحصون والقبة مغطاة بالجر الأخضر مطلي بدهان الخريف (يريد الواصف
بهذا الجدر القاشاني المشهور في العراق) يعلوها زينة من نحاس أصفر تمل كفاً
مفتوحاً تحيط به أشعة جلال . وبعد أن جزنا الباب رأينا ساحة دار صغيرة ثم بلغنا
قاعة فسيحة مظلمة فيها طيقتان تسندها كوم مربعة من الآجر (أي عمدة مربعة
من الآجر) بحرمة من كل زينة . ومن هنا جزنا باباً منخفضاً أفضى بنا إلى غرفة
مردع فيها من هو موضوع احترام اليهود الديني . إن سقف الغرفة معقود وفيها نوافذ
صغيرة مشبكة بالحديد مرتفعة كل الارتفاع . والغرفة مبلطة بالجر الأبيض والأخضر
مرصوفاً رصفاً متناوباً . وفي روضة صغيرة قنديل موقد .

« يقوم القبر في منتصف الغرفة وهو مستطيل الشكل منحرف السطح معمول
من الخشب ومسجى بمخمل أخضر وطوله ٨ أقدام وعرضه ٤ أقدام وارتفاعه
٦ أقدام وبينه وبين كل طرف من أطراف الغرفة ٣ أقدام . وكانت زواياه وأعلاه
مزدانة بكري كبيرة من النحاس الأصفر المذهب . وقد أخبرنا الأعرابي الذي طوفنا

(١) إن المستر ريج (Rich) كان قنصلاً إنكليزياً في بغداد سنة ١٨٠٨ راجع
كتابه : Residence in Koordistan, II, p. 389

ان الذي اقام البناء الحاضر قبل نحو ثلاثين سنة هو خوف يعقوب Khoph Yacoub
(ربما اراد الكاتب ان يقول خوجه يعقوب او خليفة يعقوب) ، (١)

ولا يحلو من فائدة ذكر الوصف الذي وصفه به الرحالة بنيامين الثاني قال :
« وبعد انحدار ثلاثة ايام في دجلة يقوم على عدوة الهر بناء مربع في منتصف فلاة
فيه قبر العزيز ويحيط بالبناء بعض دور صغيرة . واما البناء عينه فتؤلف من غرفتين
كبيرتين متناوذتين تخص الاولى منهما المسلمين والثانية مع القبر لليهود . وهناك عثمة
خالكة يقاطعها نور ضئيل يأتي من الباب . وفيها مصطبة طولها ١٩ قدماً وعلوها
عشر اقدام وعرضها ست اقدام . وعلى اطرافها الاربعة كتابة لا تقرأ اليوم
وهي مسجاة بقماش ثمين مزركش ومجلى بالذهب . ويزوق الغرفة زين كثيرة
نقية ولا يجنى ثباتاً على سلامة تلك الكسوز وان كان موقع المزار في وسط بيداء
يحيط بها عشار البدو . . . وقد كان قبر عزرا موضوع بحثي وتنقيري اذ ان الكتاب
لا يذكر موته ولا محل دفنه فخامرني شك في حقيقة هذا الحدث الا اني رغماً عن ذلك
تأكدت الامر من مطالعتي كتاب « سدر هدروث » وغيره من الكتب التاريخية . »

(١) قد مر في ص ١٦٥ من هذا الكتاب ان ريج سمي هذا الرجل خوف
يعقوب . الا انني وقفت على رجل اشهر بين يهود البصرة . يسمى يعقوب هرون
وجد في اثناء حرب الابرانيين والأتراك سنة ٥٥٣٢ هجرية . صار صيرفياً
لسليمان باشا في بغداد فمن المحتمل ان يكون هو الذي عنده ريج .

ان كتاب « سدر هدروث » لا يصرح بموضع الدفن ولهذا تمكت بالتقليد اذ
لم اقف على شيء اصح منه بعد البحث المدقق فيه .

« ويحتفل جماعة من يهود بغداد والبصرة بعيد الاسابيع (شبعوت) عند قبر
عزرا فيشتركون بالحفلات التقوية . ويعرف العرب غاية تلك الزيارات ولا يقيمون
عقبات في سبيلها » (١) (انتهى) .

وقد زرت (كاتب هذه المقالة) هذا المرقد سنة ١٨٩٣ فكانت ترد اليه جماعات
اليهود من كل اطراف العراق للتعظيم بثرى رفات الراقد الصالح وزيارة ضريحه في
عيد الاسابيع فيدخلون غرفة الحدث وهم حفاة حرمة للمكان ويوقدون فتاديل
اكراماً للمدفون هناك ويطوف القيم الزائرين فينفجونه بحلوان . ومن اقسام البناء
دار قوراء فيها غرف عديدة لضيافة زائري المكان من اليهود والمسلمين فيها مدة
اقامتهم هناك . وقد نكب بعد زيارتي المذكورة ببضع سنوات زوار هذا المعهد نكبة
احزنت القوم اذ هوى قسم من بناء المنزل فوات عدد منهم تحت الردم ورضت اعضاء
غيرهم . ولكن جماعة اليهود جددت ذلك البناء واحكمت أسسه (٢)

وقد جرى حول هذا المعهد معارك بين البريطانيين والأتراك في ربيع سنة ١٩١٥
ولكنه لم يصب باذى بل غاية ما كان ان اليهود لم يتمكنوا من القيام بزيارة العزيز
كل مدة الحرب .

(١) راجع Sidney Mendelssohn: The Jews of Asia, p. 199-200

(٢) عن مذكري

ومن مقابلة كتابات الرحالين المختلفة على نوالي الاعوام يقف القراء على تطور ذلك البناء مع الزمان . وآخر وصف ننقل منه تنقفاً للقراء يظهر حالة المعبد في أيامه الاخيرة . والوصف المذكور نشر في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٧ في مجلة انكليزية (١) قال الكاتب : ان مساحة الغرفة تبلغ نحو ثلاثين قدماً مربعاً وجدرانها بيضاء مزينة بكتابات وتقوش عربية (٢) ملونة بالازرق الباهر والاصفر والاحمر مما يبهر النظر وارضها مبلطة بقطع من الرخام الملون وفي زواياها (اي زوايا القطع) مربعات صغيرة من الصخر الاسود او الرخام (٣) وفي وسطها القبر ، مساحته ٥ في ٧ في ١٥ قدماً . انتهى .

٢ مدفن النبي حزقيال او الكفل

على بعد عشرين ميلاً من جنوبي الحلة تشاهد قرية الكفل وفيها مدفن حزقيال النبي . واسمه عند العرب الكفل وورد ذكره في الفرقان « واذكر اسمعيل والبسع وذا الكفل وكل من الاخيار » (سورة ص) وفي الآية القائلة « واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين » (سورة الانبياء) . وقيل سمي الكفل لانه كفل شعب اسرائيل بالنجاة من امر البابليين .

(١) راجع Blacwood's Magazine, October 1917, P. 538

(٢) ان الصفة العربية ترجع الى النقوش فقط وكلمات الكلمتين ترجمة arabesques

(٣) ان بلاط الغرفة هو القاشاني الملون فليس هناك رخام ولا صخر كما توهمه الكاتب

اما قرية الكفل الحالية فيقال انها في موقع مدينة بلاشكر (Vologasias) التي اُبنيت اخذ ملوك البرثيين في اوائل النصرانية سنة ٩٠ بعد المسيح لاجل تجلاب التجارات والبضائع من اقاصي الهند والشام وآسية الصغرى . وغلب التقليد على ان هناك قبر حزقيال النبي وقد قال القديس ايفانوس ان قتل حزقيال كان على يد رئيس امة اليهود اذ اعتناظ من النبي بما كان يتدد به ثم دفن في المغارة التي دفن فيها سام وارخشاد من اجداد ابراهيم .

وكان العلماء والسياح في القرون الوسطى يشيرون الى قبره بين الفرات والخابور . قال بنيامين التيطيلي الذي زاره في القرن الثاني عشر ما ترجمته : يقوم كنيس النبي حزقيال الرافد بسلام على عدوة الفرات . في صدر الكنيس ستون برجاً والغرفة التي بين كل برج وناح من ذلك البروج اتخذت كنيساً . ويستقر في قناه اوسع واحد منها النابوس وهو مدفن حزقيال بن موسى السكوهيني . هذا الار مسقف بقبة عظيمة وبنافذة جميل كل اجمال شاده يهويكم ملك اليهود وال ٢٥٠٠ يهودي الذين رافقوه لما اطلق سراحه ابل مرو دح . وموقعه بين نهر الخابور ونهر آخر . ويقرأ على الجدار اسم يهويكم واسماء الذين كانوا معه وفي رأسها اسم الملك وفي آخرها اسم حزقيال .

يعتبر هذا المكان مقدساً حتى اليوم ويتردد اليه الناس من اقاصي البلاد للصلاة والدعاء ولا سيما في رأس السنة وفي عيد المكفارة وتقام هناك الافراح في تلك الايام ويقصد المكان رأس الجالوت ورؤساء مدارس بغداد . وقد تبلغ الجماعة عدداً عظيماً

حتى ان سكنهم الوقتي في ذلك المكان يمتد الى عشرين ميلاً في منبسط من الارض .
ويجذب الباعة العرب فيقيمون سوقاً هناك .

ويقرأ في يوم الكسفارة فصول من اسفار موسى الخمسة وذلك في كتاب خط
كبير كتبه حزقيال بيده .

ويوقد قنديل على قبر النبي ليلاً ونهاراً ولا يزال ذلك القنديل متقدماً منذ ان وقده
بيده اول مرة وتبدل القنائل والزيت كل ما دعت اليه الحاجة .

هناك دار تعود الى المعبد تضم بين احوائها مجموعة من الكتب كثيرة العدد
منها قديمة ترتقي الى عهد الهيكل الثاني ومنها تمتدى ذلك التاريخ وتتصل بزمن الهيكل
الاول وقد جرت العادة ان من يموت بلا عقب يوقف كتبه على المعبد ولا يجسر
احد من اليهود او من المسلمين ان يساب مرقد حزقيال او يدسه حتى في ايام الحرب .

وقد ورد ذكر هذا المزار في معجم البلدان في مادة بر ملاحظة قال ياقوت : « موضع
في ارض بابل قرب حلة ديس بن مزيد شرقي قرية يقال لها القسوانات بها قبر باروخ
استاذ حزقيال وقبر يوسف الرمان وقبر يوشع وليس يوشع بن نون وقبر عزرة وليس
عزرة بنافل التوراة الكاتب والجميع يزوره اليهود وفيها ايضاً قبر حزقيال المعروف
بذي الكفيل يقصده اليهود من البلاد الشاسعة للزيارة .

وورد ذكره مرة ثانية في الكتاب عينه في مادة شوشة : قرية بارض بابل
اسفل من الحلة بها قبر القاسم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق وبالقرب منها قبر
ذي الكفيل وهو حزقيال في بر ملاحظة . وفي حوالي هذا الزمن زار الشاعر اليهودي

الشهير يهوذا الحريزي ونظم قصيدة في وصفه .

وجاء ذكر هذا المزار في رحلة بتاخيا ص ١٧٩ وقال ان اليهود يجتمعون فيه من
رأس السنة الى يوم الغفران (الكبور) . وتكلم عنه السائح بدرو تكسيرا وبما قال
انه بناء فخم وفيه برج شاهق وهناك رفات النبي المقدس حزقيال وبجذعه الجميع
كل الاحترام .

وفي سنة ١٧٦٦ زاره الرحالة نيهرو واليك ما جاء في رحلته عن وصفه قال :
سافرت في اليوم الخامس والعشرين من شهر كانون الاول من مشهد علي وعلى اربعة
فراسخ ونصف الى الشمال نزلت الكفيل ومثل تلك المسافة الى الشمال الشرقي
يصل المسافر الحلة . ولهذا فان المسافة بين المدينتين تسعة اميال او سبعة اميال المائنة .
تقطف هنا بعض تفل مما جاء عن الكفيل « يأتي كل سنة الوف من اليهود
لزيارة القبر حتى اليوم وليس لمزار هذا النبي شيء من الكنوز او الفضة او الذهب
او الحجارة الكريمة . ولو شاء اليهود ان يهدوا مثل هذه الهدايا لما تركها البدو
ولهذا يقنع القوم بزيارته . وفي معبد النبي القائم تحت برج لا يرى غير قبر محاط
بحجار . فان صاحب المكان او حارسه (او قيم المزار) بيت من العرب ولهم جامع
صغير لطيف وبه منارة . . . يريح هذا البيت العربي شيئاً كثيراً من الزوار الذين
يقصدون المكان .

ان قبر حزقيال والجامع والقليل من مساكن العرب الحفيرة محاطة بسور مكين
يزو ارتفاعه على ثلاثين قدماً ويبلغ محيطه نحو ١٢٠٠ قدم . ويؤمن ان سليمان احد

يهود الكوفة هو الذي قام بإنشائه في أول الامر . (ولزيادة راجع ص ١٦٤ و ١٦٥ من هذا الكتاب) .

ووصف هذا القبر لوفس (Loffus) في سنة ١٨٥٣ هكذا : يقوم المزار من دارين معقودتي السقف . فسقف الدار الخارجية يستند الى عمدة ضخمة اما المزار فهو صندوق كبير وقديم الايام طوله عشر اقدام وعرضه اربع اقدام ومزين بشيت انكليزي وببعض اعلام حراء وخضراء . وزين السقف المعقود ادراج ذهب وفضة وفقر وقد بنى في احدى زواياه سفار موسى الخمسة بالعبرية ويظن ان حزقيال النبي كتبها بيده . وهناك فندبل موقد ليلا ونهاراً ويقال ان حزقيال بنفسه اوقد ذلك الفندبل . وتبقى على تلك الحال منذ ذلك العهد ويغثرون الزيت والفتائل كلما دعت الحاجة اليه . ووصف هذا المزار بنيامين الثاني فقال ما ملخصه : ان في بلدة الكفيل بناء حوله سور وفيه قبر النبي حزقيال مغشى بسجادتين وبقاش مشغول بالآبرة ومطرز ذي قيمة . ولم يكن القبر مسوراً بادىء بدء بل ان الملك يهوياكيم بن السور بعد ذلك وساعده بضمة الوف من اليهود . وعمل فيه ابراجاً كأنه معقل . وكان يحيط باعلى برج منها رافق اتخذ اساساً لبناء يشبه جامعاً . وفي داخله سلم ملتوي عال يصعد به الى قمة البرج . ومن هناك يشاهد الانسان بيمينه برج بابل منتصباً كالجبار في البعد . وفي برج الكفيل اختراع غريب يحمل السكان على الاعتقاد بان هناك اعجوبة خارقة للطبيعة . وهو ان رافدة من خشب او عمود يجتاز البرج من الجانب الواحد الى جانبه الآخر . وكلا رأسيه ينقذ من طر في الرواق . فان من هذا العمود ينتف يشعير بحركة ارتجاج

في القسم الاعلى من البرج او على معتقد السكان ان الانسان يجب ان يقول آثذ هذه الالفاظ بنقام رقية « بشم ملكا شالوم وأثرأو » ومعناها باسم سليمان الملك ونابجه فان عقل عن قولها تصيبه داهية دهما . وقد حاولت ان افهم اخواني ان لا اعجوبة هناك على ما يتوهمون بل ان الاهتزاز ناشى عن لولب مخفي في البناء او احدى القطع الميكانيكية ولكن لم اتمكن من ازالة هذا الاعتقاد الخرافي عن اذهانهم .

في هذا المكان قبر النبي حزقيال وعليه تقوم صخرة كبيرة وهي مطلية بالطباشير كسائر اقسام البناء (يريد القول انها مغشاة بالبورق) . وبجانبها كنيس كبير . وظاهر الكنيس مدهون بدهان جميل يشبه لون قشرة السلحفاة . وفي داخله يرى القسم الذي في قبلة اورشليم مجرداً وغير كامل علامة الحداد على الهيكل المقدس في مدينة الله .

ويرى في طرف من اطراف البناء صورتان كبيرتان الانسان الطبيعي صوراً في الزمان الغابر وتشبهتا على مر الاعوام . وعلى مرءيات اليهود ان هاتين الصورتين هما صورة النبي حزقيال ويهوياكيم الملك . الا انه يصعب على الناظر اليهما ان يميز من آثارهما الطامة الفاتية شبيهة بشيء ولا يعرف لونهما ولا لباسهما . فحذار الباب مغطى في امكنة مختلفة بطائفة من الصور شبه الكتابات والنقوش المصرية (١) وهي تخذ ذكر الذين شيدوا هذا البناء اي الشعب كله وملكهم .

ويحفظ في الحرم المقدس من هذا الكنيس ادراج من الشريعة وبينها واحد كبره

(١) ان الكتابة التي يشير اليها المؤلف مدعي الا كتابة عربية

عظيم جداً لم اشاهد مثله قد كتب على نوع من الرق يسمى (كويل) وعلى معتقد
يهود العراق قد كتبه حرقياك نفسه .

وعلى رأي (اي على رأي بياض الثاني) ان كتابة هذا السفر يرتقي الى عهد
عنان سنة ٤٤٩٠ للخلقة (١) .

يقرا في هذا السفر في يوم الغفران فقط (الكبور) . وقد حاولت ان اخص هذه
المخطوطة فلم يسمح لي بذلك لانه لم يكن آتذ يوم الكبور اليوم الذي يقرأ فيه
كما اسلفت .

وفي داخل الكنيس غرفة وهي الخزانة (اي الكنيزا) تحفظ كتب الخط
القديمة التي تأتي من امكنة مختلفة . وبجانب الكنيس مجمع الرابانيين (جشيدا) حيث
يلتئم دائماً نحو عشرين رباناً لقراءة كتب التقي . ودرس التلمود وكتب أخرى من
الشريعة . وهم اليهود الوحيدون الذين لهم مشوى في الكفل . ويترع اخوانهم
يهود بغداد بحاجياتهم وبوازم هذا المعهد بما يجودون به من الهدايا والهدايا الكبيرة .
ومن امثال ذلك اني قبل ان احيط تلك الديار بضع سنوات مات الميري اليهودي
يعقوب سماح بدون خلف ذكر . ووقوف تركته على اخوانه اليهود في زفات وكذلك
اوقف ١٥٠٠٠٠ قران لمساعدة معهد الرابانيين (جشيدا) في الكفل .

يعتقد اليهود والعرب من سكان تلك البقعة بمفاعيل بعض اعمال يقومون بها على
قبر النبي طلباً لشفاعته ولا سيما لشفاء المراضى المصابين بامراض عضالة .

(١) راجع عن عنان صفحة ١٠٤ من هذا الكتاب



مرفد کوهین بوسنغ بی جانب الکرف

يذهب هؤلاء الربانون كل جمعة بعد الظهر الى القبر لينشدوا ترانيم وانشيد تقوية
ويبدلوا ستار القبر . وفي كل سنة في صوم الاسابيع يقصد الكفل زوار اليهود من
بغداد والبصرة وبلاذقارس وامكنة أخرى ليحتفلوا بالعيد هناك . فتجري الحفلات
المختلفة في المزار . فيذهب الرجال الى الكنيس مساءً قبل يوم العيد ويقرأون سفر
حزقيال . وقبل بزوغ النهار بساعة يزايدون على الحصول على ميزة تغيير ستور القبر
فمن يدفع اكبر ثمن يمل ذلك الامتياز ويقرأ بصوت عالٍ فصلاً من سفر النبي
(هفتورا) . وتبدل ستور القبر بين الاناشيد والترانيم .

ويروي الاهلون هناك الوفاً من الخوارق والمعجزات التي تحدث على قبر حزقيال
وهي تقريباً من الخرافات . وان عشائر البدو الرحل يأتون الى زيارة النبي حزقيال
ويقبلون قبره باحترام ويعتقدون به اعتقاداً صحيحاً وينفحون الربانين هدايا
ليظفروا باحسانات النبي بوساطتهم . (انتهى) .

وقد تنازع ملكية هذا المعبد غير طائفة من المراقبين الا انه انتهى الى اليهود
ويقال ان مناحيم افندي دانيال قد ساعد قومه في امر هذا المعبد .

٣ يوشع كوهين كادول

في جانب الكرخ من مدينة السلام مدفون رجل من أئمة اليهود وصلاحهم
يقصدونه للزيارة والتبرك يسمى النبي يوشع او رين يوشع او يوشع كوهين كادول (١) .

(١) كوهين كادول كلمتان عبريتان ومعناها الكاهن العظيم

وهو بقرب مدفن الشيخ معروف الكرخي المسلم (١) وبحوار قبر الست زبيدة (٢) في محلة عرفت في عهد العباسيين محلة باب البصرة (٣) وبحوارها محلة قطفتا (٤) ويظهر أن في هذه البقعة كان دير للنصارى يعرف بدير اليسع ومنهم من كان يسميه دير البقال ملاصق مقبرة معروف .

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فیره زوقيل الفيروزان وقيل علي الكرخي من موالى علي بن موسى الرضا وكان أبواه نصرانيين فأسلماه إلى مؤدب وهو صبي فهرب منه وذاق بالاسلام ومات في صدر القرن الثالث للهجرة ببغداد وقبره مشهور بها يزار (راجع وفيات الاعيان لابن خلدان ج ٢ : ٥٥٣)

(٢) المأثور عند البغاددة أن في هذا القبر رفات زبيدة امرأة هرون الرشيد إلا أن بعض الباحثين ينكرون ذلك ويذهبون إلى أن راحة هذا الجثث امرأة يوهية أو سلجوقية اسمها الست زبيدة وأما مدفن زوج الرشيد فهو في مقابر قريش لصق باب التين حيث مدفون موسى الكاظم بن جعفر الصادق وهي الكاظمية اليوم وقد استندوا في هذا الرأي إلى ما جاء في حوادث سنة ٤٤٣ هجرية في تاريخ الكامل لابن الأثير . زارني الدكتور هرنستفيلد في السنة الماضية إذ كان في بغداد وتفاوضنا طويلاً في هذا الموضوع فله لا يرتئي هذا الرأي ويقول بأن نص ابن الأثير لا يدل دلالة صريحة على أن مدفن أم الامين كان في باب التين ويرجح تفضيل البغاددة . أما من حيث طرق البناء فيذهب إلى أنه جدد بناء أحرافه على هذا النسق . (٣) راجع رحلة ابن بطوطة ١ : ١٣٥ من طيبة وادي النيل ، (٤) مادة قطفتا في معجم البلدان

وهم من نسب هذا الصريح إلى النبي يوضع بن تون اخذاً بقول العامة . قالهم يهود أنفسهم لم يذهبوا هذا المذهب . وليس من أدلة تاريخية على منشأ هذا المزار والواقع في زيارته . ولهذا يصب على المؤرخ ابداء آرائه فيه وكل ما يقال في هذا الشأن وجم في غيب . وغاية ما يقول الشعب اليهودي أو المتفقون منهم أن هناك مدفن أحد الصالحين أو أحد الرؤساء من الكهنة (الكوهينيين) ولم يبقوا عنه شيئاً .

ومن الغريب أن أقدم ذكر وقف عليه لهذا المزار لسانج تركي وهو الرئيس سيد علي الذي زار المدفن في سنة ٩٦١ هجرية ١٥٥٤ م راجع كتابه مرآت الممالك ص ١٥ .

وجاء عنه عقيب ذلك في رحلة يذرو تكبيرا في أوائل القرن السابع عشر ما ترجمته قال رحالتهما : على مقربة من بغداد داخل بناء صغير بحمد قبراً يحترمه العرب واليهود ويقولون أن هناك يسكن جنان الكاهن العظيم اليهودي . وهو صندوق عظيم مشيد وفي رأس القبر صحيفة من المذنب مكتوب عليها بأحرف عبرية : يوضع كوهين كادول .

و يؤيد سكان النصارى الخاورية أنه كان رجلاً قديماً ويحتملونه للخوارق التي يجريها الله تعالى يده . (١)

وزار هذا مقام الرحالة الدنمركي نيسر في أوائل القرن الثامن عشر . وقال عنه : بقرب يهلول دابة يرى البصير بناء صغير حقير فيه قبر رجل يسمى يوشع

الذي يكثر اليهود من زيارته . (١)

وتكلم عن هذا المزار بنيامين الثاني وقال ما تعريبه : وعلى مسافة ساعة من بغداد بناء صغير تظله ثماني مخلات جدارات ويقسم قسمين في أحدهما قبر الكاهن العظيم يهوشع المزين غاية الزينة الذي ذكره زكريا (٣ : ١) . وتحت النعش نجد مخطوطات كثيرة يقرأ منها بعض المقاطيع عند قبره . وفيها حكاية تاريخه الموجودة في كتابات زكريا (٢) ويأتي الضياء إلى داخل القبر المعقود من نافذة ضيقة . ويذهب اليهود إلى هناك كل شهر لسمعونوا قراءة كتابات الكاهن العظيم . وبعد أن تحم القراءة يشدون الكل الأثني . ويجتمعون في مكان يبعد قليلاً عن القبر ويتغدون غداً أخوياً (٣)

C. Niebulr : Voyage en Arabie II : 246

(١)

(٢) يشير بنيامين إلى يهوشع الكاهن العظيم الذي جاء عنه في نبوة زكريا ما يأتي : فانههد ملك الرب على يهوشع قائلاً . هكذا قال رب الجنود ان سلكت في طريقي وان حفظت شأني فانت أيضاً مدين بيتي وتحافظ أيضاً على ديارى واعطيك ممالك بين هؤلاء الواقفين . فاسمع يا يهوشع الكاهن العظيم انت ورفقاؤك الجالسون امامك لأنهم رجال آية لأنني هاءنذا آتي بعبيدي الغصن إلى الخ (زكريا ٣ : ٨-٩) . ليس من دليل على أن يهوشع الكاهن العظيم المذكور في كتاب زكريا مدفون هنا .

J. J. Benjamin II : Eight Years in Asia and

(٣)

Africa. 152 - 153

قد مر بنا ص ١٧٩ من هذا الكتاب النزاع الذي قام سنة ١٨٨٩ بين المسلمين واليهود على هذا المزار . وقد ذكرت هذا الحادث نشرة الاتحاد الاسرائيلي العمومي التي تصدر في باريس واسهبت في حكايته فرأيذا الاجدر بنا ان نشير اليها دون ان نقبس منها شيئاً .

وغاية ما نقول ان الحكومة التركية اهتمت بامر هذا النزاع من اجل ملكية هذا المزار وبالاخير ارجعته الى اليهود . وليس في هذا المزار من الآثار ما يقف عندها الباحث . ويظهر ان اهميته تتضاءل عند اليهود انفسهم ونقل الزيارة اليه سنة بعد سنة . نرى صورته في الصفحة المقابلة .

٤ الشيخ اسحق الغاواني

او

اقدم كنيس لليهود في رصافة بغداد

في إحدى محلات الرصافة من مدينة بغداد الحالية شاهد كنيساً لليهود فيه مدفن احدهم اسمهم الشيخ اسحق الغاواني . واسم الحلة المذكورة « حلة الشيخ اسحق » . و للكنيس باب آخر حديث البناء يفضي إلى شارع سوق جنون . وهو وحلة الشيخ اسحق « من حارات اليهود » .

يرقي اصحاب هذا المدفن تاريخه إلى القرن السابع الميلادي ويقولون ان رهبان ذلك الجذ كان صيرفياً عند الامام علي بن ابي طالب .

واذ كنا نكتب تاريخ القوم ونبحث عن احوالهم على ممر القرون وتوالي
الاجيال دفعنا الرغبة وحدانا الشوق الى زيارة هذا المعبد القديم على رأي بعضهم
فزورناه في اليوم العاشر من شهر شباط من سنة ١٩٢٠ . وكانت معنا دليل
من مزارقنا اليهود . وقد لنا الكنيس من الباب الواقع في شارع الشيخ اسحق
وبعد ان تقدمنا بعض خطوات في الحائز رأينا على يسارنا قبة فيها ضريح الرمان
ونجدها باباً يقضي الى المصلى المنسوب اليه . فحاشا فقم المكان وفتح باب غرفة الضريح
فدخلنا وكنا عيون تتفقد لعلنا نهدى الى أثر تاريخي يؤيد مدعى القوم ويثبت
صحة رأيهم في ذا الرائد الصالح فلم نتحقق أمنيتنا والساورة السالفة بذلك على كل
ما شاهدناه في ذلك المكان .

ان البناء كانه حديث عهد لا يتجاوز عمره عشرين سنة او ما يقارب . وقيل لي
ان الشعب جددته بعد خرابه . ان الغرفة حرمية الشكل . سقفها معقود بالآجر
وارحها مبطنة بالقاشاني الابيض والازرق وفي وسطها محطبة من الخشب عالمة
عن الارض على شكل القمود العراقية . ومسجاة بمش لطيف مذهب زبد المكان
وقاراً ولحت تلك المصطبة بقدر الرمان اسحق وفوق الضريح قبة بل يوقد ليلاً ونهاراً
حسب عادة الشعوب السامية القديمة في عيادتهم ومما يدهم وقهور انهم . هذا كل
ما يجده الباحث داخل غرفة الضريح .

ولما خرجنا من الغرفة رأيت فوق بابها حجراً من الرخام محفوراً عليه بالخط
العبري ما مفاده :

« تاريخ الرائد الصالح الرمان اسحق العافوني المتوفى سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس »

تركنا المزار ودخلنا المصلى فرأيناه فحماً محكم البناء ، جديد الوضع وطرز بنائه
يحاكي بناء سائر الكنائس اليهودية في بغداد . في وسطه منصة عالية يرقاها الرمان
اذا قرأ الاسفار او وعظ في شعبه وصلى في جماعته . ويجلس المصلون والسايمون
في امكنة معدة لهم في جانبي الكنيس . وهناك الراج دعاة مكتوب عليها بالعبرية
آيات من التوراة . وقناديل تشتعل ليلاً ومهارة مادية السليط (وهو دهن السمسم
او السيرج كما يسميه العراقيون) .

ويشاهد هناك بئر ماء مثل الآبار الموجودة في بيوت بغداد ينسب اليها القوم
ممجرات وقد روي لنا غير واحد من ملازمي المعبد شيئاً منها . وقد اضحى هذا
الكنيس ملجأ للعميان واحباب الماهات يختلفون اليه لدرس الشريعة والشفقة في
دروس الدين وتفسيرها .

وبعد ان طافنا بذلك المصلى توجهنا الى الباب الذي يقضي بنا الى سوق حنون
وعند الحائز رأينا رجلاً في شرح الشباب ، غض الاهاب قد جلس على تحت وامامه
علبة عليها بعض الكتب وحياله امرأة مبرقة تستشده النيب فمررنا ان الرجل
من دعاة التنجيم فسألنا دليلاً الخبير عنه فوافق جوابه فكبرنا (١)

(١) ذكرنا هذا الامر بما جاء في كتاب « نينوى وبابل » تأليف البحارنة
السرايستن هنري لايرد المطبوع بالانكليزية في لندن سنة ١٨٩٢ ص ٢٩١
و ٢٩٢ . في معرض كلامه عن أقدم الطين المشوية المكتوبة كتابة سحرية التي
اكتشفها في اطلال بابل ورجح نسبتها الى يهود بابل وما قال : ان الكلدان اشهروا
سابقاً بالعرافة والتنجيم والسحر وما لا ريب فيه ان اليهود لم يأخذوا بالقيام بهذه

هكذا انتهى تطوافنا ذلك اليوم ولكن لم يزل ذكره في فكرنا باحثين عن تاريخ ذلك المزار لتقف على حقيقة امره والحقيقة غابتنا الموشودة . وفي اليوم الثاني ذرنا احد علماء الحاضرة الاعلام من له المام وكل المام في تاريخ العراق ومما حده والتمسنا منه ان يطلعنا على تاريخ كنيس الشيخ اسحق الراقده هناك .

فاجابنا حضرة بما فطر عليه من كرم الطباع وسمة العلم بما يأتي : لم اقف كل الوقوف على تاريخ هذا المعبد ولكن جل ما اعرفه ان موقعه في محلة كانت تعرف سابقاً بباب ابرزاو بيرز (بكسر اوله وفتح ثانيه وسكون الباء وفتح الراء الح) وقد جاء ذكرها في معجم البلدان في مادة بيرز وكانت على زمان مؤلفه ياقوت مقبرة وقال انها بين عمارات البلد وانبية من جهة محلة الظفيرة والمقدورية بها قبور جماعة من الأئمة . . . منهم ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزامدي الفقيه الامام . ثم زاد حضرة العلامة وقال ربما كان الرجل المدفون في معبد اليهود هو ابو اسحق ابراهيم بن علي الفيروزامدي (١) قلنا . هذا الرأي الاخير افتراض بحث لا يمكن

الاعمال فقط بل اهم نقولها منهم الى وطنهم . ولهذا نرى اليهود الذين جلاهم طيطس ووسبيانس الى رومة بعد خراب اورشليم كانوا يعرفون التنجيم . واستطلاع البخت والسحر . وقد روى لنا ذلك يوفتال الكاتب الروماني المهجاء .

(١) هو الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي الفيروزامدي الملقب جمال الدين ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة (١٠٠٣ م) بفيروزاماد ونوفي في سنة ست وسبعين واربعائة (١٠٨٣) بغداد . وكان عالماً جليلاً وشاعراً حسناً وتولى عهداً المدرسة النظامية في بغداد .

قبوله لما يعترضه من المشاكل التاريخية والدينية والاجتماعية .

لنرجع من الآن الى مدعين اليهود في هذا الحل ، ونعخص تقليدهم في تاريخ الراقده في ذلك الحدث . وهي تنحصر في ثلاث قضايا :

١ : انه الشيخ اسحق الغاوي .

٢ : تاريخه سنة ٦٢٠ لخراب بيت المقدس او اواخر القرن السابع للميلاد .

٣ : كان في حياته صيرفي الامام علي بن ابي طالب .

قلنا : ١ . اذا كان الشيخ اسحق المدفون هناك من الغاويين حقاً فيجوز ترقية تاريخه الى القرن الحادي عشر للميلاد او ابعد من ذلك . ولا يخفى ان الغاويين من اليهود تصدوا للدرس التوراة والتوسع في شرحها وكانوا في اول امرهم رؤساء مدرستي يومباديتا (جبة) وسلدرا (سورا) ويقوا في عهد العباسيين وقد قال عنهم مندلسون في كتابه يهود آسية باللغة الانكليزية ص ٢٢٢ ما يأتي :

ان النزاع بين رؤساء الجالوت والغاويين اضر كل الضرر بالطائفة جميعها وبلغ اشده في القرن التاسع والعاشر للميلاد . وكان آخر الغاويين في منتصف القرن الحادي عشر رجل اسمه حي . راجع ص ٩٧ من كتابنا هذا .

٢ . اما لقب الشيخ المتصدر به اسم اسحق الغاوي فانه يدلنا على ان الرجل من الذين عاشوا في عهد العباسيين . لان الصيارفة والكتاب من اهل الذمة كانوا يصدرون القابهم بالشيخ (١) . اه . فربما كان صاحبنا من الصيارفة الذين عاشوا في اخريات ايام العباسيين والافان التاريخ المنقوش على نافذة ضريحه وهو سنة ٦٢٠

(١) راجع ص ١٣٢ من هذا الكتاب

لكتاب بيت المقدس لا يَحْتَمِلُ ان يكون حقيقياً كما ان صاحبنا لا يَحْتَمِلُ ان يكون
صيرفاً للامام علي بن ابي طالب الاسباب الآتية :

اسس المتصور بغداد في نحو منتصف القرن الثاني للهجرة اي في اول النصف
الاخير من القرن الثامن الميلادي . وليس اليوم من اثر واحد في بغداد لليهود
والنصارى والمسلمين يسبق عهد تأسيسها . الا ما ينسبه اليهود من القدم الى هذا
اليهود . وهذا امر فيه نظر . وان المؤرخين القدماء والكتبة المتأخرين
والرحالة الغربيين الذين زاروا هذه الاقطار لم يذكروا شيئاً عن هذا المزار .
س . ان التاريخ الذي يذكره اليهود لحياة هذا العالم يوافق زمن الامام علي بن
ابي طالب الا ان التاريخ لا يذكر صيرفاً يهودياً كان في خدمة الامام .

وقصاري القول ان الشيخ اسحق الغاووني اذا كان حقاً من الغاوونيم فانه لا
يرتقي اكثر من القرن العاشر للمسيح . والا فاذا صح ما قاله لي احد افاضل اليهود
المصدقين ان هذا الكنعيس لا يرتقي الى اكثر من قرن او قرن وربع قرن .
فيكون الشيخ اسحق حديث عهد .

كل ما ارتأيناه في هذا الفصل مؤسس على افراضات تاريخية ونحن نرغب الى
الذين عندهم من البيانات التاريخية ما يعيط اللثام عن حقيقة هذا الكنعيس القديم
ان يزودونا بها او ينشروها فنحن نشكر له فضلهم باسم الحقيقة التي هي خالصة
المشودة .

ولم يأت السائح الذين زاروا هذا القطر بوصف هذا المزار الا واحد من المتأخرين
وهو بنيامين الثاني فقد قال فيه انه بناء واسع قائم على ستة عشر عموداً وتقرأ

هناك (المجلة) كتاب اسثير في يومي الرابع عشر والخامس عشر من شهر آذار
ولا شيء في داخل البناء يستحق الذكر . والنقف مزين بنقوش مخفورة .
ويسمى هذا الكنعيس « كنيس الشيخ اسحق الغاووني » وفي إحدى غرفه
قبر هذا العالم علوه بعلو انسان وفوقه اعلام مربعة الالوان وتقرأ عند القبر عشرة
ربانيين ويتلون الصلوات (١)

٥ : مزار ناحوم الالقوشي

تصفح الكتاب المقدس ترين الانبياء الذين تنبأوا عن نينوى وذوال مجدها
رجل اسمه ناحوم الالقوشي . اودع نبوءة الممثلة سخطاً وغضباً في ثلاثة فصول
وقد اوردنا في ص ٢١ من هذا الكتاب بعض الايات من نبوءة فلتراجع .

والا الذي يهمنا في هذا الفصل وطن ناحوم ومقره . فهل كان النبي من
القوش آثور او من القوش فلسطين . وفي اي قطر من القطرين دفن ؟ وبعد ان
نورد اقوال العلماء والمؤرخين في هذا الباب نصف قبره في القوش آثور حيث نجده
تقاليد يهود العراق ومسيحيوها ومسلموها .

يذهب القديس ابروئيمس ان القوش وطن ناحوم كانت قرية في الجليل وشاهد
قبره في قرية بيت جبرا Bethogabra قرب عمواس . ولكني اقول مع
الآري ان نبوة ناحوم ظهرت في زمن جلاء الاسباط المشرقة وكأها عن نينوى ولهذا

فالتقليد الذي يجعل مدفنه في القرية الأشورية لا يخلو من أهمية (١) هذا من حيث التقليد السائد اليوم بين العراقيين غير أننا لم نقف على نص قديم في الكتب التاريخية القديمة من شرقية وغربية تدعم ما هو مأثور في هذا القطر عن مدفن الرجل في القرية الأشورية وأزيد على ذلك وأقول إن جنراقي العرب لم يذكروا القوش في مؤلفاتهم فيظهر أنها كانت خاملة الذكر في القرون الوسطى . ومن الغريب أن بنيامين التطيلي يذكر كنيس ناحوم في الموصل وبعد قليل يقول إن قبره يبعد مسافة ست ساعات عن قبر حزقيال في موضع عين شفتا .

أما بناخيا فيقول إن قبر ناحوم الألقوشي يبعد عن قبر باروخ بن نيري أربعة فراسخ وقبر باروخ بن نيري لا يبعد عن قبر حزقيال إلا ميلاً واحداً . فيكون على وصف هذا السائح في سهول بابل .

وتكلم نيهير في القرن الثامن عشر عن زيارة اليهود لقبر ناحوم في القوش أشور نقلنا روايته في ص ١٦٤ من هذا الكتاب فلترجع وفي أواسط القرن الماضي وصف الكنيس والقبر وزيارة اليهود اليهما كل من لايرد وبنيامين الثاني .

قال لايرد : إن في القوش بموجب تقليد عام . قبر ناحوم الألقوشي كما يقب في فاتحة البيوت . ويحترم هذا المكان المسلمون والمسيحيون ولا سيما اليهود الذين يحافظون على البناء ويأتون إلى زيارته ذراقات في بعض مواسم السنة . فالقبر هو مصطبة بسيطة من جص أو نابوس مغطى بقماش أخضر . . وعلى جدران الغرفة موضوعة قصاصات ورق مكتوب عليها بالعبرية مواعظ دينية وتواريخ زيارات الاسر اليهودية المختلفة .

إن دار القبر بناء بسيط وليس هناك كتابة أو قطعة من العاديات عن المكان ولا اعلم إلى متى يرتقي التقليد عن ناحوم في قرية القوش وهل كان مصدره مسيحياً أو يهودياً . وعقد بنيامين الثاني فصلاً عن القوش ومزار ناحوم استغرق نصفاً وخمس صفحات في رحلته . ومما ناخذه عليه أنه قال إن سكان هذه القرية أرمن والحال أنهم كلدان باجمعهم .

وفي العراق غير هذه الامكنة يمدحها اليهود قديمة العهد وينسبونها إلى انبياء اسرائيل الا أننا ضربنا صفحاً عن ذكرها . أما قبر النبي يونس أو يونان ومعهده المقدس فهو قائم على اطلال تيشوي فهو جامع للمسلمين ويعتبر التقليد أن فيه دفن النبي المذكور . وليس من الأدلة التاريخية ما يؤيد هذا التقليد .



زيادات وايضا حات

- ص ١٤ سطر ١٤ وعلى ذكر ارأشتمو اقول ان العالم الاثري الاستاذ كلي قال لي لما كان في بغداد في اكتوبر سنة ١٩٢٣ وجدت فيها صفائح مكتوبة عليها اسماء يهودية كثيرة
- ص ٨٥ سطر ٣ وقصاري القول ان التلموذ البابلي ذكر ما ينيف على مائتي مدينة بابلية كانت تسكنها امر يهودية بعد حكم الفرس (نقلاً عن كتاب لايرد الانكليزي المعنون « نينوى وبقاياها »)
- ص ٩٢ سطر ٢ جاءت العبارة الآتية « الرب الشهير المعروف بربان عريقا » وصحيفة بربان « اربخا » ومعناه الطويل لقب هذا اللقب نظراً الى طول قامته وكانت وفاته سنة ٢٤٣ وهو اول من سمي عموراًني راجع ص ٩٦ من كتابنا هذا . ورأى السائح بتاخيا قبره في سياحته الى بابل في القرن الثاني عشر للميلاد
- ص ٩٩ سطر ١٠ جاء في هذا المكان من الكتاب ان الدين اليهودي انتشر في نجر وذلك استناداً على نص نقلته من المستطرف للأشبهى . الا ان الاب الستاس الكرملي عند وقوفه على هذه الرواية شك في صحتها . فاخذ يبحث عن الحقيقة وبعد ايام كتب الي ما يأتي :
- « ما فتئت ابحت عن صحة قول المستطرف في ان اليهودية كانت في نجر

ص سطر

- حتى ظفرت بالضالة والحقيقة انها كانت في نجر وكلام الاشبهى مأخوذ بحرفه عن ابن رسته في الاعلاق النفيسة ص ٢١٧ من طبعة الافرنج . ولم يكن في نجر يهودي واحد قط »
- ص ١١٠ سطر ١٦ وماسرحونه متطهب البصرة وكان يهودي المذهب سريانياً وهو الذي بعينه ابو بكر محمد بن ذكريا الرازي في كتابه الحاوي بقوله : قال « اليهودي » وكان في ايام بني أمية وانه تولى في الدولة المروانية نقل كتاب امرون القيس بن اعين من السرياني الى العربي ومن لا يفقه كتاب كتاب في الغذاء وكتاب في العين وكتاب قوى العقاقير ومنافعها ومضارها (عيون الانباء ١ : ١٦٣ - ١٦٤ القفطي ٢١٣)
- ص ١١١ سطر ٣ وكان سند بن علي المذکور قد بنى كنيسة لليهود لما كان على دينهم في ظهير باب الشمامسية (القفطي ص ١٤١) ومحلة الشمامسية من محلات بغداد القديمة وموقعها في اعلى من محلة ابني حنيفة وهي في المكان المعروف اليوم « بالصايخ »
- ص ١١٦ سطر ٩ ان اسم الكتاب في العربية كتاب الدين والدولة وقد ابيع النص الاولي القيس الفوس منكمنا وارجح الروايات في دين ابني الحسن علي بن ربن الطبري انه يهودي الاصل ثم تنحصر فاسي
- ص ١٢٩ سطر ٤ ابو البركات هبة الله علي بن ملكا او ملكان

قال بتأخيا في رحلته ان لا حزان عند يهود بابل وآتور

٩ ١٣٢

كانت المراتب الدينية عند يهود بابل على هذا المنهج :

١٢ ١٣٢

١ : راس الجالوت ٢ : راس الجامعة (مثبتا) ٣ : راس الطبقة

(كلة) ٤ : راس الجماعة (سدره) ٥ : راس الفصل ٦ (برق)

راس الكنيس

ومن الشواهد على متاجرة يهود العراق بالحمور ما قاله حنين بن بلوع

٤ ١٣٦

الحيري وكان نصرانياً يصف الخبرة ومزله فيها :

أنا حنين ومزلي النجف وما ندعي الا الفتى القصص

أفرع بالكاس نثر باطية مترعة نارة واغترف

من قهوة باكر التجار بها بيت يهود قرارها الخرف

والعيش غص ومزلي خصب لم تغلني شقوة ولا عنف

(الاغاني ٢ : ١١٦ - ١١٧)

لا اوردنا بعض مرويات الربان بتاخيا في كتابنا نقلناها عن المجلة

٦ ١٣٧

الاسوية والانسكلوبدية البريطانية كما اشرنا الى هذين المأخذين

في الحاشية واذ وقعت بيدنا الآن رحلته المطبوعة في المطبعة الملكية

في باريس سنة ١٨٣١ بالنص العبري والترجمة الفرنسية وددنا ان

توسع في الاخذ من هذه الرحلة عن يهود العراق قال :

في الموصل ٦٠٠٠ يهودي ولهم ربانيان وهما الربان داود والربان

سموئيل . والضرائب التي يدفعها اليهود يعود نصفها الى السلطان

ونصفها الى رؤساءهم . واليهود كروم . ولرؤساء اليهود حبس يسجنون

فيه المجرمين (١) . واذا حدث خلاف بين مسلم ويهودي يحق لرؤساء

اليهود ان يعاقبوا من كان مجرمًا . وكان في الموصل منجم يهودي

اسمه الربان سليمان . وما ذكره : ان مات يهودي غريب في الموصل

اخذت الحكومة نصف تركته وما انحد من الموصل في دجلة شاهد

من ابناء دينه في كل بلد وقريبة مرعاه . واطراً نفقه يهود آتور

وبابل وبلاد ماذي وفارس وعلمهم يكتب الدين . وقال ان لرئيس

الجامعة الف تلميذ يدرسون عليه ويحضر امامه كل مرة خمسمائة

تلميذ منهم . وله نحو من ستين خادماً وفراشاً يضربون المذنبين

عصياً وثيابه ارجوانية ومزركشة ولما يهيئ التلامذة دروسهم بطارحهم

اكبرهم عمراً اسئلة عن علم الفلك وعن علوم أخرى . ومن اقواله

التي لا توافق الحقائق التاريخية ان اليهود لا يدفعون ضريبة الماخليفة

بل يدفع كل منهم ذهباً الى راس الجالوت .

(١) لم يكن هذا الحق لرؤساء اليهود في بغداد في عهد العباسيين راجع ص ١٣١

من كتابنا هذا .

لا يصح كلام بتاخيا الا اذا قرضنا ان رأس الجالوت كان يجمع تلك
الجزية ونحاسه الحكومة عليها لانه يمثل الجماعة كما كان يجمع الابرار
ضريبة العسكرية بوساطة الرؤساء الروحانيين من الجماعات .

وزار بتاخيا مدينة نهر دعة وقال انها تسير الى الاندلس . وهي خراب
ليس بها عامر الا محلة واحدة يسكنها اليهود . وحيط الحلة ورأى فيها
قبر راني مثير المذكور في المشنا .

وكذلك السائح اوتر N. Otter الذي نزل العراق في سنة ١٧٤٣

لم يتصل بالبحث عن اليهود الا استطراداً فانه قال : ان احمد باشا
والي بغداد كان يأخذ غرامة باذخطة من الشعب لانه كان سخياً مسرفاً .

وبما أنهم موشي رئيس الصيارفة (صراف باشي) بهمة اضطروا اليهود
الى ان يعطوا الى الوالي ٢٠٠ كيس لينقذوا موشي من القتل . وقد

اضطروا المذكور الى ان يتنازل عن طلب له على الوالي ٧٠٠ كيس
ويمزق الوثائق المؤيدة لكي يعود الى منصبه . ولاقى السائح في

٢٩ ايار سنة ١٧٤٣ موشي في الحلة . وكان هناك منذ شهر يذاع
المؤن لبغداد بأمر من احمد باشا

١٦٥ ٥ ويروي ان اجداد بيت الحيدري كانوا يأخذون الجزية في هذه المطاوي
من اليهود والنصارى والصابئة في البصرة (نقلاً عن كتاب عنوان

المجد في احوال بغداد والبصرة ومجد السيد ابراهيم فصيح الحيدري
وهو كتاب خط)

١٦٥ ١٠

جاء في الرسالة الفارسية : لما دخل اليرانيون البصرة سبوا وحبسوا
اناساً كثيرين ونفقوا منهم وغرموا آخرين . ومن الذين نفقوا الى
شيراز الناسي يعقوب هرون واولاده . ولما رجع من المنفى عين
صرافاً للخزينة في عهد سليمان باشا ومن الموقوفات التي آتى بها الجيش
الفارسي في البصرة انه سبي نساء اليهود فاضطرت كثيرات منهن حباً
بمقافهن الى احراق نفوسهن لئلا يقعن في شرك الفاتحين

١٩٢ ٤

ان الربان بتاخيا الذي زار العراق حوالي سنة ١١٨٠ يذكّر هذه الرؤيا
مع بعض اختلاف ويقول حدثت هذه الرؤيا سابقاً ويذكر ايضاً
الدار التي تظهر على القبر

١٩٨ ١٠

غالى الربان بتاخيا في وصف بناء مزار حزقيال حتى افضى به غلوه
الى القول : من لم ير قصر حزقيال العظيم فانه لم ير ايراً جيلاً
في حياته . ووصف القبر وقال انه من خشب الارز المذهب لم تشاهد
العين مثله ويسهر مائتا شرطى على حفظ الكنوز التي هدى الى القبر .

تصحيح خطأ

—>>>0<<<—

| ص | س | خطأ | صواب |
|----|----|-----------------------------|--------------------------|
| ٤ | ٦ | عرفا | عرف |
| ٤ | ٧ | كيلومتر | كيلومترات |
| ٥ | ١٢ | E'Orient | L'Orient |
| ١٧ | ١٨ | Encyclopaedi | Encyclopaedia |
| ٢٢ | ١٩ | Encyclopédie Biblique | Dictionnaire de la Bible |
| ٢٨ | ١٤ | برج | بدج (Budge) |
| ٢٩ | ١ | تاريخ خرابه | تاريخ خرابه (١) |
| ٢٩ | ٧ | ارز لبنان (١) | ارز لبنان |
| ٢٩ | ٨ | ٣٢٣ - ٣٢١ ق م | ٣٣١ - ٣٢٣ ق م |
| ٢٩ | ١٦ | By Nile and Tigris page 269 | By Nile and Tigris I:264 |
| ٣٠ | ٣ | ولنة | والغة |
| ٣٢ | ١٢ | واراد الكتاب | وما اراد الكتاب |
| ٣٥ | ١ | وكوى | وكوى |
| ٤١ | ٣ | وقلة آمالمهم | وقيلة آمالمهم |
| ٥٢ | ١٤ | انباء | انباء |

| ص | س | خطأ | صواب |
|-----|--------|-------------------|---------------------|
| ٧٠ | ٦ | ويرسلون بها نبي | ويرسلون بها الى نبي |
| ٧٣ | ٨ | جاملوا في اليونان | جاملوا اليونان |
| ٨١ | ١٨ | Gsidore | Isidore |
| ٨٣ | ١٢ | وقالى | وقال |
| ١١٤ | ١٨ و ٨ | (٢) | (٣) |
| ١٢٦ | ١٣ | وفي ذلك | وبعد ذلك |
| ١٢٧ | ١٢ | وافتداهم | افتداهم |
| ١٢٨ | ١١ | وكتيرا | وكتيرا |
| ١٣٢ | ٦ | وقد عوف العرب | وقد عرف العرب |
| ١٣٦ | ١٠ و ٨ | غمي وبنغمي | غمي وبنغمي |
| ١٣٧ | ٥ | رئيس الحالوت | رئيس الجامعة |
| ١٣٩ | ٩ | ي . ع . س | ي . ن . س |
| ١٤٤ | ١٥ | مقالنا | مقالنا |
| ١٤٥ | ٦ | والحكة | والحكمة |
| ١٦٠ | ٩ | بالفاظاة | بالفاظاة |
| ١٦٣ | ١٧ | Sieu r | Sieur |
| ١٦٣ | ١٨ | Z | Gouz |

| صواب | خطأ | ص س |
|----------------------|----------------------|--------|
| ١١٨٩ - ١١٩٠ | ١١٨١ - ١١٩٠ | ٨ ١٦٥ |
| Clément | C. lément | ١٠ ١٧٠ |
| لما جلس السلطان | لما جلس أن السلطان | ٩ ١٧٦ |
| يهوشوع | يهوشوع | ٧ ١٧٩ |
| خدمات جلي | خدمات جلي | ١٠ ١٨٠ |
| بنيامين الثاني ص ١٧٣ | بنيامين الثاني ص ٠٠٠ | ٧ ١٨٢ |
| ١٢١٧ | ١٣١٧ | ١٠ ١٩١ |
| والذي | والا الذي | ١٠ ٢١٣ |
| الآثري لا يرد أن | الآثري أن | ١٦ ٢١٣ |
| الآبشهي | الآبشهي | ١٤ ٢١٦ |

هذا ما اردنا تصحيحه ولعل هناك خطأ فائنا فنن الفراء الكرام المندرة .